مؤلفة الروايات الأكثر مبيعًا

ريبيكا إف. كوانج

"رواية رائعة للغاية". - مجلة تايم

الوجه الأصفر

رواية

ترجمة: منة مرتضى

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

في هذه الرواية المرعبة والمضحكة، جمعت ريبيكا إف. كوانج، مؤلفة الرواية الأكثر مبيعًا *بابل*، بين الأكاذيب البيضاء والكوميديا السوداء والعواقب المميتة، من خلال بطلة تدعي لنفسها شخصية غير شخصيتها الحقيقية، فهي لم تؤلف الكتاب الذي يحمل اسمها، كما أنها ليست فتاة أمريكية من أصل آسيوي بكل تأكيد.

تسعى المؤلفتان جاهدتين إلى ارتقاء سلم المجد في عالم الأدب، غير أن أثينا في الحقيقة موهوبة، أما جون فهي موهومة، فالثانية لا تحسن سوى كتابة تلك القصص المكررة عن الفتيات العاديات من ذوي البشرة البيضاء.

ولكن عند وفاة أثينا في حادث غريب، تتخذ جون قرارًا متسرعًا: بمحاولة سرقة التحفة الفنية التي ألفتها أثينا قبل وفاتها، وهي رواية تجريبية عن الإسهامات غير المعروفة للعمال الصينيين في الحرب العالمية الأولى.

فماذا سيحدث عندما تحرر جون رواية أثينا وترسلها إلى وكيلها الأدبي على أنها من تأليفها؟ وماذا لو سمحت لناشرها الجديد بأن ينشر لها هذه الرواية تحت اسم مستعار "جونبير سونج" مع صورة لمؤلفة غامضة من عرقية مختلفة؟ ألا يستحق هذا الجزء من التاريخ أن يُروى حتى لو تغير اسم الرواي؟

لكن جون يطاردها ظل أثينا، وتهدد الأدلة المستجدة بسحب بساط النجاح (المسروق) من تحت قدم جون، فتحاول جاهدة حماية سرها، فإلى أي مدى ستذهب لتحتفظ بما تعتقد أنه من حقها؟

من خلال استخدام ضمير المتكلم الباعث على التفاعل، تصطدم هذه الرواية بقضايا الاختلاف والعنصرية والاستحواذ الثقافي بالإضافة إلى الاغتراب المرعب الذي تثيره وسائل التواصل الاجتماعي.

إنها رواية عصرية وممتعة ورائعة للغاية.

الوجه الأصفر

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

جميـع الحقوق محفوظة ©

مكتبة ضـاد الإلكترونية
t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

الوجه الأصفر

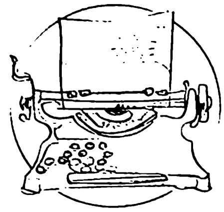

رواية

ريبيكا إف. كوانج

ترجمة : منه مرتضي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة: أشرف غالب.

حقوق النشر

- لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .
- إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاءً شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.
- رجاءً عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.
- هذا الكتاب عمل خيالي، وإذا وردت فيه أي إشارات إلى أحداث تاريخية أو أشخاص حقيقيين أو أماكن حقيقية، فهي مستخدمة بشكل تخيلي. أما الأسماء والشخصيات والأماكن والأحداث الأخرى فهي من وحي خيال المؤلف، وأي تشابه مع أحداث أو أماكن أو أشخاص حقيقيين، سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، فهو محض مصادفة بحتة.

الطبعة الأولى 2025

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2025. All rights reserved.

YELLOWFACE.Copyright © 2023 by Rebecca Kuang.
Published in agreement with Rebecca Kuang, through Bears Factor FZC.
All Rights Reserved.

للتعرف على فروعنا نرجو زيارة www.jarir.com

إذا كانت لديكم أي ملاحظات حول الترجمة أو الكتاب، أو اقتراحات لترجمة كتب أخرى، فالرجاء مراسلتنا على:

jbpublications@jarirbookstore.com

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

Yellowface

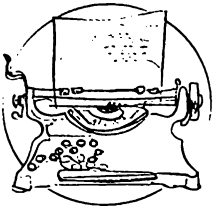

A Novel

R. F. Kuang

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

كتب أخرى لـ ريبيكا إف. كوانج:

The Poppy War

The Dragon Republic

The Burning God

:Babel: Or the Necessity of Violence

An Arcane History of the Oxford Translators" Revolution

إهداء إلى إيريك وجانيت

الفصل الأول

في تلك الليلة المشئومة التي قضت فيها أثينا ليو نحبها، كنا نحتفل باتفاقها على إنتاج مسلسل تلفزيوني مع شبكة نتفليكس.

ولكي نتفق منذ البداية، ونجعل هذه القصة منطقية، فيجب أن تعرف شيئين عن أثينا:

أولًا، لم يكن ينقص أثينا أي شيء، بدءًا من عقود نشر أكثر من كتاب فور تخرجها في الجامعة مع إحدى دور النشر الكبرى، مرورًا بشهادة ماجستير في الكتابة الإبداعية من إحدى أشهر ورش التأليف، ووصولًا إلى سيرة ذاتية تزخر بمشاركات في برامج فنية مرموقة وقائمة طويلة من ترشيحات الجوائز. وفي عمر السابعة والعشرين، نشرت ثلاث روايات متتالية، حققت كل واحدة منها نجاحًا أكبر من سابقتها؛ فبالنسبة لأثينا، لم يكن اتفاق نتفليكس حدثًا سيغير حياتها، بل مجرد سطر جديد في سجل نجاحاتها، وأحد الامتيازات الهامشية على طريق الشهرة الأدبية الذي انطلقت فيه بسرعة الصاروخ منذ تخرجها.

ثانيًا: كانت تحظى بالقليل جدًّا من الأصدقاء، ولعل هذا كان نتيجة لكل ما حققته من إنجازات ونالته من شهرة. يميل الكتَّاب في عمرنا، وهم شباب طموحون في بداية مسيرتهم يناهزون الثلاثين، إلى العمل في مجموعات. وتعج وسائل التواصل الاجتماعي بمؤشرات دالة على تشكُّل مثل هذه المجموعات؛ إذ يجد المرء

كتّابًا يُبدون إعجابهم بمقتطفات من مخطوطات بعضهم بعضًا غير المنشورة، مثل (أكاد أفقد عقلي من روعة هذا المشروع الذي لم ينته بعد) أو يصيحون بحماس عند الكشف عن أغلفة الكتب: (هذا رائع جدًا، بل أكاد أموت من السعادة!!!!) ، أو ينشرون صور سيلفي لتجمعاتهم في ملتقيات أدبية حول العالم. لكن صور أثينا على إنستجرام لم تضم أحدًا غيرها. كانت تغرد بانتظام بخصوص أخبارها المهنية ونكاتها الغريبة لمتابعيها البالغ عددهم سبعين ألفًا، لكن قلما ما كانت تشير إلى أي شخص آخر. لم تتفاخر بمعارفها، ولم تكتب ملاحظات دعائية عن كتب زملائها، ولم توصِ بها، ولم تشارك علنًا في التفاعل الاجتماعي المتكلف واليائس الذي ينخرط فيه الكتّاب في بدايات مسيرتهم، فطوال الفترة التي عرفتها فيها، لم أسمعها تشير إلى أي أصدقاء مقربين فيما عداي.

كنت أعتقد في السابق أنها متعالية؛ إذ كانت أثينا ناجحة بشكل مثير للحقد، ما جعل عدم رغبتها في الاختلاط بالبشر أمرًا منطقيًا! كانت أثينا، على الأرجح، تتحدث حصريًا مع ذوي الحسابات الموثقة على وسائل التواصل الاجتماعي والمؤلفين الأكثر مبيعًا الذين يمكنهم تسليتها بملاحظاتهم النادرة عن المجتمع الحديث. لم يكن لدى أثينا متسع من الوقت لتكوين صداقات مع الأقل شأنًا.

ومؤخرًا، تفتق ذهني عن نظرية أخرى ممثلة في كون الجميع يجدونها لا تُطاق، تمامًا كما أشعر نحوها! فمن الصعب أن يكون المرء صديقًا لشخص يتفوق عليه في كل مجال، وعلى الأرجح، لم يستطع أحد تحمل أثينا؛ لأنهم لا يستطيعون تحمل الشعور الدائم بالعجز عن الوصول إلى مستواها. أما أنا، فقد لازمتها إذ كنت بهذا القدر من البؤس.

وفي تلك الليلة، كنت وأثينا نجلس بمفردنا في مقهى صاخب وباهظ الأسعار على سطح مبنى في جورج تاون. كانت تسرف في تناول الكوكتيلات كما لو كانت مضطرة لإثبات أنها تقضي وقتًا ممتعًا، في حين كنت أعاقر الشراب؛ لأخفف من الجانب الشرير في داخلي الذي كان يتمنى لها الموت!

أصبحنا صديقتين بمحض المصادفة، إذ كنا نقطن في الطابق نفسه في السنة الأولى بجامعة ييل، ولعلنا أردنا أن نصبح كاتبتين منذ تشكُّل وعينا، فانتهى بنا

المطاف في ورش الكتابة الإبداعية نفسها في المرحلة الجامعية. نشرت كلٌّ منا قصصًا قصيرة في المجلات الأدبية نفسها في وقت مبكر من حياتنا المهنية. وبعد التخرج بعدة سنوات، انتقلنا إلى المدينة نفسها، إذ حصلت أثينا على منحة مرموقة في جامعة جورج تاون، حيث أُشيع أن أعضاء هيئة التدريس تأثروا كثيرًا بمحاضرة ألقتها كزائرة للجامعة الأمريكية، ما جعل قسم اللغة الإنجليزية يخصص لها وظيفة في الكتابة الإبداعية. ومن جهتي، فقد كانت إحدى قريبات والدتي تمتلك شقة في روسلين وأجّرتها لي شريطة أن أرعى نباتاتها. لم يكن بيني وبينها أي رباط روحي أو أي نوع من المواقف الإنسانية التي تربط بين البشر، بل كنا موجودتين في المكان نفسه فحسب، نفعل الأشياء ذاتها؛ لذا كان من الطبيعي أن ينشأ بيننا رباط من الألفة.

لكن على الرغم من أننا بدأنا من نقطة البداية عينها - في مادة "مقدمة إلى القصة القصيرة" مع الأستاذة ناتاليا جينز - فقد اتخذت مسيرتنا المهنية اتجاهات مختلفة تمامًا بعد التخرج.

لقد كتبت روايتي الأولى في نوبة من الإلهام خلال عام قضيته في ملل شديد أثناء عملي مع برنامج "التعليم من أجل أمريكا". كنت أعود إلى المنزل يوميًا بعد العمل لأنكّب على مسودة القصة التي أردت أن أرويها منذ طفولتي: قصة نمو وتطور غنية بالتفاصيل واللمسات الساحرة التي تتناول الحزن، والفقد، والأخوة بعنوان *فوق شجرة الجميز*. بعد أن أرسلت استفسارات إلى نحو خمسين وكيلًا أدبيًا دون نتيجة، قبلتها دار نشر صغيرة تُدعى "إيفرمور" خلال دعوة مفتوحة لتقديم الأعمال. بدت لي الدفعة المقدمة حينها مبلغًا ضخمًا- عشرة آلاف دولار مقدّمًا، مع أرباح إضافية بعد تغطية التكاليف. لكن ذلك كان قبل أن أكتشف أن أثينا حصلت على مبلغ من ستة أرقام مقابل روايتها الأولى مع دار "بنجوين راندوم هاوس".

انهارت دار نشر "إيفرمور" قبل ثلاثة أشهر من موعد طباعة كتابي. عادت حقوق الكتاب لي. وبمعجزة، استطاع وكيل أعمالي الأدبي - الذي وقّع معي بعد العرض الأول من "إيفرمور" - إعادة بيع الحقوق إلى واحدة من دور النشر الخمس الكبرى بمقدم قدره عشرون ألف دولار - "صفقة مُرضية،" وفقًا لما ورد في إعلان سوق الناشرين. بدا الأمر كأنني نجحت، وأن كل أحلامي بالشهرة والنجاح أصبحت على وشك التحقق، إلى أن اقترب موعد إطلاق الكتاب. حينئذ

قُلصت الطبعة الأولى من عشرة آلاف نسخة إلى خمسة آلاف فقط، وكذلك جولة الكتاب التي كانت مقررة في ست مدن إلى ثلاث محطات فقط في نطاق العاصمة واشنطن، ولم تتحقق الوعود بالحصول على اقتباسات من كُتّاب مشهورين. لم أحصل على طبعة ثانية أبدًا. بعت ما يقرب من ألفي أو ثلاثة آلاف نسخة إجمالًا، وقد طُرد محرري أثناء إحدى عمليات التقليص في صناعة النشر التي تحدث كلما تدهور الاقتصاد، وسُلِّمت إلى شخص يُدعى جاريت أظهر اهتمامًا ضئيلًا جدًّا بدعم الرواية، ما جعلني أتساءل أحيانًا ما إذا كان قد نسي أمري تمامًا.

لكن الجميع قالوا إن هذا هو المعتاد، إذ يمر كل شخص بتجربة سيئة مع أول كتاب له. وهذا ما اعتاد الناشرون عمله. تسود الفوضى نيويورك، إذ يُثقل كاهل المحررين ومسئولي الدعاية كلهم بالعمل، لكنهم يتقاضون أجورًا منخفضة، وتتكرر الأخطاء باستمرار. وليست الحال بأفضل في أماكن أخرى، إذ يكره كل كاتب دار النشر التي يتعامل معها؛ فلا توجد قصص خيالية ذات نهايات سعيدة، بل عمل شاق، وصبر، ومحاولات متكررة للحصول على فرصة العمر.

لكن لماذا إذًا، يحقق بعض الأشخاص الشهرة من المحاولة الأولى؟ قبل ستة أشهر من صدور رواية أثينا الأولى، حصلت على صورة شخصية كبيرة وجذابة في مجلة متخصصة في النشر واسعة الانتشار بعنوان "عبقرية النشر الجديدة هنا لتروي القصص التي تحتاج إليها مجتمعات آسيا وأمريكا اللاتينية (إيه إيه بي أي)"، وباعت حقوق ترجمة عملها في ثلاثين دولة مختلفة. أُطلقت روايتها الأولى وسط ضجة من الثناء النقدي في مجلات مثل: *نيويوركر* و*نيويورك تايمز*، واحتلت الصدارة في كل قوائم الكتب الأكثر مبيعًا لأسابيع. كانت جولة الجوائز في العام التالي أمرًا محسومًا مسبقًا، فكانت رواية أثينا الأولى *صوت وصدى*، التي تدور حول فتاة أمريكية صينية تستطيع استدعاء أرواح جميع النساء المتوفيات في عائلتها، واحدة من تلك الروايات النادرة التي توازن تمامًا بين الخيال التأملي والخيال التجاري. لذلك، حصلت على ترشيحات لجوائز بوكر، ونيبولا، وهوجو، والخيال العالمي، وفازت باثنتين منها. وكان ذلك قبل ثلاث سنوات فحسب. منذ ذلك الحين، نشرت كتابين آخرين، وأفاد الإجماع النقدي أنها باتت تتقدم وتتحسن مع كل إصدار.

لا يعني هذا أن أثينا ليست موهوبة، فهي كاتبة *رائعة*. لقد قرأت جميع أعمالها، ولم أكن غيورًا على نحو يمنعني من الاعتراف بالكتابة الجيدة عندما أراها. لكن نجومية أثينا لم تتعلق بالكتابة فحسب، بل تعلق الأمر بها؛ فأثينا ليو رائعة بشكل لا يُصدق. فحتى اسمها - أثينا لينج إن ليو - مذهل. أحسن السيد والسيدة ليو الاختيار، فاسمها مزيج مثالي بين العراقة والتميز. وُلدت في هونج كونج، ونشأت بين مدينتي سيدني ونيويورك، وتعلمت في مدارس داخلية بريطانية أكسبتها لهجة راقية وغامضة يتعذر تحديد مصدرها. كانت طويلة ونحيفة للغاية، ورشيقة كراقصة باليه سابقة، وجعلتها بشرتها بيضاء كالخزف وعيناها البنيتان الكبيرتان ذات الرموش الطويلة تبدو كنسخة صينية من آن هاثاواي (وليس هذا من ضروب التحيز، فذات مرة، نشرت أثينا صورة سيلفي لها مع "آن" من إحدى فعاليات السجادة الحمراء تلاصقت فيها أعينهما الأربع الكبيرة والمتشابهة، وكتبت تعليقًا بسيطًا: توأمان!).

إنها مذهلة!

كانت أثينا تحصل على كل شيء جيد، فهكذا تسير صناعة النشر. يختار النشر فائزًا، جذابًا، ورائعًا، وصغير السن أو لنقل بصراحة "متنوعًا" ثم يغمره بكل الأموال والموارد. إنه أمر عشوائي للغاية، أو ربما ليس عشوائيًا تمامًا، لكنه يعتمد على عوامل لا علاقة لها بجودة النصوص. أثينا امرأة جميلة، متعلمة في ييل، ذات شهرة على مستوى العالم، وغير تقليدية، ذات بشرة ملونة، وقد اختارها ذوو السلطة والنفوذ. وفي الوقت نفسه، لم أكن سوى جوني هايوارد ذات العينين البنيتين - وكذلك الشعر - القادمة من فيلادلفيا، ومهما عملت بجد، أو أحسنت الكتابة، فلن أكون أثينا ليو أبدًا.

توقعت أن تخرج أثينا من دائرة معارفي بنجاحها في الكتاب الأول. لكنها لم تنفك تبعث الرسائل الودية مثل: كيف تسير الكتابة اليوم؟ هل وصلت إلى عدد الكلمات المستهدف كل يوم؟ حظًا سعيدًا مع موعد التسليم! كما راحت ترسل الدعوات: لتتناول مارجريتا في وقت العروض الخاصة في "إل سنترو،" أو إفطار متأخر في "زايتينيا"، أو نحضر" عرض شعر في شارع "يو". كانت صداقتنا من النوع السطحي الذي يقضي فيه المرء وقتًا طويلًا مع شخص ما دون أن تعرفه من الداخل بشكل جيد. لم أعرف حتى ما إذا كان لديها أشقاء، ولم تسألني أبدًا عن

أصدقائي. بيد أننا كنا نكثر من الخروج معًا، إذ كان وجودنا في العاصمة واشنطن مريحًا، كما كان من الصعب تكوين صداقات جديدة كلما تقدم المرء منا في العمر.

بصراحة، لم أكن متأكدة من سبب حب أثينا لي. كانت دائمًا تعانقني عندما تَرَانِي وتترك إعجابًا على منشوراتي على وسائل التواصل الاجتماعي على الأقل مرتين في الأسبوع. كما كنا نخرج لتناول المشروبات على الأقل كل شهرين، وكانت هي مَن تدعوني معظم الوقت. لكن، لم يكن لديّ أدنى فكرة عما يمكنني أن أقدمه لها، إذ لم أمتلك أي سلطة، أو شهرة، أو علاقات تجعل الوقت الذي تمضيه معي ذا قيمة لها.

لطالما شككت في قرارة نفسي أن أثينا تحب صحبتي تحديدًا؛ لأنني لم أستطع منافستها. كنت أفهم عالمها تمام المعرفة، لكنني لم أكن أمثل تهديدًا لها. كما كانت إنجازاتها أبعد ما تكون عن متناولي، ما جعلها لا تتورع عن مجاهرتي بمفاخرها دون أن تشعر بالذنب. ألا يريد المرء صديقًا لا يتحدى تفوقه إذ يعلم مسبقًا أنها محاولة ستئول للفشل؟ ألسنا جميعًا بحاجة إلى شخص نفرغ فيه طاقتنا السلبية؟

قالت أثينا: "لا يمكن أن تكون الأمور بهذا السوء، فأنا متأكدة أنهم فقط يقصدون تأجيل طرح النسخة الورقية لبضعة أشهر."

قلت: "لم تؤجل، بل ألغيت. أخبرني بريت بأنهم فقط ... لم يستطيعوا أن يجدوا لها مكانًا على جدول الطباعة".

ربتت كتفي وقالت: "أوه، لا داعي للقلق. ستحصلين على المزيد من العوائد من نسخ الكتب ذات الغلاف المقوى على أية حال! هناك دائمًا جوانب إيجابية، أليس كذلك؟".

يا لجرأتكِ أن تفترضي أنني سأحصل على أي عوائد! لم أقل ذلك بصوت عالٍ. لو أخبرت أثينا بأنها تفتقر إلى اللباقة، لبالغت في اعتذارها، وهذا أصعب من مجرد كبح غضبي.

كنا في مقهى على سطح منزل جراهام جالستين على أريكة صغيرة نشاهد الغروب. كانت أثينا تحتسي ثاني كوب من الإسبريسو، وأنا أحتسي ثالث كوب من

اللاتيه. لقد تطرقنا إلى موضوع مشكلاتي مع ناشري، وهو ما ندمت عليه بشدة، لأن كل كانت تراه أثينا مواساة أو نصيحة كان دائمًا ما يبدو كأنه نكء للجروح!

قلت: "لا أريد أن أغضب جاريت. حسنًا، بصراحة، أعتقد أنه فقط يتطلع لرفض الخيار حتى يتخلص مني".

قالت أثينا: "أوه، لا تستهيني بنفسك. أليس هو من اشترى روايتك الأولى؟".

قلت: "لا لم يفعل". كان عليَّ أن أذكّر أثينا بذلك في كل مرة. كانت ذاكرتها ضعيفة كذاكرة سمكة عندما يتعلق الأمر بمشاكلي، وكان أي أمر يحتاج إلى تكرارين أو ثلاثة لتثبيت أي شيء في ذهنها. "فُصل الوكيل الذي اتخذ قرار روايتي الأولى بالفعل، وتم تمرير الأمر إلى جاريت لاحقًا، وكلما تحدثنا عن الموضوع، بدا كأنه يؤدي واجبًا فحسب".

قالت أثينا بحماس: "حسنًا، تبًا له! ما رأيك بمشروبات أخرى؟".

كانت المشروبات في هذا المكان باهظة الثمن، لكن لا بأس، إذ كانت أثينا تدفع. كانت دائمًا تشتري؛ وفي هذه المرحلة، كنت قد توقفت عن العرض بأن أدفع. لا أظن أن أثينا قد فهمت حقًا مفهوميّ "غالي" و"رخيص". انتقلت من جامعة ييل إلى درجة ماجستير ممولة بالكامل إلى مئات الآلاف من الدولارات في حسابها البنكي. ذات مرة، حين أخبرتها بأن وظائف النشر المبدئية في نيويورك دخلها نحو خمسة وثلاثين ألف دولار سنويًا، حدقت إلى وجهي وسألت: "هل هذا كثير؟".

قلت: "أود الحصول على مياه فوارة". كان ثمن الكوب الواحد تسعة عشر دولارًا.

"حسنًا حبيبتي". نهضت أثينا واتجهت نحو النادل، ابتسم لها النادل وأبدت دهشتها بأن وضعت يداها على فمهان كما لو كانت ممثلة شهيرة. يبدو أن أحد الرجال في المقهى أرسل لها كأسًا من المياه الفوارة. غطت ضحكتها الرقيقة والسعيدة على الموسيقى: "نعم، نحن نحتفل. لكن هل يمكنني الحصول على كأس آخر لصديقتي أيضًا على حسابي؟".

لم يرسل لي أحد مياهًا فوارة كهدية من قبل، لكن هذا كان أمرًا معتادًا بالنسبة لأثينا؛ إذ كانت تحظى بالاهتمام في كل مرة نخرج فيها، إما من قِبَل القراء المتحمسين الذين يرغبون في التقاط سيلفي والحصول على توقيع، وإما من قبل

الرجال والنساء على حد سواء الذين يجدونها فاتنة. أما أنا، فكنت غير مرئية بالنسبة لهم تمامًا.

عادت أثينا للجلوس بجانبي وأعطتني كأسي: "إذًا.. هل تريدين سماع تفاصيل اجتماع نتفليكس؟ يا إلهي يا جوني، كان الأمر غير عادي. قابلت الرجل الذي أنتج "ملك النمر. ملك النمر!"

قلت في نفسي: *كوني سعيدة من أجلها، فقط كوني سعيدة من أجلها، ودعيها تستمتع بهذه الليلة.*

دائمًا ما يصف الناس الغيرة بأنها شعور حاد، وسام، ومريع، بل ولاذع وحقير كذلك؛ لكنني اكتشفت أن الغيرة، بالنسبة للكُتَّاب، أشبه بالخوف. الغيرة هي تلك الزيادة المفاجئة في نبضات قلبي عندما أرى أخبار نجاح أثينا على تويتر، سواء أكانت تلك الأخبار هي عقد كتاب آخر، أو ترشيحات جوائز، أو ربما إصدارات خاصة، أو صفقات حقوق ترجمة. الغيرة هي المقارنة المستمرة بيني وبينها والخروج دائمًا خاسرة؛ وهي الذعر من أنني لا أكتب بالجودة أو السرعة الممكنة، وأنني لا ولن أفي بالغرض على الإطلاق. تعني الغيرة أن مجرد معرفة أن أثينا وقَّعت عقدًا بمبلغ يحتوي على ستة أرقام مع نتفليكس أنني سأكون مشتتة لمدة أيام، وغير قادرة على التركيز على عملي الخاص، وغارقة في الخجل والاشمئزاز من نفسي في كل مرة أرى فيها أحد كتبها في عرض مكتبة.

انتاب كل كاتب أعرفه هذا الشعور تجاه شخص آخر، فما الكتابة إلا نشاط فردي. ولا يضمن المرء أن ما تكتبه ذو قيمة، وأي مؤشر على تأخرك في المنافسة المحمومة يدفعك للانزلاق إلى هاوية اليأس. يقولون ركز *على ورقتك الخاصة*. لكن هذا صعب عندما تتطاير أوراق الجميع باستمرار أمام وجهك.

على الرغم من أنني شعرت بنوع قاسٍ من الغيرة أيضًا، عندما سمعت أثينا تتحدث عن مدى حبها *لمحررتها*، وهي مصدر كبير للإلهام الأدبي، المدعوة مارلينا نج التي "انتشلتني من الغموض" والتي "تفهم حقًّا ما أحاول القيام به على المستوى الحرفي" كنت أحدق إلى عيني أثينا البنيتين المحاطتين برموشها الضخمة التي تجعلها تشبه حيوان غابة من أفلام ديزني، وأتساءل: *ماذا يعني أن تكوني أنتِ؟* ماذا يعني أن يكون المرء بهذه الكمال المستحيل ويمتلك كل شيء جيد في العالم؟ وربما كان ذلك بسبب خيال الكتابة مفرط النشاط، لكنني شعرت بانقباض في معدتي،

وبرغبة غريبة في أن ألصق أصابعي في فمها المدهون باللون الأحمر الفاقع، وأمزق وجهها، وأنزع جلدها عن جسدها كما لو كان برتقالة وأضعه فوق جسدي.

"وكأنها *تفهمني* تمامًا، وكأنها تراقص كلماتي. يشبه الأمر رقصة فكرية" ضحكت أثينا، ثم قطبت أنفها بشكل جذاب. كتمت الرغبة في قرصه. "هل فكرت يومًا في عملية المراجعة وكأنها عملية تزاوج مع محررك؟ وكأنك تصنعين طفلًا أدبيًا ضخمًا؟".

أدركت أنها كانت ثملة؛ لقد نسيت مرة أخرى أنني في الواقع أكره محرري بشدة.

كانت الثمالة تفقد أثينا تركيزها. عرفت ذلك بعد أسبوع من بداية السنة الأولى، في حفلة منزلية لأحد الطلاب الأكبر سنًا في إيست روك، حيث أمسكت بشعرها وهي تتقيأ في وعاء المرحاض. كان ذوقها فاخرًا وتهوى التفاخر بكل ما تعرفه عن الحفلات، لكنها لم تكن قد احتست سوى قليل حين احمرت وجنتاها وبدأت جملها تتشوش. كانت أثينا تحب الإسراف في الشراب، وحين كان هذا يحدث، كانت تتصرف بتعالٍ ومبالغة.

لقد لاحظت هذا السلوك لأول مرة في "سان دييجو كوميك - كون". كنا متجمعين حول طاولة كبيرة في مقهى الفندق وكانت تضحك بصوت عالٍ جدًا، وقد احمرت وجنتاها، بينما كان الرجال الجالسون بجانبها - كان ليتم الكشف على تويتر أن أحدهم كان شخص اعتاد التحرش - يحدقون إلى جسدها بحماسة. كانت تقول: "يا إلهي! لست جاهزة لهذا. سينفجر كل شيء في وجهي. لست جاهزة. هل تعتقدون أن الجميع يكرهونني. هل تعتقدون أن الجميع يكرهونني في قرارة أنفسهم، وأن لا أحد سيخبرني بذلك؟ هل ستخبرونني حقًا لو كرهتموني؟".

أكد لها الرجال وهم يربتون كتفيها: "لا، لا، لا يستطيع أحد أن يكرهك".

ظننت في البداية أن هذا التصرف كان مجرد حيلة لجذب الانتباه، لكنها تصبح بهذه الحالة أيضًا عندما نكون بمفردنا، إذ تصبح ضعيفة للغاية. تبدأ كأنها على وشك الانخراط في البكاء، أو كأنها سوف تكشف عن أسرار لم تخبر بها أحدًا من قبل. من الصعب مشاهدتها في تلك الحالة. ثمة شيء يائس في ذلك، ولم أعرف أي الأمرين يخيفني أكثر. هل كانت ماكرة على نحو يجعلها تتصرف هكذا، أم كان كل ما تقوله صحيحًا؟

على الرغم من كل الموسيقى الصاخبة واهتزازات الصوت، بدا مقهى جراهام مهجورًا - لم يكن هذا مفاجئًا، إذ كانت ليلة الأربعاء. اقترب رجلان ليقدما لأثينا رقميهما، لكنها طردتهما. كنا المرأتين الوحيدتين في المكان. بدا السطح هادئًا وخانقًا على نحو مخيف؛ لذا أنهينا تناول الشراب وغادرنا. فكرت بارتياح أن اليوم كان لينتهي عند هذه المرحلة، لكن أثينا دعتني إلى شقتها التي تقع على مسافة قصيرة عبر ليفت، بالقرب من دوبونت سيركل.

قالت بإصرار: "تعالي، فإنني أحتفظ ببعض الشراب الفاخر خصيصًا لهذه اللحظة. يجب أن تأتي لتجربيه".

كنت متعبة، ولم أكن أشعر بمتعة، لكنني كنت فضولية لرؤية شقتها، فوافقت.

كانت بارعة الجمال، علاوة على ثرائها بسبب ارتفاع عائدات كتبها - لكنني لم أكن قد أدركت مدى ثرائها حتى دخلنا إلى شقتها في الطابق التاسع، وهي وحدة مكونة من غرفتين حيث تعيش بمفردها - غرفة للنوم، وغرفة للكتابة - بأسقف عالية، وأرضيات خشبية لامعة، ونوافذ تمتد من الأرض إلى السقف، وشرفة واسعة. لقد زينت الشقة بذلك الأسلوب الشائع على إنستجرام الذي يشع بالبساطة والفخامة في آن واحد، بأثاثها الخشبي الأنيق، ورفوف الكتب بسيطة التصميم، والسجاد النظيف أحادي اللون، بل حتى النباتات بدت باهظة الثمن. كان جهاز تنقية الهواء يصدر صوتًا تحت نباتات الكالاثيا.

"أتريدين شرابًا أم شيئًا أخف؟" أشارت أثينا إلى ثلاجة المشروبات؛ إذ كانت تمتلك ثلاجة مخصصة للمشروبات. "لعلكِ تريدين كولا أم هذا العصير المستورد الرائع، ما لم ترغبي الالتزام بالمياه الفوارة..."

أجبت: "ليمون،" إذ تمثلت الطريقة الوحيدة لاجتياز هذه الليلة في أن أحصل على مشروب يهدئ اضطراب أعصابي.

"بالنعناع، أم الثلج، أم على الطريقة التقليدية؟".

اتضح أنه ليس لديَّ أي فكرة عن كيفية تناول الليمون. "ممم... سأشربه مثلما تشربينه".

"بالطريقة التقليدية إذًا". اندفعت إلى المطبخ. وبعد لحظات، سمعت الأدراج تُفتح، والصحون تصطدم بعضها ببعض. مَن كان يظن أن تحضير الليمون على الطريقة التقليدية يحتاج إلى كل هذا العناء؟

هتفت من الداخل: "هناك العصير الرائع، إنه لطيف للغاية. انتظري، ستفهمين".

أجبت: "بالطبع، يبدو رائعًا".

استغرقت وقتًا طويلًا، فرحت أصول وأجول بحثًا عن الحمام، إذ كنت في أمسّ الحاجة إليه. تساءلت عما سأجده هناك. لعله جهاز رائحة عطرية فاخر أو سلة مملوءة بحجر اليشب.

لاحظت حينها أن باب مكتبها مفتوح على مصراعيه. بدا مكانًا رائعًا؛ لم يسعني إلا أن ألقي نظرة. تعرفت عليه من منشوراتها على إنستجرام. كانت تطلق عليه اسم "قصر الإبداع" الخاص بها، إذ كان لديها مكتب ضخم من خشب الماهوجني بأرجل منحنية تحت نافذة محاطة بستائر مثقوبة ذات طابع فيكتوري، وعلى الطاولة توجد آلة كاتبة سوداء كانت تعدها من أغلى ممتلكاتها.

كانت أثينا تستخدم آلة كاتبة بالفعل، فلا نسخ احتياطية على برنامج وورد، ولا على مستندات جوجل، ولا برنامج سكرايفر، بل مجرد خربشات في دفاتر مولسكين تصبح خطوطًا عريضة على أوراق ملاحظات لاصقة، ثم تتحول إلى مسودات مكتملة على ماكينة الكتابة الريمنجتون. كان هذا يجبرها على التركيز على مستوى الجملة، كما تدعي. (لقد قدمت هذا الرد في المقابلات الإعلامية عدة مرات، ما جعلني أحفظه). ما لم تكن تقرأ فقرات بأكملها دفعة واحدة، فتفقد التفاصيل الدقيقة في السياق الأكبر.

مَن يتحدث بهذه الطريقة؟ من يفكر بهذا الأسلوب؟

لقد صنعت هذه الآلات الكاتبة الحديثة الإلكترونية القبيحة وباهظة الثمن لهؤلاء الكتّاب الذين لا يستطيعون كتابة أكثر من فقرة دون أن يفقدوا تركيزهم ويقفزوا إلى وسائل التواصل الاجتماعي. لكن أثينا كانت تكره تلك الأجهزة وكانت تستخدم آلة كاتبة قديمة ضخمة وتتطلب منها شراء أحبار خاصة وصفحات سميكة وقوية لكتابة مسوداتها. قالت لي: "أنا ببساطة لا أستطيع الكتابة على الشاشة، يجب أن أرى الكلمات مطبوعة، إذ يشعرني ثبات الكلمات بالطمأنينة، كما يبدو الأمر دائمًا، وكأن كل ما أكتبه له وزن. إنه يربطني، ويوضح أفكاري، ويحثني على الدقة".

ثوغلت في المكتب. لم أكن بحالتي الطبيعية حتى إنني نسيت أن هذا يخالف قواعد الذوق. كانت هناك ورقة في الآلة، مكتوب عليها كلمة واحدة فقط: *النهاية*. وبجانب الآلة الكاتبة كانت هناك كومة من الصفحات التي بلغ ارتفاعها نحو ثلاثين سنتيمترًا.

ظهرت أثينا بجانبي، تحمل كوبًا في كل يد. قالت: "آه، هذا مشروع رواية عن الحرب العالمية الأولى. لقد انتهيت منه أخيرًا".

عُرفت أثينا بإخفائها مشاريعها الروائية حتى تنتهي منها: فلا مدققون، ولا مقابلات، ولا مشاركة مقاطع على وسائل التواصل الاجتماعي. حتى وكلاؤها ومحرروها لا يرون سوى العنوان حتى تنتهي من تأليف الرواية بشكل كامل. قالت لي مرة: "يجب أن تختمر الفكرة في ذهني حتى تصبح قابلة للتحقيق، لو عرضتها على العالم قبل أن تكتمل، لماتت". (أصابتني الدهشة لأن أحدًا لم ينتقد هذا المجاز المشوه، لكن يبدو أن كل ما تقوله أثينا مقبول). كان كل ما أفصحت به خلال العامين الماضيين أن هذه الرواية لها علاقة بتاريخ الحروب العسكرية في القرن العشرين، وأنها تمثل "تحديًا فنيًّا كبيرًا" بالنسبة لها.

قلت: "يا للهول! مبروك".

قالت بابتهاج: "كتبت الصفحة الأخيرة هذا الصباح. لم يقرأه أحد بعد".

"ولا حتى وكيلك؟".

انفجرت ضاحكة، وهي تقول: "يرتب جاريد الأوراق كما يوقع الشيكات".

"إنها رواية طويلة جدًّا". اقتربت من المكتب، ومددت يدي إلى الصفحة الأولى، ثم سحبتها على الفور. كان تصرفًا غبيًا، فلا يجوز أن ألتقط الأشياء هكذا.

وبدلًا من أن تصرخ في وجهي، أومأت أثينا بالإذن، وقالت: "ما رأيك؟".

"هل تريدينني أن أقرأها؟".

ضحكت: "حسنًا، أظن أنك لن تقرئيها كلها الآن. إنها طويلة جدًّا. أنا سعيدة فحسب لأنها انتهت. أليست هذه الكومة جميلة؟ إنها ثقيلة. إنها... ذات أهمية".

كانت تهذي، لكنني فهمت بالضبط ما تعنيه. كانت الرواية ضخمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فهي من الروايات التي تترك بصمة.

راحت أصابعي تحوم فوق الكومة. "هل يمكنني...؟".

أومـأت بحماس: "بالطبـع، بالطبـع... يجـب أن أعتـاد أن يكـون هـذا العمـل فـي الخـارج. يجب أن يخـرج للنـور".

يـا لغرابـة هـذا المجـاز وثباتـه! كنـت أعلـم أن قـراءة الصفحـات سـتزيد مـن غيرتي، لكنني لم أستطع منع نفسـي. أخذت كومة من عشـر أو خمس عشـرة صفحة من الأعلـى وبدأت أتصفحها.

يا إلهي! إنها رائعة.

لـم أكـن لأتمكـن مـن القـراءة فـي مثـل هـذه الحالـة، إذ كانـت عينـاي تسـرحان إلـى نهايـة كل فقـرة، لكـن حتـى مـن خـلال قـراءة سـريعة، عرفـت أن هـذا الكتـاب سيبهر الجميع. كانت صياغة العبارات محكمة ومتقنة. لم تكن هنـاك تلك الأخطاء الطفوليـة التـي اتسـم بهـا عملهـا الأول. لقـد نضجت كتابتها. كان كل شـيء متقنًا؛ كل وصـف، كل تعبيـر، بـل كل حـرف متنـاغـم.

بدا أفضل من أي شيء كتبته، ولعله كان أفضل شيء في الحياة.

سألتني: "هل أعجبتك؟".

بـدت متوتـرة. وراحـت تحـدق فـي ذعـر. كانـت تراقبنـي وهـي تعبـث بقلادتهـا. كم مـرة تفتعل هـذا المشـهد؟ وكم مرة ينهال عليها النـاس بالمديح عندما تفعل ذلك؟

كان أمـرًا تافهًـا، لكننـي لـم أرد أن أقـدم لهـا تلـك المصـادقـة. كانـت لعبتهـا تنجح مـع المراجعيـن المخلصين والمعجبين؛ لكنها لم تكن لتنجح معي.

قلت بوجه خالٍ من التعبير: "لا أعرف، لا أستطيع أن أقرأ وأنا في هذه الحالة".

بـدا عليهـا الإحبـاط، لكـن للحظـة فحسـب. راقبتهـا وهـي ترسـم ابتسـامة سـريعة علـى وجههـا. "بالطبـع، نعـم، كان ذلك غبيًا، بالطبع لن تسـتطيعي أن..." نظرت إلـى مرآتهـا، ثـم إلـيَّ، ثـم حـول غرفـة المعيشـة. "حسـنًا، هـل تريديـن أن... نسـترخي معًا؟".

ومن ثم، جلست لأقضي وقتًا مع أثينـا ليو.

تبيـن لـي أنـه حيـن تكـون أثينـا فـي هـذه الحالـة، تصبـح مذهلـة بشـكل مفاجئ. لم تسـألني عن هـايـدجر ولا آرنت، أو الفلاسـفة الذين تحب أن تذكرهم في المقابلات. ولـم تبدأ بالحديـث عـن الوقت الرائع الـذي قضته في عرض أزياء لبرادا في باريس (وهـو مـا حـدث مصـادفـة؛ فقـد رآهـا المخـرج جالسـة خـارج مقهـى وطلب منهـا أن تشـارك). بـل جلسـنا نضحـك معًـا علـى المشـاهير، ونتنـاقش حـول ذلـك الشـاب

الوسيم الذي لم يثر اهتمامنا، لكن كان باستطاعة كيت بلانشيت أن تفعل بنا ما تشاء، كما امتدحت أسلوبي في ارتداء ملابسي، وسألت من أين اشتريت حذائي، ودبوسي، وأقراط أذنيَّ. واندهشت من مهارتي في شراء الملابس الرخيصة... "ما زلت أشتري نصف ملابسي من تالبوتس، أتصرف مثل امرأة عجوز". جعلتها تضحك بقصص عن طلابي، مجموعة من الأولاد الذين يمتلكون وجوهًا مملوءة بحَب الشباب وأعين باهتة، والذين يمكنهم بسهولة الدخول إلى جامعة آيفي ليج من خلال علاقات عائلاتهم إذا تمكنوا فقط من رفع درجاتهم في اختبار السات بمائتي نقطة. كما حدثتها عن مقالاتهم الجامعية التي يكتبها لهم الآخرون، وكيف تعد مجرد محاولة لاختراع معاناة شخصية لم يمروا بها من الأساس! تبادلنا قصصًا حول فترات التعارف السيئة، وعن أشخاص عرفناهم منذ أيام الجامعة، وعن ارتباطنا بالشابين نفسيهما من جامعة برينستون!

وجدنا أنفسنا في النهاية ممدّدتين على أريكتها، نضحك بشدة حتى آلمتنا أضلعنا. لم أدرك من قبل أن بإمكاني قضاء وقت ممتع مع أثينا. لم أكن أبدًا على طبيعتي معها بهذا الشكل من قبل. عرفت كل منا الأخرى منذ أكثر من تسع سنوات، لكنني كنت متحفظة في وجودها لئلا تشعر بأنني لست ذكية أو مثيرة للاهتمام كما تعتقد، إضافة إلى ما حدث في السنة الأولى في الجامعة.

لكن تلك الليلة، ولأول مرة منذ وقت طويل، لم أشعر بأنني مضطرة لاختيار كلماتي بعناية فائقة. لم أشعر بأنني في صراع لإبهار أثينا اللعينة، بل كنت أقضي وقتًا ممتعًا معها فحسب.

قالت: "يجب أن نفعل هذا كثيرًا يا جونِي، بصراحة، كيف لم نفعل هذا من قبل؟".

قلت: "لا أعرف". ثم في محاولة لأن أبدو حكيمة: "ربما كنا خائفتين من مدى إعجاب كل منا بالأخرى".

كان من السخف أن أقول ما قلت، ولم يكن حقيقيًا بالمرة، لكن بدا أنه أسعدها.

قالت: "ربما ... ربما. أوه، جونِي. الحياة قصيرة جدًا. لماذا نبني هذه الجدران؟".

لمعت عيناها وظننت أنها ستنخرط في البكاء وتعانقني. *يا لها* من قصة! لكنها قفزت فجأة وأطلقت صيحة، وعندئذ أدركت أن كوب العصير الخاص بي

قد مال وانسكب على الأرض؛ لحسن الحظ، كانت الأرضية كلها كانت خشبية. فلو كنت قد أتلفت إحدى سجادات أثينا الثمينة، لألقيت بنفسي من الشرفة. ضحكت وركضت إلى المطبخ لإحضار منديل، في حين تناولت رشفة أخرى لأهدأ متعجبة من نبض قلبي المتسارع.

انتصف الليل دون أن نشعر ونحن نعد الفطائر دون استخدام خليط جاهز، مع إضافة عدة قطرات من مستخلص الباندان إلى الخليط الذي أصبح ذا لون أخضر لامع؛ لأن أثينا ليو لا تعد فطائر *عادية*. قالت موضحة: "إنه مثل الفانيليا، ولكنه أفضل. إنه عطري وعشبي، وكأنك تستنشقين عبق الغابة. لا أصدق أن العوالم المتحضرة لم تكتشف الباندان بعد". قلبتها من على المقلاة في طبقي. كانت الفطائر محترقة وغير متساوية، لكنها كانت ذات رائحة رائعة، وأدركت حينها أنني كنت أتضور جوعًا. التهمت واحدة بيدي، ثم رفعت رأسي لأرى أثينا تحدق إليَّ. مسحت أصابعي وأنا خائفة من أنني أثرت اشمئزازها، لكنها ضحكت بعد ذلك وتحدَّتني في مسابقة لتناول الطعام. وفجأة بدأنا نتابع عدَّاد الوقت ونحن نلتهم الفطائر اللزجة غير المطهوة جيدًا بأقصى سرعة ممكنة ونرتشف الحليب بين الحين والآخر لنساعد تلك الكتل على النزول في حلوقنا.

لهثت محاولة التنفس وقلت: "سبعة، ماذا..."

وفجأة أصبحت أثينا لا تنظر إليَّ. كانت ترمش بعينيها بشدة، وقد قطبت حاجبيها. وضعت يدها على حلقها ويدها الأخرى تضغط على ذراعي بشكل محموم. فغرت فاها بصوت متحشرج خافت ومقزز.

كانت تختنق.

كنت أعرف مناورة هيمليك أو ضغطات البطن - أو هكذا كنت أعتقد أنني أعرفها- لم تدر بخلدي منذ المرحلة الابتدائية. لكنني وقفت وراءها ولففت يدي حول خصرها، ثم جذبت يديَّ تجاه *بطنها*، وهو ما يجب أن يطرد الفطيرة - يا إلهي! كانت نحيفة للغاية - لكنها راحت تهز رأسها وتطرق ذراعي. لم تخرج الفطيرة. جذبت مجددًا، بل ومرارًا وتكرارًا، ولم أفلح. خطر ببالي أن أخرج هاتفي لأبحث عن "مناورة هيمليك" علِّي أشاهد فيديو تعليميًّا على يوتيوب. لكن لم يكن هناك وقت، إذ كان سيستغرق وقتًا طويلًا.

وقفت أثينا تضرب على الأسطح، وقد تحول وجهها إلى اللون الأرجواني.

تذكرت قراءتي مقالة إخبارية قبل بضع سنوات عن فتاة في نادٍ نسائي اختنقت حتى الموت في مسابقة لأكل الفطائر. تذكرت تدقيقي في التفاصيل بشغف مريب؛ لأن الأمر بدا كأنه طريقة مفاجئة وسخيفة ومدمرة للموت. *كانت الفطائر مثل كتلة من الأسمنت في حلقها*، كما قال المسعف. كتلة من الأسمنت.

سحبت أثينا ذراعي؛ وأشارت إلى هاتفي.

تحركت شفتاها: *النجدة ... النجدة ... النجدة.*

كانت أصابعي ترتجف، واستغرق الأمر مني ثلاث محاولات لفتح هاتفي للاتصال برقم النجدة 911. سألوني عن نوع الطارئ.

قلت وأنا ألهث: "أنا مع صديقة، إنها تختنق. جربت مناورة هيمليك؛ لكن الفطيرة لم تخرج..."

بجانبِي، كانت أثينا تتلوى على الكرسي، وتضغط على صدرها محاولةً أداء مناورة هيمليك على نفسها. أصبحت حركاتها أكثر فزعًا لكن الأمر لم ينفع؛ لم يخرج أي شيء من فمها.

"سيدتي، ما موقعك؟".

تبًّا! لم أكن أعرف عنوان أثينا.

"لا أعرف، إنه منزل صديقتي" حاولت أن أفكر. "ممم، مقابل محل التاكو، والمكتبة، لا أعرف بالضبط ... "

"هل يمكنك أن تكوني أكثر دقة؟".

"دوبونت! دوبونت سيركل. ممم - إنه على بُعد مبنى واحد من محطة المترو، يوجد باب دوار جميل... "

"هل هو مبنى شقق؟".

"نعم ..."

"هل هو "الإندبندنت؟ الماديسون؟".

"نعم! الماديسون هذا".

"أي شقة؟".

لم أكن أعرف. التفت إلى أثينا، لكنها كانت مثنية على الأرض تتلوى ذهابًا وإيابًا بطريقة مروعة. ترددت ممزقة بين مساعدتها والتحقق من رقم الباب -

لكنني تذكرت، الطابق التاسع على ارتفاع يجعل المرء يرى ميدان دوبونت كله من الشرفة. قلت لاهثة: "تسعة - صفر - سبعة، من فضلك، أسرعوا، يا إلهي... "

"سيارة إسعاف في طريقها إليك الآن، سيدتي. هل المريضة واعية؟".

ألقيت نظرة خلف كتفي. كانت أثينا قد توقفت عن الركل. كان الشيء الوحيد الذي يتحرك الآن هو كتفيها، حيث كانتا تصعدان وتهبطان وهما تتشنجان وكأنها مصابة بحالة صرع.

ثم توقفت تلك الاهتزازات أيضًا.

"سيدتي؟".

أنزلت الهاتف. بدأت رؤيتي تتشوش. مددت يدي وهززت كتفها: بلا نتيجة. كانت عينا أثينا مفتوحتين على اتساعهما، كأنهما تنتفخان؛ لم أستطع تحمُّل النظر إليهما. وضعت أصابعي على رقبتها للتحقق من نبضها، فلم أستشعر أي شيء. قال الرجل على الهاتف شيئًا آخر، لكنني لم أتمكن من فهمه؛ بل لم أتمكن من فهم أفكاري الخاصة، وبدا كل ما حدث بعد ذلك، بين طرق الباب واندفاع فرق الطوارئ إلى الشقة، صورًا غامضة ومربكة.

لم أعد إلى المنزل حتى صباح اليوم التالي.

اتضح أن توثيق الموت يستغرق وقتًا طويلًا جدًا. كان يجب على فرق الطوارئ التحقق من كل التفاصيل المزعجة قبل أن يتمكنوا من كتابة ملاحظاتهم على دفاترهم: *أثينا ليو، سبعة وعشرون عامًا، أنثى، توفيت بسبب اختناقها، حتى الموت، بواسطة فطيرة بان كيك لعينة.*

أدليت بشهادتي. حدقت بتركيز شديد إلى عيني المسعفة أمامي. كانتا زرقاوين شاحبتين، بينما علقت تكتلات كبيرة من الماسكارا على رموشها الخارجية، لأشغل نفسي عن النقالة في المطبخ خلفي، حيث كان المسعفون بزيهم الرسمي يغطون جثة أثينا بغطاء بلاستيكي. *يا إلهي. يا إلهي، تلك جثة مغطاة. هذا حقيقي.. لقد استحالت أثينا إلى مجرد جثة غادرتها الحياة.*

"الاسم؟".

"جوني - عذرًا، جونيبير هايوارد".

"العمر؟".

"سبعة وعشرون".

"كيف تعرفين المتوفاة؟".

"إنها - كانت - صديقتي. كنا صديقتين منذ أيام الجامعة".

"وماذا كنتما تفعلان هنا الليلة؟".

"كنا نحتفل". شعرت بالدموع تلسع خلف أنفي. "كنا نحتفل؛ لأنها قد وقّعت للتو عقدًا مع شبكة نيتفليكس، وكانت سعيدة جدًا".

خشيت أن يعتقلوني بتهمة القتل. لكن كان هذا سخيفًا، فقد اختنقت أثينا، والكتلة (ظلوا يسمونها كتلة - ما نوع الكلمة هذه "كتلة"؟) هناك في حلقها. لا توجد علامات على أي مقاومة، فهي من سمحت لي بالدخول، ورآنا الناس ونحن نتحدث بود في المقهى - أردت أن أقول: اتصلوا بالفتى من مقهى جراهام، فسوف يؤكد براءتي.

لكن لماذا أحاول حتى اختراع دفاع؟ يجب ألا تكون هذه التفاصيل ذات أهمية. أنا لم أفعلها. لم أقتلها. هذا سخيف؛ من السخيف أن أقلق حتى بشأن ذلك، بل لن تدينني المحكمة.

أخيرًا، سمحوا لي بالرحيل. كانت الساعة الرابعة صباحًا. عرض عليَّ أحد الضباط - في مرحلة ما وصل رجال الشرطة، وهو أمر يحدث عندما تكون هناك جثة - أن يقلني إلى منزلي في روسلين. قضينا معظم الرحلة في صمت، وعندما وصلنا إلى مبناي، قدم لي بعض التعازي التي سمعتها لكنني لم أتجاوب معها. ترنحت إلى شقتي، وخلعت حذائي وبعض ملابسي، ثم نظفت فمي ببعض الغسول، وارتميت على سريري. بكيت لبعض الوقت، وانتحبت بشدة لتفريغ تلك الطاقة المؤلمة التي كانت تمزق جسدي، ثم بعد تناول حبة ميلاتونين واثنتين من لونستاس، تمكنت من النوم.

في تلك الأثناء، كانت مخطوطة رواية أثينا مستقرة في حقيبتي، مثل كيس ساخن من الجمرات.

الفصل الثاني

أرى أن الحداد على شخص متوفى لم تكن تربطك به صلة قوية أمر غريب. كانت أثينا صديقة عادية بالنسبة لي، ولم تكن مقربة. أشعر بأنني قاسية كي أقول هذا، ولكنها لم تكن - بأية حال- ذات أهمية كبيرة في حياتي، كما أنها لم تترك فراغًا عميقًا على النحو الذي يجعلني أشعر بأنني أحتاج لملئه. لم أشعر بالخسارة الفادحة والخانقة التي شعرت بها عندما توفي والدي مثلًا. لم أعانِ ضيقًا في التنفس. لم أستلقِ في الصباح أفكر فيما إذا كان جديرًا بي أن أنهض من الفراش. لم أشعر بالسخط على كل غريب أقابله وأتساءل كيف يمكنهم المضي في هذا العالم كأنه لم يتوقف عن الدوران للتو.

لم تحطم وفاة أثينا عالمي، ولكنها جعلته... أغرب. سارت أيامي على النحو المعتاد. كنت بخير في معظم الأوقات، ما لم أفكر بعمق وأجتر الذكريات.

لم أستطع محو ذكرى وجودي *هناك*. شاهدت أثينا تموت. في الأسابيع الأولى كانت الصدمة تهيمن على مشاعري أكثر من الحزن. لقد حدث ذلك حقًّا. شاهدت قدميها تضربان الأرضية الخشبية بأقصى قوتهما، وأصابعها تمسك بعنقها. جلست بجانب جثتها لمدة عشر دقائق كاملة قبل أن يصل المسعفون. رأيت عينيها مفتوحتين على اتساعهما، مذعورتين، بلا حياة. لم تجعلني تلك الذكريات أبكي،

بل لا يمكنني وصف هذا كألم - لكنني ظللت أحدق إلى الحائط وأتمتم "ما هذا *الهراء*؟" عدة مرات في اليوم.

لا بد أن وفاة أثينا كانت في طليعة الأخبار، إذ امتلأ هاتفي برسائل من الأصدقاء الذين يحاولون تقديم الدعم بحذر. (مرحبًا، أطمئن عليكِ فحسب. كيف حالك؟) والمعارف الذين يسعون لمعرفة التفاصيل المثيرة كلها (يا إلهي! رأيت الأمر على تويتر هل كنتِ هناك فعلًا؟). لم أجد الطاقة للرد. شاهدت الأرقام الحمراء تتزايد في زوايا تطبيقات المراسلة باندهاش مشوب بالاشمئزاز.

نصحتني أختي روري بالانضمام إلى مجموعة دعم نفسية محلية، كما حددت موعدًا مع معالج متخصص في التعامل مع حالات الحزن. لكن كلا الأمرين جعل حالتي أكثر سوءًا؛ لأنه كان يتم افتراض وجود نوع من الصداقة لم يكن موجودًا في الحقيقة، وكان من الصعب جدًّا أن أشرح لماذا لم أكن أكثر تأثرًا بوفاة أثينا؛ لذلك لم أتابع مع أي منهما. لم أرغب في الحديث عن مدى افتقادي لها، أو عن الفراغ الذي خلفته. المشكلة أن أيامي بدت طبيعية تمامًا، باستثناء الحقيقة المحيرة والمفاجئة بأن أثينا *ماتت*، وأنها رحلت فجأة، ولا أعرف كيف كان يُفترض بي أن أشعر إزاء ما حدث؛ لذا بدأت أتجرع الشراب، وأتناول الطعام بنهم كلما تسلل الحزن في أوقات المساء، وزاد وزني قليلًا لعدة أسابيع بسبب أكل الآيس كريم واللازانيا، لكن هذا كان أسوأ ما حدث.

كنت مندهشة إلى حد كبير من مرونتي النفسية.

لكني في نهاية المطاف، انهرت فجأة بعد أسبوع من وقوع تلك الحادثة. لم أكن متأكدة مما أدى إلى ذلك، لكنني قضيت تلك الليلة أشاهد دروس هيمليك على يوتيوب لساعات، وأقارنها بما فعلته، وأحاول تذكر ما إذا كنت قد وضعت يدي بالطريقة نفسها، وما إذا كنت قد سحبت بالقوة الكافية. كان بإمكاني إنقاذها. ظللت أكرر ذلك بصوت عالٍ، مثل الليدي ماكبث وهي تصرخ بشأن البقعة المشئومة التي لطخت يدها. كان بإمكاني أن أتمالك نفسي، وأتعلم كيف أفعلها بشكل صحيح، فأضع قبضتي فوق سرتها بشكل صحيح، وأزيل العائق، وأجعل أثينا تتنفس مرة أخرى.

لقد تسببت في موتها.

"لاا". قالتها روري عندما اتصلت بها في الرابعة صباحًا. كنت أبكي على نحو أعجزني عن التحدث. "لا، لا، لا، لا تفكري في ذلك ولو للحظة، هل تفهمين؟ لم ترتكبي أي ذنب. *لم تقتلي تلك الفتاة. أنت بريئة*. هل تفهمين؟".

شعرت كأنني طفلة صغيرة وأنا أتمتم: "نعم. حسنًا. نعم".

لكن هذا ما كنت أحتاج إليه: إيمان أعمى كإيمان الطفل بأن العالم بسيط للغاية، وأنه إذا لم أكن أنوي فعل السوء، فإن أيًا من هذا ليس خطئي بالتأكيد.

سألتني روري بإلحاح: "هل ستكونين بخير؟ هل تريدين مني الاتصال بالدكتورة جايلي؟".

"لا، أرجوكِ، لا، أنا بخير. لا تتصلي بالدكتورة جايلي".

"حسنًا، فقط... لقد أخبرتنا بأنه إذا عدت للانتكاس..."

"لم أنتكس". التقطت نفسًا عميقًا. "ليس الأمر كذلك. أنا بخير يا روري. لم تكن علاقتي بأثينا وطيدة. لا بأس".

بعد بضعة أيام من انتشار الخبر، كتبت سلسلة تغريدات طويلة على تويتر عما حدث. شعرت كأنني أكتب من قالب جاهز، مستعينة بعدد لا يُحصى من منشورات الحداد التي قرأتها بنهم في الماضي. استخدمت عبارات مثل: "حادث مأساوي" و"لم يستوعب عقلي الأمر بعد" و"لا يزال الأمر يبدو غير حقيقي بالنسبة لي". لم أخض في التفاصيل، إذ كان هذا مبتذلًا، بل كتبت عن مدى ارتباكي، وعما كانت تعنيه أثينا بالنسبة لي، وعن مدى افتقادي لها.

ظل الغرباء يخبرونني بمدى أسفهم، ويطلبون مني أن أهون على نفسي، ويؤكدون أن شعوري بالارتباك بعد حادث صادم كهذا أمر طبيعي تمامًا. راحوا يصفونني بالشخص الجيد، ويتمنون لي أطيب الأمنيات، ويسألون ما إذا كان بإمكانهم إنشاء حملة تبرعات لعلاجي النفسي، فشعرت بإغراء المال، لكنني شعرت بعدم ارتياح للموافقة، بل إن شخصًا ما عرض أن يأتي بسيارته إلى منزلي ويُحضر لي وجبات منزلية يوميًا طوال الشهر المقبل. تجاهلت ذلك بالطبع، فلا يمكنك الوثوق بأي شخص على الإنترنت، ومن يدري إذا كانوا سيأتون حقًا ليقوموا بتسميمي؟

حصلت تغريدتي على ثلاثين ألف إعجاب في يوم واحد. كان أكبر قدر من الاهتمام تلقيته على تويتر. جاء معظم ذلك من شخصيات أدبية بارزة وشخصيات

معروفة بعلامات تحقق موثقة. شعرت بحماس غريب وأنا أراقب عداد المتابعين يرتفع كل ثانية. لكني شعرت بعدها باشمئزاز، فسجلت الخروج من حسابي على تويتر من جميع أجهزتي (أخذت استراحة من أجل صحتي النفسية. أشكركم جميعًا على اهتمامكم) وتعهدت بألا أسجل الدخول مجددًا حتى يمر أسبوع على الأقل.

حضرت جنازة أثينا، إذ دعتني والدتها للتحدث. اتصلت بي بعد الحادث ببضعة أيام، وكدت أسقط الهاتف عندما أخبرتني مَن هي؛ كان لديَّ شعور مفاجئ بالخوف من أنها ستستجوبني أو تتهمني بقتل ابنتها، لكنها لم تنفك تعتذر، وكأن وقاحة أثينا هي ما جعلها تموت في وجودي!

أقيمت الجنازة في دار عبادة كورية في روكفيل، وهو أمر غريب بالنسبة لي؛ لأنني ظننت أن أثينا صينية الأصل. لكن لا بأس. ما لفت انتباهي هو قلة عدد أترابي. كان معظم الحضور من كبار السن من الآسيويين، على الأرجح أصدقاء والدتها. لم أتعرف على أي كاتب ولا أي شخص من الجامعة. لعل الجنازة قد اقتصرت على أعضاء الجالية، ولعل معارف أثينا الفعليين قد حضروا التأبين الذي نظمته رابطة الكُتاب الآسيويين الأمريكيين.

لحسن الحظ، كان التابوت مغلقًا.

كان العديد من كلمات التأبين بالصينية؛ لذا جلست هناك في إحراج باحثة حولي عن إشارات لمعرفة متى أضحك، أو أهز رأسي، وأبكي. وعندما حان دوري، قدمتني والدة أثينا كإحدى أقرب صديقات ابنتها.

قالت السيدة ليو: "كانت جونى موجودة في ليلة موت أثينا، وقد بذلت قصارى جهدها لإنقاذها".

هذا كل ما تطلبه الأمر كي تنهمر دموعي. هتف هاجس سيئ ومتشائم في ذهني: *لكن هذا شيء جيد*، إذ يجعل البكاء حزني يبدو حقيقيًّا ويبعد الأنظار عن حقيقة عدم معرفتي ما الهراء الذي كنت أفعله هنا.

قلت: "كانت أثينا مدهشة". وكنت أعني ما أقوله "كانت شخصية أسطورية، لا تُضاهى. كانت تشبه في حماسها وموهبتها الشمس المتوهجة، فكان التطلع إليها طويلًا يؤذي الأعين، لا سيما أعين الحاقدين".

تحملت نصف ساعة من التأبين ثم اختلقت عذرًا للمغادرة. لم أستطع تحمل المزيد من الطعام الصيني ذي الرائحة النفاذة وكبار السن الذين لا يستطيعون أو لا يريدون التحدث بالإنجليزية. وفيما كنت أودعها، ضغطت السيدة ليو عليَّ وهي تشهق. أجبرتني على إعطائها وعدًا بالبقاء على اتصال، وأن أخبرها كيف حالي. تركت دموعها الملطخة بالكحل بقعًا متكتلة على بلوزتي المخملية لا يمكن إزالتها حتى بعد غسلها عدة مرات، ما جعلني ألقي الزي بأكمله في سلة المهملات.

ألغيت جلسات تدريسي لبقية الشهر. (كنت أعمل بدوام جزئي في معهد فيريتاس كوليدج حيث أدرس اختبار السات وأكتب مقالات التقديم بشكل غير رسمي، وهو العمل الافتراضي لكل خريج من جامعات رابطة آيفي الذين لم تكن لديهم فرص للوصول إلى مستقبل أفضل). غضب رئيسي، واستاء الأهالي الذين حجزوا الدروس معي وكانوا محقين، لكنني ببساطة لم أستطع الجلوس في غرفة بلا نوافذ ومراجعة إجابات قطع الفهم المقروءة متعددة الخيارات مع أطفال يمضغون العلكة ويرتدون تقويمات أسنان وأنا في تلك الحالة. لم يكن باستطاعتي هذا. قلت بحدة عندما اتصلت بي والدة أحد الطلاب لتشتكي: "الأسبوع الماضي شاهدت صديقة تتلوى على الأرض حتى ماتت أمام ناظريَّ؛ لذلك أعتقد أنني يمكنني أخذ إجازة حداد، هل هذا مقبول؟".

لم أخرج خلال الأسابيع التالية، بل مكثت في شقتي مرتدية البيجاما طوال اليوم. طلبت من مطعم شيبوتلي على الأقل اثنتي عشرة مرة. شاهدت حلقات قديمة من مسلسل *المكتب* حتى تمكنت من تكرار كلماتهم قبل أن يقولوها، فقط لأجد شيئًا يهدئ نفسي.

وأيضًا بدأت اقرأ.

كانت أثينا على حق في حماسها، إذ كانت رواية *الجبهة الأخيرة* تحفة فنية.

اضطررت إلى الغوص في موسوعة ويكيبيديا لبعض الوقت لأعيد ترتيب أفكاري. تناولت المساهمات والتجارب غير المسموعة لفيلق العمل الصيني المكون من 140,000 عامل صيني جنَّدهم الجيش البريطاني، وأرسلوا إلى الجبهة المتحالفة إبان الحرب العالمية الأولى، حيث قُتِل العديد منهم جراء القنابل،

والحوادث، والأمراض. كما أسيئت معاملتهم عند وصولهم إلى فرنسا حيث تم الاحتيال عليهم في أجورهم، وإيداعهم بمساكن قذرة وضيقة، وحرمانهم من المترجمين، علاوة على تعرضهم للهجوم من قبل عمال آخرين؛ لذا لم يعد العديد منهم إلى وطنهم.

ثم مزحة يتداولها الناس عن أولئك الكتاب ذوي الرؤية الجادة إذ إنهم لا بد في مرحلة ما يؤلفون رواية حرب ملحمية، وأعتقد أن هذا ينطبق على رواية أثينا؛ فقد كانت تتمتع بالثقة، والأسلوب الشعري البسيط والضروري لسرد قصة ثقيلة الوطأة دون أن تبدو ثمة مبالغة، أو سطحية، أو ذات تحيزات فكرية. وتميل معظم ملاحم الحرب الكبيرة التي يكتبها شباب الكتّاب إلى أن تكون مجرد تقليد لملاحم الحرب الكبرى؛ إذ يظهرون وكأنهم أطفال يمتطون خيولًا خشبية! لكن ملحمة الحرب التي كتبتها أثينا بدت كصدى من ساحة المعركة؛ كانت *حقيقية*.

اتضح ما كانت تعنيه حين قالت إن تلك الرواية هي التطور الحقيقي في حرفتها الروائية. حتى الآن، كانت رواياتها تعرض سردًا خطيًا، جميعها مكتوب باستخدام زمن الماضي ومن منظور الغائب لشخصية رئيسية واحدة. ولكن هنا، قامت أثينا بأمر مشابه لما فعله كريستوفر نولان في فيلم *دانكيرك*، فبدلًا من تتبع قصة واحدة محددة، دُمجت روايات ووجهات نظر مختلفة لتشكيل مجموعة عناصر مؤثرة؛ حشد يصرخ بصوت واحد، أما عن التأثير السينمائي، يستطيع المرء تقريبًا يتخيله، بأسلوب وثائقي: تعددية أصوات تميط اللثام عن الماضي.

كان من المذهل أن تكون قصة بلا شخصية محورية بمثل تلك الجاذبية؛ لكن عبارات أثينا مشوقة على نحو جعلني أندمج بين صفحات القصة، وأواصل قراءة الأوراق بدلًا من نسخها إلى حاسوبي المحمول. وجدتها قصة حب ممتزجة بقصة حرب، وتفاصيلها حية بشكل مدهش، ودقيقة لدرجة أنه يصعب تصديق أنها ليست مذكرات، وأنها لم تكتب ببساطة كلمات الأشباح التي تتحدث في أذنها. فهمت الآن لماذا استغرق هذا وقتًا طويلًا في كتابته. كانت كل فقرة نابعة من بحث متأنٍّ يتسرب، من التقليدية المبطنة بالفرو إلى الأكواب المينا التي كان العمال يستخدمونها في شرب الشاي المخفف.

كانت تتمتع بقدرة ساحرة على إبقاء عينيك مثبتتين على الصفحة. يجب أن يعرف المرء ماذا سيحدث لـ "إيه جينج"، المترجم الطالب النحيل، و"تشاو لي"،

الابن السابع غير المرغوب فيه. انهمرت دموعي حين وصلت إلى نهاية الرواية، عندما اكتشفت أن ليو دونج لم يعد إلى وطنه ولا عروسه التي كانت تنتظره.

لكن الرواية ما زالت تحتاج إلى عمل. كانت بعيدة عن أن تكون مسودة أولى، بل لم تكن "مسودة" بالمعنى الحقيقي؛ كانت أقرب إلى مزيج من الجمل المدهشة، والأفكار المباشرة، وعبارات مثل: "ثم يسافرون - يتم إكماله لاحقًا". لكنها قد وضعت ما يكفي من الدلائل لكي أتمكن من اقتفاء أثره. رأيت بالفعل المسار المرسوم لكل شيء، ووجدته رائعًا؛ كان رائعًا على نحوٍ ما يحبس الأنفاس.

كان رائعًا، فلم يسعني إلا أن أحاول إنهاءه!

بدأ الأمر مجرد مزحة أو تمرين على الكتابة. لم أكن أعيد كتابة المسودة بقدر ما حاولت أن أرى ما إذا كان باستطاعتي ملء الفراغات، وإذا كان لديَّ ما يكفي من المعرفة التقنية للتظليل، والتنقيح، والاستنباط حتى تكتمل الصورة. بدأت بتعديل أحد الفصول الوسطى؛ وهو فصل امتلأ بالعديد من المشاهد غير المكتملة على نحو يجعل المرء لا يفهم مغزاه ما لم يكن على دراية كبيرة بالكتابة، وبالكاتبة.

لكنني استمررت في ذلك. لم أستطع التوقف. يقولون إن تحرير مسودة بدائية أسهل بكثير من الكتابة على صفحة فارغة، وهذا صحيح. كنت أشعر بثقة كبيرة في كتابتي خلال التحرير. لم أنفك أعثر على تراكيب العبارات أكثر تناسبًا مع النص من أوصاف أثينا العابرة. لاحظت أين يتراجع الإيقاع، وقمت بحسم شديد بإزالة الحشو المتشعب. استخرجت خيط الحبكة مثل نغمة واضحة وقوية، كما نظمت النص، وقطَّعته، وزيَّنته فاستحال النص وكأنه يغني.

أعلم أن أحدًا لن يصدقني، لكن لم تأت لحظة فكرت فيها: *سآخذ هذا وأنسبه لنفسي*. لم يحدث أن جلست ووضعت خطة شريرة للاستفادة من عمل صديقتي التي قضت نحبها للتو، بل كان الأمر *طبيعيًا*، كما لو كان هذا مصيري، كما لو كان مقدرًا لي، فبمجرد أن بدأت، شعرت كأن أكثر العلامات وضوحًا في العالم تتمثل في أنني يجب أن أكمل قصة أثينا ثم أصقلها.

ثم... من يدري؟ ربما يمكنني نشرها لها أيضًا.

عملت بجد شديد عليها. ظللت أكتب كل يوم من الفجر حتى بعد منتصف الليل. لم أعمل بجد بهذا الشكل على أي مشروع كتابة من قبل، حتى على أول كتاب

والحوادث، والأمراض. كما أسيئت معاملتهم عند وصولهم إلى فرنسا حيث تم الاحتيال عليهم في أجورهم، وإيداعهم بمساكن قذرة وضيقة، وحرمانهم من المترجمين، علاوة على تعرضهم للهجوم من قبل عمال آخرين؛ لذا لم يعد العديد منهم إلى وطنهم.

ثم مزحة يتداولها الناس عن أولئك الكتاب ذوي الرؤية الجادة إذ إنهم لا بد في مرحلة ما يؤلفون رواية حرب ملحمية، وأعتقد أن هذا ينطبق على رواية أثينا؛ فقد كانت تتمتع بالثقة، والأسلوب الشعري البسيط والضروري لسرد قصة ثقيلة الوطأة دون أن تبدو ثمة مبالغة، أو سطحية، أو ذات تحيزات فكرية. وتميل معظم ملاحم الحرب الكبيرة التي يكتبها شباب الكتَّاب إلى أن تكون مجرد تقليد لملاحم الحرب الكبرى؛ إذ يظهرون وكأنهم أطفال يمتطون خيولاً خشبية! لكن ملحمة الحرب التي كتبتها أثينا بدت كصدى من ساحة المعركة؛ كانت *حقيقية*.

اتضح ما كانت تعنيه حين قالت إن تلك الرواية هي التطور الحقيقي في حرفتها الروائية. حتى الآن، كانت رواياتها تعرض سردًا خطيًا، جميعها مكتوب باستخدام زمن الماضي ومن منظور الغائب لشخصية رئيسية واحدة. ولكن هنا، قامت أثينا بأمر مشابه لما فعله كريستوفر نولان في فيلم *دانكيرك*، فبدلاً من تتبع قصة واحدة محددة، دُمجت روايات ووجهات نظر مختلفة لتشكيل مجموعة عناصر مؤثرة؛ حشد يصرخ بصوت واحد، أما عن التأثير السينمائي، يستطيع المرء تقريبًا يتخيله. بأسلوب وثائقي: تعددية أصوات تميط اللثام عن الماضي.

كان من المذهل أن تكون قصة بلا شخصية محورية بمثل تلك الجاذبية؛ لكن عبارات أثينا مشوقة على نحو جعلني أندمج بين صفحات القصة، وأواصل قراءة الأوراق بدلاً من نسخها إلى حاسوبي المحمول. وجدتها قصة حب ممتزجة بقصة حرب، وتفاصيلها حية بشكل مدهش، ودقيقة لدرجة أنه يصعب تصديق أنها ليست مذكرات، وأنها لم تكتب ببساطة كلمات الأشباح التي تتحدث في أذنها. فهمت الآن لماذا استغرق هذا وقتًا طويلاً في كتابته. كانت كل فقرة نابعة من بحث متأنٍ يتسرب، من التقليدية المبطنة بالفرو إلى الأكواب المينا التي كان العمال يستخدمونها في شرب الشاي المخفف.

كانت تتمتع بقدرة ساحرة على إبقاء عينيك مثبتتين على الصفحة. يجب أن يعرف المرء ماذا سيحدث لـ "إيه جينج"، المترجم الطالب النحيل، و"تشاو لي"،

الابن السابع غير المرغوب فيه. انهمرت دموعي حين وصلت إلى نهاية الرواية، عندما اكتشفت أن ليو دونج لم يعد إلى وطنه ولا عروسه التي كانت تنتظره.

لكن الرواية ما زالت تحتاج إلى عمل. كانت بعيدة عن أن تكون مسودة أولى، بل لم تكن "مسودة" بالمعنى الحقيقي؛ كانت أقرب إلى مزيج من الجمل المدهشة، والأفكار المباشرة، وعبارات مثل: "ثم يسافرون - يتم إكماله لاحقًا". لكنها قد وضعت ما يكفي من الدلائل لكي أتمكن من اقتفاء أثره. رأيت بالفعل المسار المرسوم لكل شيء، ووجدته رائعًا؛ كان رائعًا على نحو ما يحبس الأنفاس.

كان رائعًا، فلم يسعني إلا أن أحاول إنهاءه!

بدأ الأمر مجرد مزحة أو تمرين على الكتابة. لم أكن أعيد كتابة المسودة بقدر ما حاولت أن أرى ما إذا كان باستطاعتي ملء الفراغات، وإذا كان لديَّ ما يكفي من المعرفة التقنية للتظليل، والتنقيح، والاستنباط حتى تكتمل الصورة. بدأت بتعديل أحد الفصول الوسطى؛ وهو فصل امتلأ بالعديد من المشاهد غير المكتملة على نحو يجعل المرء لا يفهم مغزاه ما لم يكن على دراية كبيرة بالكتابة، وبالكاتبة.

لكنني استمررت في ذلك. لم أستطع التوقف. يقولون إن تحرير مسودة بدائية أسهل بكثير من الكتابة على صفحة فارغة، وهذا صحيح. كنت أشعر بثقة كبيرة في كتابتي خلال التحرير. لم أنفك أعثر على تراكيب العبارات أكثر تناسبًا مع النص من أوصاف أثينا العابرة. لاحظت أين يتراجع الإيقاع، وقمت بحسم شديد بإزالة الحشو المتشعب. استخرجت خيط الحبكة مثل نغمة واضحة وقوية، كما نظمت النص، وقطَّعته، وزيَّنته فاستحال النص وكأنه يغني.

أعلم أن أحدًا لن يصدقني، لكن لم تأت لحظة فكرت فيها: *سآخذ هذا وأنسبه لنفسي*. لم يحدث أن جلست ووضعت خطة شريرة للاستفادة من عمل صديقتي التي قضت نحبها للتو، بل كان الأمر *طبيعيًّا*، كما لو كان هذا مصيري، كما لو كان مقدرًا لي، فبمجرد أن بدأت، شعرت كأن أكثر العلامات وضوحًا في العالم تتمثل في أنني يجب أن أكمل قصة أثينا ثم أصقلها.

ثم... من يدري؟ ربما يمكنني نشرها لها أيضًا.

عملت بجد شديد عليها. ظللت أكتب كل يوم من الفجر حتى بعد منتصف الليل. لم أعمل بجد بهذا الشكل على أي مشروع كتابة من قبل، حتى على أول كتاب

لي. شعرت بالكلمات تحترق كالجمر داخل صدري، تملؤني بالحماس، وتجبرني على أن أسكبها كلها دفعة واحدة قبل أن تلتهمني.

أكملت المسودة الأولى في ثلاثة أسابيع. أخذت أسبوعًا راحة، واقتصر ما فعلته خلاله فيه على ممارسة رياضة المشي لمسافات طويلة وقراءة الكتب، فقط للحصول على نظرة جديدة، ثم طبعت النص بالكامل في مكتب أوفيس ديبوت حتى أتمكن من مراجعته باستخدام قلم أحمر. قلبت الصفحات ببطء وأنا أتمتم بكل جملة بصوت عالٍ لأستشعر صوت الكلمات وشكلها. وبقيت مستيقظة طوال الليل لإدخال التعديلات مرة أخرى في ملف وورد.

في الصباح، كتبت بريدًا إلكترونيًا إلى بريت آدامز، وكيل أعمالي الأدبي، الذي لم أكن قد تحدثت معه منذ شهور، إذ كنت أحذف جميع استفساراته المهذبة والعاجلة حول أخبار كتابي الثاني.

مرحبًا بريت،

أعلم أنك كنت تنتظر سماع أخبار كتابي الثاني، ولكنني في الواقع لديَّ...

توقفت لحظة، ثم حذفت تلك الجملة الأخيرة.

كيف سأشرح كل هذا لبريت؟ إذا علم أن أثينا كتبت المسودة الأولى، فسيحتاج للتواصل مع جاريد، وكيل أثينا. ستكون هناك مفاوضات معقدة مع حقوق ملكيتها الأدبية. لم أكن أمتلك دليلًا مكتوبًا يثبت أن أثينا طلبت مني أن أكمل الرواية، على الرغم من أنني متأكدة أنها كانت لتفضل ذلك. فهل يريد أي كاتب أن يظل عمله وراء الستار؟ ولكن دون إثبات الإذن، قد لا تُعتمد نسختي على الإطلاق.

لكن، لا أحد يعلم أن أثينا كتبت المسودة الأولى، أليس كذلك؟

هل الطريقة التي يتم فيها الإشارة إلى اسم أثينا مهمة بقدر حقيقة أن الكتاب، من دوني، ربما لن يرى النور أبدًا؟

لا أستطيع أن أترك أعظم أعمال أثينا يُنشر في حالته الأولية غير المكتملة. لا أستطيع. فأي صديقة سأكون؟

مرحبًا بريت،

إليك المخطوطة. إنها تختلف قليلًا عن الاتجاه الذي تناقشنا فيه، لكنني وجدت إلهامًا جديدًا وأعجبني. ما رأيك؟

مع أطيب التحيات،

جوني.

تم؛ إرسال؛ فوووو! انطلقت رسالتي عبر التطبيق. أغلقت الغطاء ودفعت حاسوبي المحمول على المكتب وأنا ألهث من جرأة ما فعلت.

بالتأكيد كان الانتظار هو الجزء الأصعب. أرسلت تلك الرسالة الإلكترونية يوم الاثنين؛ لكن بريت لم يرد عليَّ حتى يوم الخميس ليخبرني بأنه خصص عطلة نهاية الأسبوع لإلقاء نظرة على المخطوطة. لم أستطع أن أعرف ما إذا كان يقصد ذلك حقًّا، أم أنه يماطل حتى لا أزعجه. وبحلول يوم الاثنين التالي، استحلت إلى كتلة من القلق. بدت كل دقيقة تمر وكأنها دهر. مشيت خارج مبنى شقتي مليون مرة، واضطررت إلى ترك هاتفي في الميكروويف حتى لا أغري نفسي بالتحقق منه طوال الوقت!

تعرفت على بريت لأول مرة في فعالية عرض تقديمي على تويتر. درج المؤلفون على كتابة تغريدات عن كتبهم وإضافة الهاشتاج الخاص بالحدث القائم عدة مرات في السنة كي يتمكن الوكلاء من تصفح الهاشتاجات والإعجاب بالتغريدات التي تثير اهتمامهم. كتبت:

"أعلى شجرة الجميز: تمر الأختان جانيس وروز بأسوأ صيف في حياتهما، إذ يوشك والدهما على الموت، مع غياب والدتهما الدائم. لم يكن لهما سوى بعضهما بعض- وباب غامض في الفناء الخلفي؛ بوابة إلى عالم آخر. #بالغ #نضوج_الشخصية #أدب_الخيال".

طلب بريت مخطوطتي، فأرسلتها له، وذكرت أنني كنت قد حصلت على عقد نشر بالفعل، ففرض عليَّ التحدث هاتفيًا بعد أسبوع. بدا لي قليلًا كالشباب الذين

يكررون كلمات، مثل: "رائع" و"متحمس جدًا"، كما بدا غير ناضج. كان قد تخرج قبل عامين في جامعة هاملتون بدرجة ماجستير في النشر، ولم يكن قد أمضى في وكالته أكثر من بضعة أشهر. لكن الوكالة كانت ذات سمعة جيدة، وبدا أن العملاء الذين أحيلوا إليه يحبونه؛ لذا وافقت على التوقيع معه، بالإضافة إلى أنه لم يكن لديَّ عروض أفضل من الأساس.

لقد قام بريت بعمل جيد إلى حد ما من أجلي على مر السنين. لطالما شعرت بأنني لست من أهم أولوياته، خاصة لأنني لم أربحه الكثير من المال، لكنه كان على الأقل يرد على جميع رسائلي الإلكترونية خلال أسبوع ولم يسبق له الكذب عليَّ بشأن أرباحي أو وضع حقوقي، وهو ما يسمع عنه المرء دائمًا قصصًا مخيفة. بالطبع، شعرت بالإحراج عند قراءة رسائل بريد إلكتروني قصيرة وجافة مثل: "مرحبًا جوني، لن ينقل الناشر كتابك إلى النسخة الورقية؛ لأنه غير متأكد من أنه سيستمر في البيع" أو: "مرحبًا جوني، لا أحد مهتم بحقوق تحويل كتابك إلى نسخة صوتية؛ لذلك سأسحبه من التقديم في الوقت الحالي؛ أردت أن أطلعك على المستجدات فحسب". وبالطبع، خطر لي بين الحين والآخر أن أترك بريت وأبحث عن وكيل آخر يجعلني أشعر بأنني أكثر قيمة. ولكن بدا من المرعب أن أعود بمفردي مرة أخرى دون أن يكون لدي داعم في الصناعة.

ظننت أن بريت كان يتوقع أنني سأتوقف عن الكتابة بمفردي. كنت لأدفع كل ما أملك فقط لأرى وجهه عندما أسقطت تلك القنبلة في بريده الوارد.

أرسل لي بريت ردًا في نحو منتصف الليل يوم الثلاثاء. كانت رسالة قصيرة.

مرحبًا جوني،

يا للروعة! هذا مميز حقًّا. لا ألومك على ترك كل شيء للعمل على هذا المشروع. صحيح أنه مختلف قليلًا عن مجالك، لكن يمكن أن تكون هذه فرصة رائعة لك لتطوير نفسكِ. لا أعتقد أن جاريت مناسب لهذا الكتاب. يجب أن نعرضه على نطاق أوسع. سأتعامل مع ذلك الأمر من جهتي.

لديّ بعض الاقتراحات التحريرية فقط. راجعي الملف المرفق.

مع تحياتي، بريت.

كانت تعديلات بريت خفيفة وغير مزعجة، باستثناء التعديلات اللغوية التي كانت، في الغالب، حذفًا لتسريع الإيقاع السردي (كانت أثينا *تنغمس* في إيقاع نثرها الخاص)، وتحريك بعض مشاهد العودة بالذاكرة لتصبح السردية أكثر تسلسلًا، وإعادة التأكيد على بعض الأفكار في النهاية. جلست أحتسي قليلًا من الإسبريسو المعلَّب وأطبقها جميعًا خلال اثنتين وسبعين ساعة. كانت الكلمات تأتي بسهولة، على غير العادة، إذ كانت المراجعات تبدو مثل قلع الأسنان، لكنني استمتعت بهذا. كنت أستمتع بالكتابة أكثر من أي وقت مضى في السنوات الأخيرة، لعلي لم أكن أحذف كلماتي، لم أشعر بأنني أقتل أحبابي، أو لعل المادة الخام كانت *رائعة*، فشعرت بأنني أشحذ أحجارًا كريمة وأزيل الشوائب لأجعلها تتألق.

ثم أرسلته مرة أخرى إلى بريت الذي قدمه أولًا إلى جاريت، إذ يحق له تقنيًا الرفض الأول.

رفض جاريت، كما كنا نأمل. لا أعتقد أنه حتى اهتم بفتح الملف. ثم أرسل بريت الرواية فورًا إلى ستة من المحررين، جميعهم من كبار صناع القرار في دور النشر الكبيرة. اعتاد أن يطلق عليها اسم ("قائمة الوصول")، كما لو كانت هذه طلبات تقديم للجامعات. لم يكن قد قدم أيًا من أعمالي من قبل إلى "قائمة وصول". ثم انتظرنا.

بعد ثلاثة أسابيع، أخذ محرر في هاربر كولينز روايتي إلى اجتماع الاستحواذ؛ ذلك الاجتماع الذي يجلس فيه جميع الأشخاص المهمين حول مكتب ما ويقررون ما إذا كانوا سيشترون الرواية. اتصلوا ببريت في اليوم نفسه وقدموا عرضًا، وفوجئت بالمبلغ الذي عرضوه.. لم أكن أعلم أن الناس *يدفعون* هذا المبلغ الكبير مقابل الروايات، ثم رغبت شركة سيمون آند شوستر في المشاركة، ثم شركة بنجوين راندوم هاوس، وأيضًا أمازون (قال بريت: لا يختار شخص عاقل أمازون، إذ تدخل المنافسة لرفع السعر فحسب)، ثم جميع دور النشر المستقلة الصغيرة *منها* والمرموقة التي لا تزال موجودة بطريقة ما. أقمنا مزادًا، وواصل الرقم الارتفاع. تحدثوا عن جداول الدفع، والمكافآت على الأرباح، وحقوق النشر العالمية مقابل الحقوق الأمريكية الشمالية، وحقوق الرواية الصوتية، وكل *هذه* الأمور التي لم تكن

تمثل ولو جزءًا من المحادثة في بيع كتابي الأول. ثم في النهاية، تم بيع *الجبهة الأخيرة* إلى إيدن بريس، وهي دار نشر مستقلة متوسطة الحجم تتمتع بسمعة في إصدار الأعمال الأدبية الحائزة عدة جوائز، بمبلغ أكثر من الذي كنت أحلم بأن أجنيه طوال حياتي.

عندما اتصل بي بريت ليبلغني بالأخبار، استلقيت على الأرض ولم أنهض إلا عندما توقف السقف عن الدوران.

حصلت على إعلان *صفقة ضخمة* في *مجلة ببليشرز ويكلي*. بدأ بريت يتحدث عن الاهتمام بحقوق الترجمات، وحقوق الفيلم، وحقوق الوسائط المختلطة، ولم أكن أعرف حتى ما تعنيه أي من تلك الأمور سوى أن هناك المزيد من المال الذي سيأتي.

اتصلت بأمي وأختي لأتباهى. وعلى الرغم من أنهما لم تعرفا حقًا ماذا تعني هذه الأخبار، فقد سعدتا لأنني سأحصل على دخل ثابت خلال السنوات المقبلة.

كما اتصلت بمعهد كلية فيريتاس وأخبرتهم بأنني سأتقدم باستقالتي.

بعث أصدقائي الكُتاب الذين كنت أتواصل معهم مرتين في السنة برسائل تهنئة، وكنت أعلم أن هذه الرسائل مملوءة بالغيرة. أعلن الحساب الرسمي لإيدن على تويتر الخبر، فحصلت على عدة مئات من المتابعين الجدد. خرجت لقضاء السهرة مع زملائي من فيريتاس. لم أكن أحبهم، كما بدا عليهم بوضوح أنهم غير مهتمين بسماع المزيد عن الرواية، لكنني لم ألق لهذا بالًا.

رحت أفكر طوال السهرة: *لقد وصلت أخيرًا. لقد حققت ذلك*. صرت أعيش حياة أثينا، وأعيش تجربة النشر كما ينبغي أن تكون. لقد خرجت من عنق الزجاجة وأصبح لديَّ كل شيء أردته طوال حياتي، ولقد اتضح بما لا يدع مجالًا للشك أن طعم النجاح لذيذ كما تخيلته دائمًا.

الفصل الثالث

لعل مَن يقرأ ما سبق من أحداث يراني لصة، أو سارقة أعمال أدبية، بل وربما شخصية عنصرية؛ ذلك أن كل الموبقات تُرتَكب بدافع العنصرية.

لكن، أرجوكم، استمعوا إليَّ.

ليس الأمر مشينًا كما يبدو.

تعد السرقة الأدبية طريقة سهلة، فهي ملاذ مَن يغش لعجزه عن صياغة كلمات بمفرده. لكن ما فعلته لم يكن *سهلًا على الإطلاق*، إذ أعدت صياغة معظم الرواية، ذلك أن مسودات أثينا الأولى كانت فوضوية، وبدائية، وزاخرة بعبارات غير مكتملة متناثرة هنا، ومتشرذمة هناك. أحيانًا لم أكن أعلم حتى إلام كانت تهدف إحدى الفقرات، فكنت أستبعدها تمامًا. لم أستولِ على لوحة وأدعي ملكيتها، بل بالأحرى ورثت رسمًا تخطيطيًا، لم تُضف إليه الألوان إلا بطريقة غير متناسقة وأكملته أنا وفقًا لأسلوبي الأصلي. فماذا لو ترك مايكل أنجلو أجزاء كبيرة من سقف كنيسة سيستينا غير مكتملة؟ ماذا لو اضطر رافائيللو لاستكمال باقي العمل؟

يتسم هذا المشروع برمّته بضرب من ضروب الجمال. إنه نوع جديد من التعاون الأدبي، لم يُرَ مثله من قبل.

ثم، ما الضرر لو كان مسروقًا؟ ماذا لو كنت قد اقتبسته بالكامل؟

لقد توفيت أثينا قبل أن يعلم أحد بوجود تلك المسودة. لم تكن لترى النور وتُنشَر لولاي، وإن نشرت، فإنها كانت ستُعرف دائمًا كمسودة أثينا غير المكتملة؛ عمل مبالغ في تقديره ومخيب للآمال، كما حدث مع *آخر الأساطين* لـ إف سكوت فيتزجيرالد. كنت من أعطيتها فرصة لترى النور دون أن تخضع للحكم الذي يلازم كل عمل متعدد المؤلفين. وبكل الجهد الذي بذلته فيها الذي استغرق كل تلك الساعات، لماذا لا يحمل الغلاف اسمي؟

كنت لأهدي أثينا شكرًا وتقديرًا، فهي صديقتي الأثيرة وأعظم مصدر لإلهامي. وربما كانت أثينا من تطلب ذلك. كانت تحب هذه الخدع الأدبية الغريبة. كانت تتحدث بحماس عن كيفية خداع جيمس تيبتري جونيور الناس ليصدقوا أنها رجل، أو كيف يظن كثير من القراء أن "إيفلين ووه" امرأة. كانت دائمًا تقول: "يحمل الناس أحكامًا مسبقة حول المؤلف، ما يؤثر على قراءتهم للنص. أتساءل كيف سيتلقى القراء أعمالي لو تظاهرت أنني رجل أو امرأة ذات بشرة بيضاء. لن يختلف النص، لكن سيتلقى واحد تقريعًا لاذعًا من النقاد، في حين يحقق الآخر نجاحًا باهرًا. فما السبب؟".

لعلنا ننظر إلى هذا كمزحة أثينا الأدبية الكبرى، إذ تجعل العلاقة بين القارئ والكاتب معقدة على نحو يحولها إلى مادة غنية للباحثين لعقود مقبلة.

لربما يكون هذا التفسير الأخير مبالغًا فيه بعض الشيء. ولا بأس من أن يبدو محاولة لتهدئة ضميري . أنا متأكدة أنكم تفضلون أن تصدقوا أنني قضيت تلك الأسابيع معذبة، وأنني عانيت باستمرار الشعور بالذنب.

لكنني كنت في الحقيقة، على النقيض، أشعر بحماس شديد.

فلأول مرة منذ شهور، عدت للكتابة وأنا سعيدة. شعرت كأنني حصلت على فرصة ثانية. بدأت أؤمن بالحلم مرة أخرى، فلو صقل المرء موهبته وروى قصة جيدة، فستتكفل الصناعة بالباقي، وسيصبح كل ما عليه فعله وضع القلم على الورق، فإذا عملت بجد وكتبت بإتقان، فستجعله القوى الخفية نجمًا أدبيًا بين عشية وضحاها.

بدأت ألعب ببعض أفكاري القديمة التي أضحت جديدة، نابضة بالحياة، وتمكنت من تخيل عشرات الاتجاهات الجديدة التي يمكن أن أتخذها. بدت الفرص عديدة. كان الأمر أشبه بقيادة سيارة جديدة أو العمل على حاسوب محمول جديد.

لقد استوعبت كل حدة أسلوب أثينا وحيويته في الكتابة. شعرت، كما قال كانييه، بأنني أصبحت أقوى، وأفضل، وأسرع. شعرت بأنني أصبحت من نوعية الأشخاص الذين يستمعون إلى كانييه الآن.

ذات مرة، حضرت ندوة أدارتها كاتبة قصص خيالية ناجحة أكدت فيها أن الطريقة المضمونة للتغلب على معوقات الكتابة تتمثل في قراءة مائة صفحة أو أكثر من النثر الجيد، وقالت: "عندما أرى جملة جيدة، أشعر بحكة في أصابعي. يجعلني ذلك أرغب في تقليدها."

كان هذا بالضبط ما شعرت به أثناء تحرير عمل أثينا، فقد جعلتني كاتبة أفضل. كانت سرعة استيعابي مهارتها أمرًا مخيفًا، وكأن كل تلك الموهبة كان يجب أن تذهب إلى مكان ما بعد وفاتها، وانتهى بها الأمر في أعماقي.

شعرت بأنني صرت أكتب لكلتينا. شعرت بأنني أحمل الشعلة.

هل هذا تبرير كاف، أم لا زلتم مقتنعين بأنني مجرد لصّة عنصرية؟

حسنًا. سأخبركم بما شعرت به حقًا، حين وصل الأمر إلى نهايته.

في جامعة ييل، تعرفت ذات مرة إلى طالب دراسات عليا في قسم الفلسفة كان يدرس في مجال أخلاقيات السكان. كتب أوراقًا بحثية حول تجارب فكرية غير واقعية جعلتني أعتقد أنه كان من الأفضل لو كتب خيالًا علميًا حول ما إذا كنا ملزمين أخلاقيًا تجاه الأجيال القادمة التي لم تُولد بعد، أو ما إذا كان يمكن تدنيس الجثث ما لم يسبب ذلك ضررًا للأحياء. كانت بعض حججه متطرفة إلى حد ما، إذ لم يكن يعتقد أن هناك أي التزام أخلاقي للالتزام بوصايا الموتى إذا كانت ثمة مصلحة أكبر في إعادة توزيع الثروة في مكان آخر، أو أن هناك اعتراضات أخلاقية قوية على استخدام أراضي المقابر لبناء مساكن للفقراء. تمثل الموضوع الرئيسي في أبحاثه في تحديد الظروف التي تجعل من شخص ما كيانًا أخلاقيًا يستحق الاحترام والتقدير. لم أفهم الكثير من عمله، لكن حجته الأساسية كانت مقنعة للغاية: نحن لا ندين بشيء للموتى.

لا سيما عندما يكون الموتى لصوصًا وكاذبين!

•

وسحقًا، سأقولها بكل وضوح: كان سلب مخطوطة أثينا أشبه بالتعويض، انتقامًا لما سلبته هي إياي من قبل.

الفصل الرابع

عادة ما تسير أمور النشر ببطء، ثم لا تلبث أن تتوقف! وتتمثل لحظات الإثارة في الذهاب إلى المزاد، والتفاوض على الصفقات، واستقبال المكالمات من المحررين المحتملين، واختيار ناشر، وهي دوامة محيرة، أما بقية الأمور فإنها تتضمن الكثير من التحديق إلى الهاتف وانتظار الاطلاع على المستجدات. وتُباع معظم الطبعات لدور النشر قبل إصدار الكتاب بعامين تقريبًا! تعد الإعلانات الكبيرة التي نراها على الإنترنت مثل (صفقة كتاب! صفقة فيلم! صفقة مسلسل! ترشيحات لجوائز!) أسرارًا معروفة منذ أسابيع، إن لم تكن أشهرًا. ويستهدف كل هذا الحماس والدهشة المزيفة الحصول على مكانة اجتماعية عبر شبكة الإنترنت.

لم تكن رواية الجبهة الأخيرة لتصدر إلا بعد خمسة عشر شهرًا من توقيعي العقد. حتى ذلك الحين، كان هناك عمل وجهد.

تلقيتُ رسالة التحرير بعد شهرين من الصفقة. كانت دانييلا وودهاوس محررتي في إيدن امرأة ذات صوت جهوري، ولا تعرف المجاملات، وسريعة الكلام. لقد أثارت في نفسي مزيجًا من الرهبة والفضول أثناء مكالمتنا الهاتفية الأولى. تذكرت أنها تورطت في جدل بأحد المؤتمرات العام الماضي عندما وصمت إحدى عضوات لجنة التحكيم بالضعف لأنها زعمت أن التحيز الجنسي لا يزال عقبة في هذه الصناعة، ما دفع العديد من الشخصيات على الإنترنت لوسمها بأنها عدوة

للنسـاء، ومطالبتها بالاعتذار العلني أو حتى الاستقالة. (لم تفعل أيًّا من ذلك). لم يبدُ أن ذلك قد أثَّر على مسيرتها المهنية، فقد نشرت ثلاث روايات من الأكثر مبيعًا خـلال العـام الماضـي: رواية عن الحيـاة الداخليـة لزوجات جذابات قاتـلات، ورواية إثـارة حـول عازفـة بيانـو تبـرم صفقـة مـع الشـيطان نظيـر مسـتقبل مهنـي أسـطوري، ومذكـرات لامـرأة تعمـل فـي تربيـة النحـل.

كنـتُ متـرددة بشـأن التوقيـع مـع دار إيـدن بريـس فـي البدايـة، خاصـةً لأنهـا ناشـر مسـتقل وليسـت إحـدى دور النشـر الخمـس الكبـار؛ هاربـر كولينـز، وبنجويـن رانـدوم هـاوس، وهـاشيت، وسـايمون آند شوسـتر، ومـاكميلان. لكن بريت أقنعني بأنه في دار نشـر متوسـطة الحجـم، سـأكون سـمكة كبيـرة فـي بركة صغيـرة؛ وسـألقى كل الرعاية والاهتمام اللذين لم أشعر بهما بعد نشر كتابي الأول. وبالفعل، مقارنةً بجاريت، فإن دانييلا عاملتني برفق بالغ. كانت ترد على جميع رسائلي الإلكترونية في اليوم نفسه، وغالبًا في غضون سـاعة، وباسـتفاضة دائمًا. كانت تجعلني أشـعر بأنني ذات أهمية. كنـت أعلـم أنهـا تعنـي مـا تقـول حين كانت تخبرني بأن روايتي سـتنجح.

كمـا أحببـت أسـلوبها التحريـري، وقـد تمثلـت معظـم التعديـلات التـي طلبتهـا فـي توضيحات بسـيطة. هل سـيفهم الجمهور الأمريكي هذه العبارة؟ هل ينبغي وضع هذا المشـهد الاسـترجاعي فـي فصـل مبكـر رغـم أننـا لـم نتعـرف بعـد على الشـخصية في التسلسـل الزمنـي؟ هـذا الحـوار مكتـوب بإتقان، لكن كيف يدفـع الحبكة إلـى الأمام؟

وللحقيقـة، فقـد أصبحـت أشـعر بالارتيـاح، إذ صـار هنـاك مـن يكاشـف أثينـا بترهـاتها، وبشـأن تراكيـب جملهـا المعقدة عمدًا، وإشـاراتها الثقافية المربكة. كانت أثينـا تحـب أن تجعـل جمهورهـا "يعمل بجهد لفهـم النـص". وفيما يتعلق باسـتعراض الثقافـة، كتبـت أنهـا لا تـرى "ضـرورة تقريـب النـص مـن القـارئ، مـا دام القـارئ يستطيع البحث على جوجل وهو قادر تمامًا على الاقتراب من النص بنفسه". كانت تُسـقط عبـارات كاملـة باللغـة الصينيـة دون إضافـة أي ترجمـات - علمًـا بـأن آلتهـا الكاتبـة لـم تكـن تحتـوي علـى حروف صينية؛ لـذا تركت فراغـات وكتبتها بخط يدهـا. استغرق الأمر مني سـاعات من التجريب باسـتخدام التعرف الضوئي على الحروف للبحث عنهـا علـى الإنترنـت، وحتـى بعـد ذلـك اضطـررت إلى إهمـال نصفهـا تقريبًا. كانـت تشـير إلـى أفـراد العائلـة بمصطلحـات صينيـة بـدلًا مـن الإنجليزيـة، مـا يجعـل المـرء يتسـاءل مـا إذا كانـت الشـخصية المعنيـة عمًّـا أم ابن عم من الدرجة الثانية.

(لقد قرأت عشرات الأدلة حول نظام تسمية الأقارب الصيني حتى الآن، ولم أجده منطقيًا على الإطلاق).

لقد فعلت ذلك في جميع رواياتها الأخرى، حيث امتدح معجبوها مثل هذه الأساليب باعتبارها عبقرية وأصيلة، وكذلك اعتبروا ذلك تدخلًا ضروريًا لكاتبة من الشتات لمواجهة هيمنة المنظور الأبيض على اللغة الإنجليزية. لكنه ليس عملًا متقنًا. كان يجعل النثر محبطًا وصعب الفهم. كنت مقتنعة بأن كل هذا يصب فقط في اتجاه جعل أثينا، وقرائها، يشعرون بأنهم أذكى مما هم عليه.

صنعت أثينا من نفسها علامة تجارية يمكن وصفها بأنها "غريبة، ومتحفظة، ومثقفة". أما علامتي التجارية، فقد قررت أن تصبح "رائجة، وجاذبة للقارئ بشكل لا يُقاوَم، مع احتفاظها بالطابع الأدبي بامتياز".

تمثل الجزء الأصعب في تتبع جميع الشخصيات، إذ غيرنا ما يقارب اثني عشر اسمًا لتقليل الالتباس. كانت هناك شخصيتان مختلفتان تحملان اسم العائلة "تشانج"، *وأربع* شخصيات حملت اسم "لي". ميزت أثينا بين تلك الشخصيات باستخدام أسماء أولى مختلفة، لكنها نادرًا ما استخدمتها، إلى جانب أسماء أخرى افترضت أنها ألقاب (إيه جينج، وإيه تشو، ما لم يكن "إيه" اسم عائلة أو لعلي فوَّتُ شيئًا)، أو "دا ليو" و"شياو ليو"، ما أربكني لأنني كنت أعتقد أن "ليو" هو اسم عائلة، فما دور "دا" و"شياو" هنا؟ ولماذا تُسمى العديد من الشخصيات النسائية باسم "شياو" أيضًا؟ وإذا كانت هذه أسماء عائلات، فهل يعني ذلك أن الجميع أقارب؟ هل كانت هذه رواية عن *سِفاح القربى*؟ لكن تمثل الحل الأيسر في إعطائهم جميعًا أسماء مميزة، لذا قضيت عدة ساعات في تصفح تاريخ الصين ومواقع أسماء الأطفال للعثور على أسماء مناسبة ثقافيًا.

إضافة لما سبق، حذفنا آلاف الكلمات من الخلفيات غير الضرورية. كانت أثينا تهوى الكتابة بطريقة غير تقليدية، إذ كانت تقفز عشر أو عشرين سنة إلى الوراء لاستكشاف طفولة شخصية ما، ثم تتوقف لفصول طويلة وغير مترابطة للتسكع في الريف الصيني؛ وتقدم شخصيات لا علاقة واضحة لها بالحبكة، ثم تنساها لبقية الرواية. كانت تحاول بذلك إضافة بُعد لحياة شخصياتها لتُظهر للقراء من أين أتوا والروابط التي تحيط بهم، لكنها كثيرًا ما كانت تتجاوز الحد،

ما كان يشتت انتباه القارئ عن السرد الرئيسي، في حين يجب أن تكون القراءة تجربة ممتعة، لا مهمة شاقة.

ولقد خففنا من حدة اللغة وحذفنا جميع الإشارات العنصرية إلى الصينيين والآسيويين. كتبت دانييلا في التعليقات: *لعلك تهدفين إلى قلب الأوضاع، لكن في عصرنا الحالي، لا حاجة إلى مثل هذه اللغة التمييزية. لا نريد أن نثير مشاعر القراء.*

خففنا كذلك من حدة بعض الشخصيات ذات البشرة البيضاء. لم يكن بهذا السوء. بدا نص أثينا الأصلي منحازًا على نحو محرج؛ فالجنود الفرنسيون والبريطانيون عنصريون بطريقة مبالغ فيها. فهمت أنها كانت تحاول تسليط الضوء على التمييز داخل جبهة الحلفاء، لكنها كتبت مشاهد مبتذلة بشكل يضيع المصداقية، وكانت لتخرج القارئ من سياق القصة. ومن ثم، استبدلنا أحد المتمرين من ذوي البشرة البيضاء بشخصية صينية، وحولنا أحد العمال الصينيين الأكثر جرأة إلى مزارع متعاطف ذي بشرة بيضاء. وقد أضاف هذا حبكة درامية ولمسات إنسانية دقيقة ربما لم تستطع أثينا رؤيته لقربها الشديد من المشروع.

في المسودة الأصلية، يُدفع العديد من العمال إلى الانتحار بسبب سوء المعاملة على يد البريطانيين، ويشنق أحد الرجال نفسه في خندق القائد. وعندما يجد القبطان الجثة، يخبر المترجم بأن يأمر بقية العمال الذين يريدون الانتحار بشنق أنفسهم في خنادقهم الخاصة، ذلك أننا "لا نحب مثل هذه الفوضى في خنادقنا". بدا أن هذا المشهد بأكمله مأخوذ مباشرة من السجلات التاريخية، إذ تركت أثينا ملاحظات مكتوبة بخط اليد في الهامش تؤكد:

رباه! لا يمكن تصديق ما حدث! لا يمكن اختلاق هذا الشيء.

كان مشهدًا قويًا، وشعرت بقشعريرة رعب عندما قرأته لأول مرة. لكن دانييلا رأت أنه مبالغ فيه. وعلقت: *أتفهم أنهم رجال جيش وغير متمدنين، لكن هذا يبدو كأنه استغلال للمأساة، هل نحذفه للحفاظ على وتيرة السرد؟*

كان أكبر تغيير أجريناه في الثلث الأخير من الكتاب.

جاء تعليق دانييلا: الوتيرة تتباطأ حقًا هنا، تقرأ تعليق دانييلا. هل نحتاج إلى كل هذا السياق عن معاهدة فرساي؟ يبدو في غير محله، فلا يعنينا التركيز على الجغرافيا السياسية الصينية، أليس كذلك؟

في نهاية الكتاب، بدت مسودة أثينا الأصلية متزمتة على نحو لا يُحتَمل. كانت تترك هنا السرديات الشخصية الأكثر جاذبية لتُغرق القارئ في سيل من الطرق التي تم بها نسيان العمال وتجاهلهم. فلم يُدفن العمال الذين قُتلوا في المعارك في مقابر قريبة من الجنود الأوروبيين. ولم يكونوا مؤهلين لجوائز عسكرية لأنهم لم يكونوا في حالة قتال رسمية. وتمثل أكثر ما أغضب أثينا في تعرض الحكومة الصينية للخداع في معاهدة فرساي بعد الحرب العالمية الأولى، إذ تم التنازل عن إقليم شاندونج من ألمانيا إلى اليابان.

لكن من كان ليهتم بقراءة كل ذلك؟ يتعذر التفاعل عاطفيًا مع الأحداث المهمة في غياب شخصية رئيسية. بدت الصفحات الأربعون الأخيرة أشبه بورقة بحثية في التاريخ أكثر من كونها سردًا شيقًا عن الحرب، بدت كأنها في غير محلها، كبحث دراسي أُرفق عشوائيًا في النهاية. كانت أثينا دائمًا ذات نزعة وعظية.

أرادت دانييلا أن أحذف الخاتمة تمامًا، حيث اقترحت أن ننهي الرواية بمشهد يُصور إيه جينج على متن القارب في طريقه إلى الوطن. كان مشهدًا ختاميًا قويًا، ويحمل زخم مشهد الدفن السابق. كنا لنضع الباقي في كلمة ختامية، أو مقال شخصي ننشره في إحدى الصحف مع اقتراب موعد الإصدار، أو ربما كمادة إضافية في النسخة الورقية تُناقَش في نوادي القراءة؟

أعجبني اقتراحها، ونفذت اقتراحاتها في الحذف، ولإضافة لمسة جمالية، أضفت خاتمة قصيرة بعد مشهد إي جينج تتكون من سطر واحد من رسالة كتبها أحد العمال لاحقًا للقيصر فيلهلم الثاني عام 1918 متوسلًا من أجل السلام العالمي: أنا مقتنع بأن عيش البشرية كعائلة واحدة لهو إرادة سماوية.

كتبت دانييلا في ردها على التعديلات: هذا رائع. يسهل التعامل معكِ جدًا، إذ يصبح معظم الكتّاب أكثر تشددًا بشأن قتل كلماتهم العزيزة.

جعلني هذا أبتسم. لطالما أردت أن تحبني محررتي. أردتها أن تعتقد أنني سهلة التعامل، ولست كاتبة عنيدة، وأنني قادرة على إجراء أي تغييرات تطلبها. كان ذلك ليزيد من فرصة توقيعي عقودًا معها في المستقبل.

لكن تعديلاتي لم تتعلق فقط بإرضاء السلطة. كنت أرى أننا جعلنا الكتاب أفضل، وأكثر سهولة، وأكثر بساطة. كانت المسودة الأصلية لتجعل المرء يشعر بالغباء، والاغتراب في بعض الأحيان، والإحباط من نبرة التعالي التي تغمرها.

كانت تفوح منها كل الأشياء المزعجة في شخصية أثينا. أما النسخة الجديدة، فقد أصبحت قصة عالمية يمكن لأي شخص أن يرى نفسه فيها.

استغرقت العملية بأكملها ثلاث جولات تحريرية على مدى أربعة أشهر. في النهاية، أصبح مشروع الرواية مألوفًا جدًا، ما جعلني لم أعد أفرق بين الموضع الذي تنتهي فيه أثينا وذاك الذي أبدأ عنده، أو لمن تنتمي أي الكلمات. لقد أجريت البحث. كما قرأت عشرات الكتب عن السياسة العرقية الآسيوية وتاريخ العمال الصينيين في الجبهة. تأملت كل كلمة، وكل جملة، وكل فقرة مرات عديدة على نحو جعلني أحفظه، بل لعلي أعطيت هذه الرواية أكثر من أثينا نفسها.

تعلمت من هذه التجربة كلها أنني *أستطيع* الكتابة. كانت بعض المقاطع التي تفضلها دانييلا هي تلك التي أضفتها أنا. كان هناك جزء، على سبيل المثال، تتهم فيه عائلة فرنسية فقيرة مجموعة من العمال الصينيين بسرقة مائة فرنك من منزلهم. فيجمع العمال مائتي فرنك بينهم مصممين على ترك انطباع جيد عن عرقهم وأمتهم، ويقدمونها للعائلة رغم وضوح براءتهم. كانت مسودة أثينا تذكر التهمة الكاذبة بإيجاز فحسب، لكن نسختي حوَّلتها إلى مشهد دافئ يُظهر فضيلة الصينيين وصدقهم.

تجددت كل ثقتي وحيويتي التي كانت قد تحطمت بعد تجربتي المريرة في البداية بقوة. كانت الكلمات لعبتي، فقد درست الكتابة لما يقرب من عقد من الزمان وكنت أعلم ما الذي يجعل الجملة مباشرة وقوية، وكيفية هيكلة القصة بحيث يظل القارئ مشدودًا طوال الوقت. لقد عكفت لسنوات على تعلم حرفتي. ربما لم تكن الفكرة الأساسية لهذه الرواية من ابتكاري، لكنني مَن أنقذتها؛ كنت أنا مَن استخرجت الماس من الصخور.

لكن لم يفهم أحد مقدار ما بذلت من جهد في هذه الرواية. لو تسربت الأخبار يومًا أن أثينا كتبت المسودة الأولى، لنظر العالم كله إلى كل ما أنجزته وتلك الجمل الجميلة التي كتبتها ليرى أثينا ليو في كل شيء.

لكن يجب ألا يعلم أحد، أليس كذلك؟

فكما يقال: إن العلن هو خير مكان تُخفى فيه الأكاذيب!

وضعت الأساس قبل أن تُنشر الرواية وقبل أن تُرسل النسخ المبكرة منها إلى المراجعين ومدوني الكتب. لم أُخفِ أبدًا علاقتي بأثينا، وقد أصبحت أقل تكتُّمًا بشأنها، إذ أصبحت معروفة حاليًا على نطاق واسع باعتباري مَن كانت بجانبها حين توفيت.

لذا، بالغت في إبراز ارتباطنا. رحت أذكر اسمها في كل مقابلة، ولقد غدا حزني على وفاتها حجر الأساس في قصة بداياتي الأدبية. لعلي بالغت في التفاصيل قليلًا. فمثلًا، عرفت مشروباتنا الفصلية على أنها مشروبات شهرية، وأحيانًا أسبوعية. كنت أحتفظ بصورتي سيلفي لنا على هاتفي، ولم أكن أرغب في مشاركتها؛ لأنها جعلتني أبدو رثة بجانبها، لكنني رفعتهما على إنستجرام باستخدام مرشح أبيض وأسود وأرفقت بهما قصيدة مؤثرة. قرأت كل أعمالها، وقرأت بدورها أعمالي. كثيرًا ما تبادلنا الأفكار. كنت أراها أكبر مصدر إلهام لي، وكان تعقيبها على مسوداتي أساسًا لنموي ككاتبة. هذا ما قلته للجماهير.

فكلما بدا ارتباطنا أقوى، قلَّ غموض التشابهات بين أسلوبها وأسلوب الرواية التي ستصدر باسمي. بدت بصمات أثينا واضحة في المشروع، إذ لم أمسحها، بل قدمت تفسيرًا بديلًا لسبب وجودها هنا.

صرحت لـ بوك ريوت: "مررت بفترة عصيبة في كتابتي بعد إخفاق عملي الأول، لم أكن أعرف أني كنت أريد حتى الاستمرار. كانت أثينا هي مَن أقنعتني بأن أعطي المخطوطة فرصة ثانية. وقد ساعدتني في كل عمليات البحث، إذ كانت تتنقل بين المصادر الصينية الأولية، كما ساعدتني في البحث عن نصوص في مكتبة الكونجرس".

لم يكن هذا كذبًا. أُقسم أن الأمر لم يكن بالتعقيد الذي بدا عليه، بل كان تمديدًا للواقع قليلًا، ووضع اللمسة الصحيحة على الصورة حتى لا يسيء الحشد الغاضب على وسائل التواصل الاجتماعي الظن. بالإضافة إلى ذلك، كان الأمر قد قُضي، وكان في الإفصاح عن الحقيقة عند هذه المرحلة إضرار بالكتاب، ولم أكن لأفعل ذلك بإرث أثينا.

لم يشك أحد، إذ ساعدني برود أثينا بالفعل. كان لديها أصدقاء آخرون، وفق كل نعي قرأته على تويتر بعد جنازتها، لكنهم كانوا موزعين عبر ولايات وقارات مختلفة. لم يكن ثمة مَن تقضي وقتًا منتظمًا معه في واشنطن العاصمة. لم يكن

هنـاك مَن يدحض روايتي عن علاقتنـا. بدا أن العالم بأسره مستعد للاعتقاد أنني كنت أقرب صديقة لأثينـا ليو. ومن يدري؟ ربما كنت كذلك فعلًا.

صحيـح، كان هـذا غايـة فـي السـخرية، لكـن حقيقـة صداقتنـا كانـت تضـع أي منتقدين مستقبليين في موقف حرج. لو انتقدني أحدهم على محاكاة عملها، لهاجم صديقة مـا زالـت فـي حالة حداد، ما كان يجعله وحشًا.

لقـد ماتـت أثينـا الملهمـة، وصـرت الصديقـة الحزينـة التـي يطاردهـا طيفهـا، فأصبحـت غيـر قـادرة علـى الكتابـة دون اسـتحضار صوتهـا.

فمن قال إنني لست راوية جيدة؟

لقـد أسسـت منحـة دراسـية باسـم أثينـا فـي ورشـة العمل السـنوية لرابطـة الكتاب الأمريكيين الآسيويين، حيث قضت أثينا صيفًا واحدًا كطالبة وثلاثة مواسم كأستاذة زائـرة. بـدت المديـرة، بيجـي تشـان، مترددة ومشوشـة عندما اتصلت بها بخصوص أثينـا، لكـن سـرعان مـا غيـرت نبرتهـا عندمـا أدركـت أننـي أعرض المـال. ومنذ ذلك الحيـن، بـدأت تعيـد نشـر جميـع أخبـار كتبي علـى تويتر، وتغمـر جدولي برسـائل مثل: هنيئًـا! لا أسـتطيع الانتظار لقراءة هـذا!!!! هيا___جوني!

جعلتنـي حماسـتها أشـعر بشـيء مـن عـدم الارتيـاح، خاصـةً أن باقـي منشـوراتها على تويتر كانت تدور فقط حول العنصرية في النشر والمعاملة السيئة التي يتعرض لهـا الكُتـاب المهمشـون فـي الصنـاعـة. لكـن إذا كانـت هـي ستسـتفيد منـي، فكـان مـن الطبيعـي أن أسـتفيد منهـا أيضًـا.

في تلك الأثنـاء، قمت بواجبي.

بحثـت وقـرأت جميـع المصـادر التـي استشـهدت بهـا أثينـا فـي مسـودتها حتـى أصبحـت خبيـرة فـي فِـرَق العمـل الصينيـة كمـا ينبغـي. حاولـت حتـى أن أتعلـم لغـة الماندرين بنفسـي، ولكـن بغـض النظـر عمـا بذلتـه مـن جهـد، كانـت جميـع الحـروف تبـدو غيـر قابلة للتعرف، فكـأنهـا مجرد خطـوط غير مرتبة، وبدت النبـرات المختلفة كأنهـا مزحـة عمليـة معقـدة؛ لذلـك استسـلمت. (لكن لا بأس: وجـدت مقابلـة قديمـة اعترفت فيهـا أثينـا بأنهـا لـم تكن حتى تتحدث الماندرين بطلاقة. فإذا كانـت أثينا ليـو لا تستطيع قـراءة المصـادر الأوليـة، فلمـاذا يجـب علـيَّ أن أفعل؟)

أعددت تنبيهات جوجل لاسمي، واسم أثينا، وكلا الاسمين معًا. كانت معظم نتائج البحث عبارة عن بيانات صحفية للنشر لا تذكر شيئًا جديدًا، ومعلومات دعائية عن صفقة كتابي، وتأبين لأعمال أثينا، وأحيانًا ذكر كيف تأثرت أعمالي بها. كتب شخص مقالًا طويلًا ومدروسًا عن تاريخ الصداقات الأدبية، وكان يسعدني أن أرى مقارنتي أنا وأثينا بتولكين ولويس، وبرونتي، وجاسكيل.

وعلى مدى بضعة أسابيع، شعرت كأنني في مأمن. لم يسأل أحد عن كيفية وصولي إلى مصادر أعمالي. لم يبدُ أن أحدًا يعرف حتى ما كانت أثينا تعمل عليه.

وفي يوم من الأيام، رأيت عنوانًا في صحيفة *ييل ديلي نيوز* جعل معدتي تنقبض. كُتب في العنوان: "جامعة ييل تحصل على ملاحظات مسودات أثينا ليو". ومن الفقرة الأولى: "ستصبح دفاتر الملاحظات للروائية الراحلة وخريجة ييل، أثينا ليو، جزءًا من أرشيف مارلين الأدبي في مكتبة ستيرلينج التذكارية. وقد تبرعت باتريشيا ليو، والدة الراحلة، بالدفاتر مُعبرة عن امتنانها؛ لأن دفاتر ابنتها ستخلَّد في الصرح الذي تعلمت به... "

تبًا! تبًا! تبًا! تبًا!

كانت أثينا تكتب جميع ملاحظاتها في دفاتر مولسكين التافهة. لقد تحدثت علنًا عن هذه العملية حين قالت لي: "أعمل على العصف الذهني والبحث يدويًا، إذ يساعدني هذا على التفكير بشكل أفضل وتحديد الموضوعات والروابط. لعل الكتابة الفعلية تجبر عقلي على التباطؤ، والتدقيق في كل كلمة أكتبها. ثم، عندما أملأ ستة أو سبعة دفاتر بهذه الطريقة، أخرج الآلة الكاتبة وأبدأ في كتابة المسودة بشكل صحيح".

لم أعرف لماذا لم أفكر في أخذ الدفاتر أيضًا. كانت موجودة هناك على المكتب. كانت هناك ثلاثة دفاتر على الأقل، وكان اثنان منها مفتوحين بجانب المخطوطة. كنت في حالة من الذعر تلك الليلة. لعلي ظننتها ستخزَّن ضمن بقية ممتلكاتها.

لكن ماذا عن وجودها في أرشيف عام؟ سيرى أول شخص يدخل الأرشيف لكتابة ورقة واحدة عنها - وأنا متأكدة أن الكثير سيفعل ذلك -الملاحظات المتعلقة

بـ الجبهـة الأخيـرة علـى الفـور. أنـا متأكـدة مـن أنهـا كانـت مفصَّلـة وشـاملة. سـتكون دليـلًا واضحًـا. عندئـذ سينهار بنائي الزائف فوق رأسـي.

لـم يكـن لـديَّ الوقت لتهدئـة نفسـي أو التفكير في الأمر بشـكل جيـد. كنت بحاجة إلـى قطـع هـذه المسـألة مـن الجـذور. وفيمـا كان قلبي يخفق بسـرعة، أمسـكت هاتفي واتصلت بوالدة أثينا.

كانـت السـيدة ليـو رائعـة. فمـا يقولونـه صحيـح، إذ لا تشـيخ النسـاء الآسـيويات. لا بـد أنها في منتصف الخمسـينات، لكنهـا لم تبدُ كمن تخطت الثلاثين! كان هذا واضحًا في قوامهـا الأنيق والممشـوق، ووجنتيهـا البارزتين، والجمال الرقيق الذي كانت أثينا ستصبح عليه حين تكبر. كان وجه السـيدة ليو منتفخًا من شـدة البكاء في الجنازة، ولم ألاحظ كم هي لافتة للأنظار؛ ولكن حين اقتربت منهـا، بدت شـبيهة بابنتها على نحو مربك.

احتضنتنـي عنـد عتبـة بابهـا وقالـت: "جونـي، مـن الرائـع رؤيتـك. تفضلـي بالدخـول". كانـت رائحتهـا مثـل الزهـور المجففـة.

جلسـت إلـى طاولـة المطبـخ، وصبَّـت لـي كوبًـا مـن الشـاي العطـر السـاخن، ثـم وضعـت الكـوب أمامـي وجلسـت. كانـت أصابعهـا الرقيقة تتشـابك حول كوبهـا. "أفهم أنـك تريديـن التحـدث عـن أغـراض أثينـا".

كانـت مباشـرة جدًا، فتـراءى لـي للحظـة أنهـا قد تكـون قد اكتشـفت مـا يحدث. لم تكن تشـبه المرأة الدافئة والمُرحبة التي قابلتهـا في الجنـازة. ولكننـي لاحظت بعدها ارتخـاء فمهـا المتعـب، والهـالات تحـت عينيهـا، فأدركـت أنهـا كانـت تحـاول الصمـود فحسب.

كنـت قـد أعـددت الكثيـر مـن الأحاديـث الجانبيـة متمثلـة فـي قصـص عـن أثينـا، وقصـص أخـرى عـن بيـل، والتعبيـر عـن مشـاعر الحـزن، ومـدى صعوبـة العيـش عندمـا يختفـي أحـد أعمدتـك فـي الحيـاة بيـن عشـية وضحاهـا. كنـت أعـرف الفقـد وأعـرف كيـف أحـدث النـاس عنـه.

لكنـي انتقلـت إلـى الموضـوع مباشـرة: "قـرأت أنـك سـتتبرعين بدفاتـر أثينـا إلـى أرشيف مارلين".

أمالت رأسها: "نعم سأفعل، ألا تعتقدين أن هذه فكرة جيدة؟".

"لا، لا، سيدة ليو، أنا لا أقصد ذلك، بل أتساءل فحسب إذا كنتِ لا تمانعين في إخباري كيف اتخذتِ هذا القرار؟" كنت في غاية الارتباك. لم أتمكن من تحمُّل نظرتها، فخفضت عينيَّ. "أعني، فقط إذا كنتِ ترغبين في التحدث عن ذلك. أعلم أن كل هذا... من المستحيل فعلًا التحدث عنه، وأعلم أنك لا تعرفينني جيدًا ..."

قالت السيدة ليو: "تلقيت رسالة بريد إلكتروني من مارجوري تشي، أمينة المكتبة المسئولة عن المشروع، قبل بضعة أسابيع. إنها فتاة لطيفة جدًا. تحدثنا عبر الهاتف، وكان يبدو أنها على دراية كبيرة بأعمال أثينا". تنهدت، وأخذت رشفة من الشاي. لسبب ما، كنت أفكر في مدى إجادتها اللغة الإنجليزية. كان هناك لمحة اختلاف في اللهجة. بيد أن مفرداتها كانت غنية، وتركيبات جملها معقدة ومتنوعة. كانت أثينا دائمًا تبالغ في الحديث عن هجرة والديها إلى الولايات المتحدة دون أن يعرفا كلمة واحدة من الإنجليزية، لكن إنجليزية السيدة ليو بدت جيدة بالنسبة لي. "حسنًا، أنا لا أعرف الكثير عن هذه الأمور. لكن يبدو أن الأرشيف العام هو وسيلة جيدة ليظل الناس يتذكرون أثينا. كانت رائعة للغاية. حسنًا، تعلمين ذلك. كان عقلها يعمل بطرق مثيرة للاهتمام. أنا متأكدة أن بعض الباحثين في مجال الأدب قد يهتمون بكتابة دراسة عنها. كانت أثينا ستحب ذلك. كانت دائمًا تشعر بالسعادة عندما يكتب الأكاديميون عن أعمالها؛ كانت تقول إن ذلك أفضل من... عشق الجماهير لها. هذه كانت كلماتها. على أية حال، ليس الأمر كما لو أنني أفعل شيئًا مهمًّا معهم". أطرقت، فتابعت نظرتها وحبست أنفاسي. رأيت الدفاتر هناك. كانت مكدسة بشكل غير منظم في صندوق كرتوني كبير موضوع تحت كيس أرز ضخم وما بدا كأنه بطيخة ناعمة غير مخططة.

جمح بي الخيال. كان باستطاعتي أن أسحبها وأهرب، وكنت سأقطع نصف المسافة قبل أن تدرك السيدة ليو ما يحدث، أو أن أغمر هذا المكان كله بالوقود أثناء وجودها بالخارج وأحرقه، ولن يكون هناك أي شخص أذكى من ذلك.

سألت بحذر: "هل قرأتِ ما فيها؟".

تنهدت السيدة ليو مرةً أخرى: "لا، فكرت في ذلك، لكنني... الأمر مؤلم جدًا كما تعلمين. فحتى عندما كانت أثينا على قيد الحياة، كان من الصعب عليَّ قراءة رواياتها. كانت تستلهم الكثير من طفولتها، من القصص التي كنا نرويها لها، من

أشياء... أشياء في ماضينا، ماضينا العائلي. قرأت روايتها الأولى، وحينئذ أدركت أنه من الصعب جدًّا قراءة هذه الذكريات من منظور شخص آخر". ارتجف حلقها، ولمست رقبتها، ثم أكملت: "جعلني هذا أتساءل ما إذا كان ينبغي لنا أن نوفر عليها كل ذلك الألم".

قلت: "أفهم ذلك، ينتاب عائلتي أيضًا الشعور نفسه مع أعمالي".

"أوه، حقًّا؟".

كان هذا كذبًا. لا أعلم ما الذي دفعني لقول ذلك، إذ لم تهتم عائلتي قط بما أكتب. كان جدي يتبرم من دفع تكلفة شهادتي الجامعية في اللغة الإنجليزية طوال السنوات الأربع التي قضيتها في جامعة ييل، وما زالت أمي تتصل بي مرة في الشهر لتسأل ما إذا كنت قد قررت بعد أن أجرب عملًا يمكنني من كسب المال الحقيقي، مثل كلية القانون أو الاستشارات. قرأت روري روايتي الأولى، رغم أنها لم تفهم منها حرفًا على الإطلاق. كانت تسأل لماذا كانت الأخوات مزعجات، وهو ما أصابني بالحيرة، إذ كنا تلك الأخوات.

لكن ما كانت تريده السيدة ليو هو الرفقة والتعاطف. كانت تريد سماع الكلمات الصحيحة. وكانت الكلمات هي ما أجيده.

قلت: "لقد شعروا بأن الموضوع قريب جدًّا منهم. أستمد الكثير من حياتي الخاصة في رواياتي". كان هذا الجزء صحيحًا، إذ كانت روايتي الأولى شبه سيرة ذاتية. "ولم تكن طفولتي سلسة؛ لذا من الصعب عليهم... أعني أنهم لا يحبون أن يُذَكَروا بأخطائهم، ولا يحبون رؤية الأشياء من وجهة نظري".

أومأت السيدة ليو برأسها بحماس: "أستطيع أن أفهم ذلك".

رأيت فرصتي بوضوح، بل كانت سهلة المنال جدًّا. "و... حسنًا، جعلني هذا أرغب في الحضور والتحدث معكِ اليوم". أخذت نفسًا. "سأكون صريحة معكِ يا سيدة ليو. لا أعتقد أن وضع دفاتر ملاحظات ابنتك في متناول الجمهور فكرة جيدة".

قطبت حاجبيها وقالت: "لِمَ لا؟".

"لا أعلم بمدى معرفتكِ عن طريقة كتابة ابنتك ..."

قالت: "لا أعرف الكثير، تقريبًا لا شيء. كانت تكره التحدث عن عملها حتى ينتهي. كانت تغضب إذا تحدثت عنه حتى".

قلت: "حسنًا، هذا هو السبب. كانت أثينا متحفظة للغاية بشأن قصصها في مرحلة التكوين، فقد كانت تُستمد من تواريخ مؤلمة جدًا. وقد تحدثنا عن ذلك مرة، فوصفت الأمر بأنها تنقب في ماضيها لتبحث عن الندوب وتفتحها لكي تنزف من جديد". لم نتحدث أبدًا عن الكتابة بهذه الطريقة الحميمة، لكني قرأت الجزء عن فتح الندوب في مقابلة صحفية لها. لقد كان صحيحًا، إذ كانت هذه هي الطريقة التي كانت ترى بها أثينا أعمالها وهي في طور الإنجاز. "لم تكن تستطيع أن تُظهر تلك الآلام لأحد حتى تكتمل الطريقة التي تريد أن تروي بها القصة، حتى تكون قد أحكمت السيطرة على الحكاية، حتى تصقلها وصولًا إلى نسخة وحجة تشعر بالراحة تجاهها. لكن تلك الدفاتر تحتوي على أفكارها الأصلية، مثل المادة الخام غير المُصفاة. ولا يسعني إلا أن... لا أعرف، أشعر بأن التبرع بها إلى الأرشيف سيكون انتهاكًا، كأننا نعرض جثتها للجماهير".

ربما كنت أغالي في استخدام الصور البلاغية هنا. لكن الأمر نجح.

وضعت السيدة ليو يدها على فمها: "يا إلهي! لا أصدق... "

قلت بسرعة: "بالطبع الأمر يعود إليكِ، فمن حقك تمامًا أن تفعلي ما تشائين بهما. فقط فكرت فحسب، كصديقة، أنني أشعر بالالتزام أن أخبركِ. لا أعتقد أن هذا هو ما كانت أثينا ستريده".

أصبحت عينا السيدة ليو حمراوين دامعتين وقالت: "شكرًا يا جوني. لم أفكر حتى في..."

صمتت لحظة وهي تحدق إلى فنجان الشاي. أطبقت جفنيها بشدة، ثم نظرت إليَّ: "هل تريدينها، إذًا؟".

تراجعت بفزع وقلت: "أنا؟".

"من المؤلم أن تكون هذه الأشياء حولي". كانت كتفاها تنخفضان وبدا جسدها وكأنه يذبل. تابعت: "وحيث إنك كنت تعرفينها جيدًا..." هزت رأسها: "آه، ماذا أقول؟ إنه لأمر مزعج. لا، انسي الأمر".

"لا، لا، إنه فقط أنني..." هل كان يجب أن أوافق؟ كنت هكذا سأحظى بالتحكم الكامل في ملاحظات أثينا لكتاب *الجبهة الأخيرة*، ومن يدري ماذا أيضًا. أهي أفكار لكتب مستقبلية، أو مسودات كاملة؟

لا، من الأفضل ألا أكون جشعة. كنت أمتلك ما أريد، وما عدا ذلك قد يعرضني لترك أثر عن جريمتي. قد تكون السيدة ليو حذرة، لكن ماذا قد يحدث إذا ذكرت صحيفة بيل ديلي نيوز، بشكل عابر، أنني أصبحت أمتلك تلك الدفاتر كلها؟

ولم يكن الأمر شبيهًا بمحاولة بناء مسيرتي المهنية من خلال إعادة استخدام أعمال أثينا. كانت رواية *الجبهة الأخيرة* حدثًا خاصًا وسعيدًا، بل مزج بين نوعين من العبقرية. سيكون أي عمل أنتجه من هنا فصاعدًا من أعمالي الخاصة. لم أعد أحتاج إلى مثل هذه الغواية.

قلت برفق: "لا أستطيع. لن أشعر بالراحة. ربما يمكنكِ تركها في أوراق العائلة؟".

ما أردته هو أن تحرقها وتنثر الرماد جنبًا إلى جنب مع رماد أثينا كي لا يتمكن أحد، أي قريب فضولي بعد عقود من الآن، من العبث بها للبحث عما يجب تركه وشأنه. لكن كان يجب أن أجعلها تعتقد أنها صاحبة الاقتراح.

هزت السيدة ليو رأسها مرة أخرى: "لا يوجد شخص آخر. بعد أن عاد والدها إلى الصين، بقيت وأثينا بمفردنا". شهقت: "لهذا قلت نعم لهؤلاء الباحثين في مارلين، فهم على الأقل سيبعدونها عن متناول يدي".

قلت: "لا أثق في أمر الأرشيف العام فحسب، إذ لا تعرفين ما سيكتشفونه".

اتسعت عينا السيدة ليو. فجأة بدت قلقة للغاية، وتساءلت عما كانت تفكر فيه، لكنني كنت أعلم أنه من الأفضل ألا أتطفل. لقد حصلت بالفعل على ما جئت من أجله. سأترك خيالها كي يتولى البقية.

قالت مرة أخرى: "يا إلهي! لا أصدق..."

انقبضت معدتي. بدت قلقة جدًا. يا إلهي! *ما الذي أفعله؟* فجأة أصبح كل ما أريده هو الخروج من هناك، وأن تذهب الملاحظات للجحيم. كان هذا الأمر غاية في التعقيد. لم أستطع أن أصدق أنني تجرأت على المجيء إلى هنا.

"لا أقصد أن أضغط عليكِ يا سيدة ليو..."

"لا". وضعت فنجان الشاي على الطاولة بقوة، واستطردت: "لا. أنتِ على حق. لن أضع روح ابنتي للعرض".

تنفست الصعداء وأنا أراقبها بحذر. هل ربحت؟ هل كان الأمر بهذه السهولة؟

"إذا كان هذا ما قر..."

"نعم، هذا ما قررته". نظرت إليّ بعينين غاضبتين، كما لو أنني على وشك محاولة إقناعها بخلاف ذلك وتابعت: "لن يراها أحد... لا أحد".

مكثت معها نصف ساعة أخرى قبل أن أغادر أثرثر بلا هدف وأخبر السيدة ليو عن شعوري منذ الجنازة. أخبرتها عن رواية الجبهة الأخيرة، وعن إلهام أثينا في عملي وأملي كذلك في أن تكون فخورًا بما كتبته. لكنها لم تكن مهتمة. بدت مشتتة، وسألتني ثلاث مرات إن كنت أرغب في المزيد من الشاي رغم أنني قلت لا بالفعل، وكان واضحًا أنها ترغب في أن تُترك بمفردها لكنها كانت لطيفة على نحو جعلها لا تطلب مني المغادرة.

عندما هممت بالنهوض للمغادرة، كانت تحدق إلى الصناديق، وقد بدا عليها الخوف من محتوياتها.

راقبت صفحة ويب أرشيف مارلين على مدار الأسابيع القليلة التالية بحثًا عن أي تحديثات تتعلق بمجموعة أثينا ليو. لكن لم يحدث شيء. مر يوم الثلاثين من يناير وهو اليوم الذي كان من المفترض أن تتاح فيه الدفاتر للجمهور. في أحد الأيام، بحثت في موقع *أخبار جامعة* ييل لأجد أن الإعلان الأصلي قد أُزيل ببساطة دون أي إشارة إلى ذلك، وتلاشى رابطه، كما لو لم يكن للقصة أي وجود!

الفصل الخامس

في يوم الأربعاء، عقدت أول اجتماع عبر الفيديو مع فريقي العلاقات العامة والتسويق الجديدين.

كنت متوترة للغاية، ما جعلني أشعر بالغثيان.. كانت تجربتي السابقة في العمل مع مسئولة العلاقات العامة فظيعة. كانت امرأة شقراء ذات وجه صغير تدعى كيمبرلي، وكانت ترسل لي دائمًا طلبات مقابلات مع مدونين ذوي خمسة متابعين فحسب، وعندما كنت أطلب شيئًا أكثر، مثل تغطية على موقع إلكتروني قد سمع به الناس، كانت تقول: "سوف ندرس الموضوع. بيد أن الأمر كان يعتمد على مدى اهتمامهم". علمت كيمبرلي، شأنها شأن الجميع، منذ وقت مبكر أن بدايتي كانت متعثرة تمامًا. لكنها لم تكن تملك الشجاعة لمصارحتي بهذا. في معظم الأحيان، كانت تخطئ في تهجئة اسمي وتكتبه "جين". وعندما تركت ناشري القديم، أرسلت لي بريدًا إلكترونيًا مقتضبًا جاء فيه فقط: لقد كان من دواعي سروري أن أعمل معك.

لكن في هذه المرة، فوجئت بحماس الجميع. بدأت إميلي، التي تتولى شئون الدعاية وجيسيكا، التي تعمل في التسويق الرقمي، بإخباري بمدى إعجابهما بالمخطوطة. قالت جيسيكا بحماس: "تشع المخطوطة بجدية كاتب أكبر سنًا

بكثير". وأضافت: "وأعتقد أننا سنتمكن من وضعها بشكل جيد بين الأدب التاريخي الذي تحبه النساء، والأدب العسكري الذي يناسب الجمهور الذكوري".

أذهلني ذلك. بدا أن جيسيكا قد قرأت الرواية بالفعل، وهو ما كان جديدًا، إذ كانت كيمبرلي دائمًا تبدو مشوشة وغير متأكدة إن كنت قد كتبت رواية أم مذكرات.

ثم شرحتا إستراتيجيتهما التسويقية لي. شعرت بالانبهار من مدى شمولها. كانتا تتحدثان عن إعلانات على فيسبوك، وإعلانات على موقع جود ريدز، بل وإعلانات في محطات المترو، رغم أنه غير واضح إذا كان أحد ينتبه لتلك الإعلانات بعد الآن، كما أنهما كانتا تستثمران بشكل كبير في وضع الرواية في المكتبات، ما يعني أنه منذ اليوم الذي تطرح فيها الرواية، ستكون أول شيء يراه الناس عندما يدخلون أي متجر من متاجر بارنز آند نوبل في جميع أنحاء البلاد.

أكدت جيسيكا: "بالتأكيد، ستكون هذه الرواية هي رواية الموسم. نفعل كل ما في وسعنا لجعل ذلك يحدث".

شعرت بأنني عاجزة عن الكلام. هل كان هذا ما سارت عليه الحال مع أثينا؟ هل يُقال للمرء من البداية إن روايته ستنجح؟

أنهت جيسيكا خطة التسويق مع بعض التواريخ والمواعيد النهائية التي سيحتاجون فيها إلى المواد الترويجية مني. حلت لحظة صمت قصيرة. ضغطت إميلي قلمها مرتين ثم قالت: "يتمثل السؤال التالي الذي نود طرحه عليكِ في مكانة المنتج".

أدركت أنها تنتظر إجابتي، فقلت: "آه، عذرًا، ماذا تعنين بذلك؟".

تبادلت إميلي وجيسيكا نظرة.

"المسألة هي أن معظم أحداث هذه الرواية تدور في الصين، ونظرًا للمحادثات الأخيرة حول... كما تعلمين..."

تدخلت إميلي: "الأصالة الثقافية، لا أعرف ما إذا كنت تتابعين بعض المحادثات على الإنترنت. قد يكون المدونون في مجال الكتب وحسابات تويتر الخاصة بالكتب... انتقائيين جدًّا هذه الأيام..."

قالت جيسيكا: " نريد فحسب أن نستعد مسبقًا لأي مشاكل محتملة، أو الهجمات الجماعية، إن جاز التعبير".

قلت: "لقد قضيت ساعات طويلة في البحث. لم أعتمد على أنماط في كتابتي، فليست تلك النوعية من الكتب..."

قالت إميلي بسلاسة: "بالطبع. لكن أنتِ... يعني، لستِ..."

فهمت ما تعنيه، فقلت باقتضاب: " لستُ صينية، إذا كان هذا ما تسألين عنه. إنها ليست "تجارب خاصة"، أو أيًا كان ما تريدين تسميته. هل هذه مشكلة؟".

"لا، لا، أبدًا، نحن نتحوط فحسب. وأنتِ حتى... أعني أنك لستِ حتى...".

تجهمت إيميلي بمجرد أن تفوهت بهذه الكلمات، كمن أدركت أنها أخطأت بقولها ذلك.

أوضحت: "أنا بيضاء البشرة، هل تقولين إننا سنتعرض للمشاكل لهذا السبب؟".

ندمت على الفور على صياغتي للأمر بهذه الطريقة. تحدثت بصراحة تبدو جارحة ودافعت عن نفسي بشكل مبالغ فيه، وأظهرت مخاوفي وضعفي بشكل واضح.

تبادلت إميلي وجيسيكا النظرات وكأن كل واحدة منهما تتمنى أن تتحدث الأخرى أولًا.

قالت إميلي أخيرًا: "بالطبع لا، من حق أي شخص أن يسرد أي نوع من القصص. نفكر فحسب في كيفية تحديد مكانتكِ لكي يثق القراء في العمل".

قلت: "حسنًا، يمكنهم أن يثقوا في العمل، يمكنهم أن يثقوا في الكلمات على الصفحة، في العرق والجهد الذي بذلته في سرد القصة".

قالت إيميلي: " لا طبعًا.، ولا نقصد التقليل من شأنه".

قالت جيسيكا: "بالطبع لا".

"ومرة أخرى، نحن نرى أنه من حق أي شخص أن يسرد أي نوع من القصص".

"لا نقوم بعمل الرقيب، فليست هذه ثقافتنا هنا في إيدن".

"صحيح".

ثم تحوّلت إميلي إلى الحديث عن مكان إقامتي، وأين يمكنني السفر، وما إلى ذلك. وبدأ الاجتماع يُختتم بسرعة بعد ذلك قبل أن أتمكن من استعادة توازني. أخبرتني إميلي وجيسيكا مرة أخرى عن مدى حماسهما بشأن الكتاب، وأنهما سعدتا بلقائي، وعن تطلعهما للعمل معي. ثم اختفت كل منهما، وتركتني أحدق إلى شاشة فارغة.

بكثير". وأضافت: "وأعتقد أننا سنتمكن من وضعها بشكل جيد بين الأدب التاريخي الذي تحبه النساء، والأدب العسكري الذي يناسب الجمهور الذكوري".

أذهلني ذلك. بدا أن جيسيكا قد قرأت الرواية بالفعل، وهو ما كان جديدًا، إذ كانت كيمبرلي دائمًا تبدو مشوشة وغير متأكدة إن كنت قد كتبت رواية أم مذكرات.

ثم شرحتا إستراتيجيتهما التسويقية لي. شعرت بالانبهار من مدى شمولها. كانتا تتحدثان عن إعلانات على فيسبوك، وإعلانات على موقع جود ريدز، بل وإعلانات في محطات المترو، رغم أنه غير واضح إذا كان أحد ينتبه لتلك الإعلانات بعد الآن، كما أنهما كانتا تستثمران بشكل كبير في وضع الرواية في المكتبات، ما يعني أنه منذ اليوم الذي تطرح فيها الرواية، ستكون أول شيء يراه الناس عندما يدخلون أي متجر من متاجر بارنز آند نوبل في جميع أنحاء البلاد.

أكدت جيسيكا: "بالتأكيد، ستكون هذه الرواية هي رواية الموسم. نفعل كل ما في وسعنا لجعل ذلك يحدث".

شعرت بأنني عاجزة عن الكلام. هل كان هذا ما سارت عليه الحال مع أثينا؟ هل يُقال للمرء من البداية إن روايته ستنجح؟

أنهت جيسيكا خطة التسويق مع بعض التواريخ والمواعيد النهائية التي سيحتاجون فيها إلى المواد الترويجية مني. حلت لحظة صمت قصيرة. ضغطت إميلي قلمها مرتين ثم قالت: "يتمثل السؤال التالي الذي نود طرحه عليكِ في مكانة المنتج".

أدركت أنها تنتظر إجابتي، فقلت: "آه، عذرًا، ماذا تعنين بذلك؟".

تبادلت إميلي وجيسيكا نظرة.

"المسألة هي أن معظم أحداث هذه الرواية تدور في الصين، ونظرًا للمحادثات الأخيرة حول... كما تعلمين..."

تدخلت إميلي: "الأصالة الثقافية، لا أعرف ما إذا كنت تتابعين بعض المحادثات على الإنترنت. قد يكون المدونون في مجال الكتب وحسابات تويتر الخاصة بالكتب... انتقائيين جدًا هذه الأيام..."

قالت جيسيكا: " نريد فحسب أن نستعد مسبقًا لأي مشاكل محتملة، أو الهجمات الجماعية، إن جاز التعبير".

قلت: "لقد قضيت ساعات طويلة في البحث. لم أعتمد على أنماط في كتابتي، فليست تلك النوعية من الكتب..."

قالت إميلي بسلاسة: "بالطبع. لكن أنتِ... يعني، لستِ..."

فهمت ما تعنيه، فقلت باقتضاب: " لستُ صينية، إذا كان هذا ما تسألين عنه. إنها ليست "تجارب خاصة"، أو أيًا كان ما تريدين تسميته. هل هذه مشكلة؟".

"لا، لا، أبدًا، نحن نتحوط فحسب. وأنتِ حتى... أعني أنك لستِ حتى...".

تجهمت إيميلي بمجرد أن تفوهت بهذه الكلمات، كمن أدركت أنها أخطأت بقولها ذلك.

أوضحت: "أنا بيضاء البشرة، هل تقولين إننا سنتعرض للمشاكل لهذا السبب؟".

ندمت على الفور على صياغتي للأمر بهذه الطريقة. تحدثت بصراحة تبدو جارحة ودافعت عن نفسي بشكل مبالغ فيه، وأظهرت مخاوفي وضعفي بشكل واضح. تبادلت إميلي وجيسيكا النظرات وكأن كل واحدة منهما تتمنى أن تتحدث الأخرى أولًا.

قالت إميلي أخيرًا: "بالطبع لا، من حق أي شخص أن يسرد أي نوع من القصص. نفكر فحسب في كيفية تحديد مكانتكِ لكي يثق القراء في العمل".

قلت: "حسنًا، يمكنهم أن يثقوا في العمل، يمكنهم أن يثقوا في الكلمات على الصفحة، في العرق والجهد الذي بذلته في سرد القصة".

قالت إيميلي: " لا طبعًا.، ولا نقصد التقليل من شأنه".

قالت جيسيكا: "بالطبع لا".

"ومرة أخرى، نحن نرى أنه من حق أي شخص أن يسرد أي نوع من القصص".

"لا نقوم بعمل الرقيب، فليست هذه ثقافتنا هنا في إيدن".

"صحيح".

ثم تحوّلت إميلي إلى الحديث عن مكان إقامتي، وأين يمكنني السفر، وما إلى ذلك. وبدأ الاجتماع يُختتم بسرعة بعد ذلك قبل أن أتمكن من استعادة توازني. أخبرتني إميلي وجيسيكا مرة أخرى عن مدى حماسهما بشأن الكتاب، وأنهما سعدتا بلقائي، وعن تطلعهما للعمل معي. ثم اختفت كل منهما، وتركتني أحدق إلى شاشة فارغة.

انتابني شعور فظيع، فأرسلت بريدًا إلكترونيًا إلى بريت بحت فيه بكل مخاوفي، فرد بعد ساعة مطمئنًا إياي ألا أقلق. كانتا تريدان توضيح الأمور فحسب حول كيفية تحديد مكانتي.

وقد تبين أنهما أرادتا إظهاري كـ"كاتبة عالمية". أرسلت لنا جيسيكا وإميلي بريدًا إلكترونيًا أطول في اليوم التالي، بتفاصيل خططهما:

نرى أن خلفية جوني مثيرة جدًا للاهتمام؛ لذا نريد التأكد من أن القراء على دراية بذلك.

سلطتا الضوء على جميع الأماكن المختلفة التي عشت فيها عندما كنت صغيرة؛ أمريكا الجنوبية، أوروبا الوسطى، وست مدن في الولايات المتحدة كانت محطات في جولة والدي التي لا تنتهي كمهندس بناء.

(إميلي تحب حقًا كلمة "رحّالة".) سلطتا الضوء على العام الذي قضيته في خدمة السلام في سيرتي الذاتية الجديدة ككاتبة، رغم أنني لم أذهب إلى آسيا أبدًا (كنت في المكسيك، أستخدم لغتي الإسبانية من المدرسة الثانوية، وتركت الخدمة مبكرًا بسبب إصابتي بفيروس مُعد قوي واضطررت للإخلاء الطبي). كما اقترحتا أن أنشر باسم "جونيبير سونج" بدلًا من "جوني هايوارد" ("ظهورك الأول لم يصل إلى السوق نفسها التي نأمل الوصول إليها، ومن الأفضل أن تحصلي على بداية جديدة. وجونيبير اسم فريد جدًا جدًا. ما نوع الاسم هذا؟ يبدو أصليًا".). لم تكتبا لي عن سبب ترشيحهما لـ"سونج" بدلًا من "هايوارد". لا أحد قال بشكل صريح إن "سونج" قد يخطئ القرّاء تفسيره على أنه اسم صيني، بينما في الحقيقة هو الاسم الأوسط الذي اخترعته أمي خلال مرحلتها الهيبيّة في الثمانينيات، وكنت على وشك أن أسمى "جونيبير سيرينيتي هايوارد".

ساعدتني إميلي في تقديم فكرة مقال حول الهوية المؤلفية والأسماء المستعارة إلى *إليكتريك ليت*، حيث شرحت أنني اخترت إعادة تقديم نفسي كـ"جونيبير سونج" تكريمًا لخلفيتي وتأثير والدتي في حياتي. كان "ظهوري الأول، *فوق شجرة الجميز*، الذي كتبته باسم جوني هايوارد مرتبطًا بحزني على وفاة والدي، أما *الجبهة الأخيرة*، الذي كتبته باسم جونيبير سونج، فإنه يرمز إلى خطوة للأمام في رحلتي الإبداعية. هذا ما أحببته في الكتابة، فهي تمنح المرء فرصًا لا حصر لها

لإعادة اكتشاف نفسه، والقصص التي يرويها عن ذاته، كما تسمح للمرء بالاعتراف بكل جانب من جوانب تراثه وتاريخه".

لم أكن أكذب، فهذا أمر مهم. ولم أتظاهر أبدًا بأنني صينية، ولم أختلق تجارب حياتية لم أمر بها. لم يكن ما نقوم به هنا احتيالًا، بل كنا نقترح المؤهلات الصحيحة، بحيث يأخذني القراء وقصتي على محمل الجد، وحتى لا يرفض أحد قراءة عملي بسبب بعض المفاهيم الخاطئة القديمة حول من يملك الصلاحية لكتابة موضوعات معينة. وإذا افترض أي شخص شيئًا خاطئًا أو ربط النقاط بطريقة غير صحيحة، ألا يقع هذا الذنب على عاتقهم وبسبب مفاهيمهم وليس عليَّ؟

سارت الأمور بسلاسة أكبر في الجانب التحريري. أحبت دانييلا ما قمت به في التعديلات. تمثل كل ما طلبته في جولتها الثالثة في بعض التعديلات البسيطة على النص، واقتراح بإضافة "دراماتس بيرسونا"، وهو مصطلح أنيق لقائمة تتضمن جميع الشخصيات مع نبذة مختصرة عن كل منها كي لا ينسى القراء مَن هم، ثم أرسلنا النص إلى أحد محرري النصوص الذين أعتبرهم مخلوقات خارقة، بعيون صقور، تلتقط الأخطاء الناجمة عن عدم الاتساق في التفاصيل والتي لا تراها العين المجردة.

لم نواجه سوى مشكلة واحدة قبل أسبوع من الموعد المحدد لتدقيق النص.

أرسلت لي دانييلا رسالة عبر البريد الإلكتروني فجأة: مرحبًا جوني. لعلكِ بخير. هل تصدقين أننا بالفعل على بُعد ستة أشهر من النشر؟ أردت أن أطرح عليكِ شيئًا لأعرف رأيك. اقترحت كانديس أن نستعين بمدقق حساسية من الصين أو من المهاجرين الصينيين، وأعلم أن الاقتراح متأخر قليلًا في العملية، لكن هل ترغبين في أن نبحث في هذا الأمر لكِ؟

يعد مدققو الحساسية قراءً يقدمون استشارات ثقافية ومقالات نقدية للنصوص مقابل أجر. لنفترض، على سبيل المثال، أن كاتبًا أبيض البشرة ألف كتابًا يتضمن شخصية من أصول أفريقية. قد يقوم الناشر بتوظيف مراجع حساسية من ذوي الأصول الأفريقية للتحقق مما إذا كانت التمثيلات النصية تتضمن تمثيلات عنصرية سواء أكانت عن قصد أو عن غير قصد. لقد أصبحت هذه الفكرة شائعة

بشكل متزايد في السنوات الأخيرة، إذ تعرض العديد من الكتاب ذوي البشرة البيضاء لانتقادات بسبب استخدامهم للقوالب النمطية العنصرية. إنها طريقة لطيفة لتجنب التعرض للهجوم على تويتر، رغم أنها في بعض الأحيان قد تأتي بنتائج عكسية - سمعت قصصًا مرعبة عن كاتبين على الأقل اضطرا لسحب كتبهما من النشر بسبب رأي شخصي واحد.

رددت على رسالتها قائلة: لا أرى سببًا لذلك. أنا مطمئنة للبحث الذي قمت به.

وصلتني اجابتها فورًا في بريدي الوارد. أهلًا جوني، أنا كانديس. أتابع معك الأمر. أؤيد توظيف مراجع متمرس في التاريخ واللغة. ليست جوني من الشتات الصيني، ومن ثم، فإننا نعرض أنفسنا لخطر التسبب في أضرار حقيقية إذا لم نتحقق من أي من العبارات الصينية، أو تقاليد التسمية، أو سرد النص للعنصرية مع قارئ أكثر قدرة على اكتشاف الأخطاء.

تنهدت بضيق.

كانت كانديس لي، مساعدة دانييلا التحريرية، الوحيدة في "إيدن" التي لا تحبني. لم تكن تُظهر ذلك بشكل واضح بحيث أتمكن من الشكوى، إذ كانت تتحرى اللياقة دائمًا في رسائل البريد الإلكتروني، وتترك إعجابًا وتعيد نشر كل ما أكتبه عن الرواية على وسائل التواصل الاجتماعي، وتحييني دائمًا بابتسامة خلال اجتماعات الفيديو. لكنني كنت متأكدة أن كل ذلك مُصطنع، إذ كان ثمة شيء في تعبيرها المتجهم وكلماتها المقتضبة.

ربما كانت تعرف أثينا، أو ربما كانت هي واحدة من أولئك الكتاب الطموحين الذين يعملون في نشر الكتب كموظفين مبتدئين مقابل أجر زهيد وكثير من العمل، ولديها مخطوطة مستوحاة من الصين الخاصة بها، وكانت تغار لأنني حققت نجاحًا، في حين لم تحقق هي ذلك. كنت أتفهم ذلك، ففي صناعة النشر، هذه ديناميكية عالمية. لكنها أيضًا ليست مشكلتي.

أرسلت: مرة أخرى، أنا في غاية الاطمئنان للبحث الذي قمت به استعدادًا لهذه الرواية. لا أجد أنه من الضروري تأجيل الأمور لمراجعة أي حساسية في هذه

المرحلة من الإنتاج، خاصة أن الوقت يداهمنا لتسلم النسخ للمراجعة من القراء الأوائل.

كان ينبغي أن يكون هذا نهاية الموضوع. لكن بعد ساعة، جاء إشعار من بريدي الوارد مرة أخرى. كانت كانديس، تعزز موقفها. أرسلت البريد الإلكتروني لي، ودانييلا، وفريق العلاقات العامة بالكامل.

الأعزاء،

أريد أن أؤكد مرة أخرى كم هو مهم بالنسبة لي أن نحصل على مراجع حساسية لهذا المشروع، ففي الظروف الحالية، من المحتمل أن يتشكك القراء في شخص يكتب خارج مجاله - ولسبب وجيه. أتفهَّم أن هذا سيؤخر الإنتاج، لكن مراجع الحساسية سيحمي جوني من اتهامات الاستيلاء الثقافي، والأسوأ من ذلك، النهب الثقافي، وسيثبت أن جوني تهدف لتمثيل مجتمع الشتات الصيني بنية حسنة.

يا إلهي! الاستيلاء الثقافي؟ *نهب* الثقافة؟ ما *مشكلتها*؟

أرسلت بريدها الإلكتروني إلى بريت. وكتبت: هلا طلبت منها *التنحي*؟ يعد الوكلاء وسطاء رائعين في مثل هذه المناقشات الحادة؛ فسوف يقومون بالمهام الصعبة ويريحون المرء من عنائها. أعتقد أنني أوضحت موقفي بما فيه الكفاية، فما السبب في أنها لا تزال تزعجني بهذا؟

اقترح بريت أنه ربما، بدلًا من إحضار شخص خارجي، يمكن أن تقوم كانديس بمراجعة الحساسية. ردت كانديس باقتضاب أنها كورية أمريكية، وليست صينية أمريكية، وأن افتراض بريت خلاف ذلك يعد اعتداء عنصريًا خفيًا. (في هذه اللحظة، فهمت أن كانديس موجودة فقط للشكوى من الاعتداءات العنصرية). تدخلت دانييلا لتهدئة الأمور. بالطبع، تقرر الأمر في النهاية اعتمادًا على رأيي ككاتبة. كان توظيف مراجع حساسية خياري بالكامل، وقد أوضحت أنني لا أريد. كنا سنلتزم بالجدول الزمني الأصلي للإنتاج. بات كل شيء على ما يرام.

في الأسبوع التالي، أرسلت لي كانديس بريدًا إلكترونيًا تعتذر فيه عن نبرتها، وتمت إضافة دانييلا فقط إلى هذه الرسالة في النسخة. لم يبد كاعتذار حقيقي، بل

بدا رسالة سلبية للغاية: أعتذر لو جعلتكِ اقتراحاتي تشعرين بالضيق. كما تعلمين يا جوني، أريد فحسب المساعدة على نشر *الجبهة الأخيرة* بأفضل طريقة ممكنة.

قرأت باستهجان، ولكنني التزمت جانب النُبل. لقد كسبت معركتي بالفعل، ومن غير المجدي أن أضايق مساعدة تحرير مسكينة. جاء ردي موجزًا:

شكرًا لكِ، كانديس. أقدر ذلك.

تابعت دانييلا في بريد إلكتروني خاص لإخباري بأن كانديس قد تم إبعادها عن المشروع. لم أعد بحاجة إلى التعامل معها بعد الآن. وأن جميع الرسائل المتعلقة بـ*الجبهة الأخيرة* يمكن أن تتم مباشرة من خلال دانييلا أو إميلي أو جيسيكا.

كتبت دانييلا: أعتذر بشدة أنك اضطررت للتعامل مع هذا. من الواضح أن كانديس كانت متحمسة لهذا المشروع، ما أثر على حكمها. أريدك أن تعرفي أنني أجريت محادثة جدية مع كانديس بشأن احترام الحدود مع الكُتاب، وسأتأكد من أن هذا لن يحدث مرة أخرى.

بالغت دانييلا في الاعتذار وبدا أنها تعني ذلك حقًّا للحد الذي جعلني أشعر للحظة بالخجل والتوتر من أنني قد بالغت في الأمر. لكن لم يكن هذا مهمًّا مقارنة بالراحة التي شعرت بها أخيرًا. وللمرة الأولى، شعرت بأن ناشري يؤزارني.

هل سبق لك أن رأيت شخصًا تعرفه يتحول فجأة من شخص عادي إلى شبه مشهور، وواجهة مصقولة ومصطنعة يعرفها مئات الآلاف من الناس؟ قد يصبح موسيقار من أيام المدرسة الثانوية مشهورًا أو تعاني نجمة أفلام تعرفت عليها كفتاة شقراء في العام الجامعي الأول من اضطراب تناول الطعام. هل تساءلت يومًا عن آليات الترويج؟ كيف يمكن لشخص أن يتحول من شخص حقيقي، شخص كنت تعرفه بالفعل، إلى مجرد مجموعة من النقاط التسويقية والإعلامية التي يستهلكها ويمتدحها معجبون يظنون أنهم يعرفونهم، لكنهم في الحقيقة لا يعرفونهم، ولكنهم يفهمون ذلك أيضًا، ويحتفون بهم رغم أي شيء؟

شاهدت كل هذا يحدث مع أثينا في السنة التي تلت تخرجنا في الجامعة وفي فترة التحضير لإطلاق روايتها الأولى. كانت أثينا شخصية ذائعة الصيت في جامعة

بيل، بل كانت من المشاهير في الحرم الجامعي التي تتلقى طلبات صداقة منتظمة في مجموعة المعجب السري على فيسبوك لذلك العام، لكنها لم تكن قد اشتُهرت بعد على نحو يجعل لها صفحة على ويكيبيديا ويذهل القارئ العادي بمدى روعتها عندما يُذكر اسمها.

تغير ذلك عندما نشرت صحيفة *نيويورك تايمز* مقالًا ترويجيًا عنها بعنوان "خريجة ييل تحصل على صفقة بستة أرقام مع راندوم هاوس". وقد تَصدر المقال صورة لأثينا وهي تقف أمام مكتبة ستيرلينج التذكارية. كما نقلوا عن شاعر شهير كان يعمل أستاذًا مساعدًا في ييل قوله إنها "خليفة منتظرة لأمثال إيمي تان وماكسين هونج كينجستون". ومنذ ذلك الحين، بدأت الأمور تتصاعد. قفز عدد متابعيها على تويتر إلى مئات الآلاف، وبلغ عدد متابعيها على إنستجرام الملايين. أجرت مقابلات ترويجية مع *وول ستريت جورنال* و*هاف بوست*؛ وذات مرة، أثناء توجهي إلى موعد طبي، فوجئت بسماع لهجتها الصافية الغامضة، والتي بدت، في مواضع كثيرة، مصطنعة ومختلطة ببعض اللكنة البريطانية، تتسلل عبر سماعات سيارة الأجرة التي كنت أستقلها.

بدأت أسطورتها تُنسج آنيًا، مع شخصية مصطنعة وُضعت بدقة لتكون أكثر رواجًا من قبل فريق النشر الخاص بها، إلى جانب جرعة لا بأس بها من الاستغلال غير العادل على شاكلة رسائل معقدة اختُزلت إلى شعارات قصيرة، وسير ذاتية اختيرت بعناية لتظهر الجانب الغريب والمميز. يحدث هذا في الواقع مع كل كاتب ناجح، لكنه يبدو أكثر غرابة عندما تكون صديقًا للمصدر الأصلي. كانت أثينا ليو تكتب فقط على آلة كاتبة ريمينجتون (صحيح، ولكن فقط بعد عامها الجامعي الأخير، بعد أن استلهمت الفكرة من أستاذ زائر شهير). كانت أثينا ليو من بين المتأهلين لنهائيات مسابقة كتابة وطنية عندما كانت في السادسة عشرة فقط (وهذا صحيح أيضًا، لكن، يستطيع أي طالب ثانوي كتابة جمل مترابطة، ما يُمكّنه من الحصول على فرصة التنافس في تلك المسابقات في وقت ما؛ ليس من الصعب التفوق على طلاب آخرين يقتصر تعريفهم للفن على كلمات أغاني بيلي إيليش المنسوخة). كانت أثينا ليو معجزة، وعبقرية، بل النجمة التالية وصوت جيلها. إليك ست روايات لا تستطيع أثينا ليو العيش من دونها (ومن بينها، دائمًا، *بروست*). إليك خمس علامات تجارية لدفاتر ملاحظات بأسعار معقولة توصي بها أثينا ليو (تكتب

فقط على دفاتر ملاحظات مولسكين، ولكن جرب هذه العلامات التجارية الأخرى إذا كنت فقيرًا!).

كان هذا جنونيًا. لقد أرسلت لها رسالة نصية مع رابط لجلسة تصوير حديثة في كوزمو. لم أدرك أن قراء كوزمو كانوا، مثلًا، مثقفون.

ردت هي: هاهاها، أعرف! لم أتعرف حتى على تلك الفتاة في الصفحة الأولى، لقد قاموا بتعديل صورتي بشكل مبالغ فيه. لم يكن هذا حاجبي.

كانت الصورة المفرطة في الواقعية. في ذلك الوقت كان من الرائع اقتباس بودريار كما لو أنك قرأت عمله بالكامل.

قالت: بالضبط، أثينا النسخة الصفرية... وأثينا النسخة الأولى... أنا عمل فني. كل شيء مصطنع. أنا أثينا الأرستقراطية!

لذا عندما جاء دوري لإصدار رواية، كان لديّ توقعات كبيرة أن الناشرين سيفعلون الشيء نفسه لي ولروايتي *فوق شجرة الجميز*، وأن هناك فريق عمل متمكنًا سيبني شخصيتي العامة دون أن أبذل أقل مجهود، وأن قسم التسويق سيأخذ بيديَّ ويعلمني بالضبط ما يجب عليَّ ارتداؤه وقوله عندما أظهر في جميع المقابلات الإعلامية الكبرى التي يرتبونها لي.

لكن ناشري ألقى بي إلى الذئاب؛ فقد تعلمت كل شيء عن الترويج الذاتي من خلال محادثات على قناة بمنصة *سلاك* للكتاب الجدد؛ حيث كان الجميع ضائعين مثلي، يتبادلون منشورات مدونة قديمة نحلوها من زوايا الإنترنت. كان يجب على الكاتب امتلاك موقع إلكتروني، لكن هل كان *وورد بريس* أفضل أم *سكوير سبيس*؟ هل كانت المبيعات تغطي تكلفة النشرات الإخبارية والمكسب المرجو، أم كانت مضيعة للمال؟ هل يجب توظيف محترف لصور المؤلفين، أم أن صورة سيلفي باستخدام وضع البورتريه في هاتف الآيفون كافية؟ هل يجب إنشاء حساب تويتر منفصل لشخصية المؤلف؟ هل يمكن نشر التغريدات المتهورة؟ إذا دخلت في نزاع علني مع كتّاب آخرين، هل سيؤدي ذلك إلى تدمير مبيعاتك أم سيزيد من رؤيتك؟ أما زال من الرائع الدخول في نزاع علني على تويتر، أم أن النزاعات صارت مقصورة على تطبيق ديسكورد؟

كان من البديهي ألا تتحقق المقابلات المهمة، فأقرب ما وصلت إليه كان دعوة من شخص يدعى مارك؛ صاحب بودكاست لديه خمسمائة متابع، وقد ندمت على

قبولي له فور أن بدأ في التذمر حول التسييس المفرط للأدب الخيالي المعاصر وبدأت أخشى أن يكون نازيًا.

لكن هذه المرة، حصلت على دعم أكبر بكثير من *إيدن*. كانت إميلي وجيسيكا حاضرتين للإجابة عن جميع أسئلتي، إذ كان يجب أن أبدي نشاطًا على جميع منصات التواصل الاجتماعي الخاصة بي وأضع روابط الطلب المسبق في كل منشور، إذ تقلل خوارزمية تويتر من رؤية التغريدات التي تحتوي على روابط، ولكن كان يمكنني التلاعب بذلك بوضع الروابط في تغريدة منفصلة داخل السلسلة أو في التعريف بالذات. لم تكن التقييمات النجومية تعني شيئًا فعلًا، ولكن، كان يجب أن أتباهى بها لأن الضجة المفتعلة تظل ضجة. وقد أرسل الكتاب إلى المراجعين في جميع المنافذ الرئيسية، وتوقعنا أن يكتب البعض شيئًا إيجابيًا عنه. ربما لن نحصل على مقال تعريفي في *الـ نيويوركر*، ولكن ربما بعد بضعة كتب في المستقبل يمكننا التحدث عن ذلك.

أصبحت أمتلك مالًا؛ لذا استأجرت مصورًا لالتقاط مجموعة جديدة من الصور لي كمؤلفة. كانت صديقة أختي من الكلية قد التقطت مجموعتي القديمة. كانت تلك الصديقة مصورة هاوية تدعى ميليندا. كانت قد طلبت مني مقابلًا ضئيلًا مقارنة بالأسعار التي وجدتها في أماكن أخرى عبر الإنترنت. كنت أعبث بملامح وجهي بعدة طرق مختلفة محاولة إظهار الأجواء الغامضة، والمثيرة، والجادة لصور الكاتبات المشهورات الجادات. استلهمت جينيفر إجان ودونا تارت.

كانت أثينا دائمًا تبدو كعارضة أزياء في صورها. كان شعرها يتطاير بحرية حول وجهها، وبشرتها شاحبة وتلمع كالبورسلين، وشفتاها كانتا مكتنزتين وغير مشدودتين قليلًا على الأطراف كما لو كانت تعرف نكتة لم تكن أنت جزءًا منها، وحاجبها مرفوع كأنها تقول: *جرب العبث معي*. لو كانت المؤلفة بارعة الجمال، لبيعت كتبها بسهولة. لقد توصلت إلى قناعة منذ فترة طويلة بأنني فقط جذابة بشكل مقبول، هذا إن كانت الزوايا والإضاءة الصحيحة؛ لذا حاولت الوصول إلى أفضل شيء تال، وهو: "عملت بجد وذكاء". لكن لم أجد من السهل نقل تلك الأفكار إلى الكاميرا، وكانت النتيجة مفزعة عندما أرسلتها لي ميليندا. كنت أبدو كأنني أحاول أن أمنع عطسة، أو كما لو أنني أريد قضاء حاجتي ولكنني *كنت* أخشى إخبار أحد. أردت أن أعيد التقاطها جميعًا، ربما مع مرآة في الخلفية حتى أتمكن من رؤية

ما كنت أفعله بالضبط، لكنني شعرت بالذنب لإضاعة وقت ميليندا؛ لذا اخترت الصورة التي كنت أبدو فيها أكثر شبهًا بالبشر وأقل تشبهًا بنفسي، ودفعت لها خمسين دولارًا مقابل جهدها.

في هذه المرة، أنفقت خمسمائة دولار على مصورة محترفة في واشنطن تُدعى كيت. قمنا بالتقاط الصور في الأستوديو الخاص بها حيث كانت تستخدم جميع أنواع معدات الإضاءة التي لم أرَها من قبل، والتي يمكنني فقط أن آمل أن تخفي ندوب حب الشباب لديَّ. كانت كيت سريعة، وودودة، ومهنية. كانت تعليماتها واضحة ومباشرة. "ارفعي ذقنك. أرخي وجهك قليلًا. الآن سأروي نكتة، وتفاعلي كما تريدين، لكن لا تركزي على العدسة. رائع. أوه، هذا رائع".

وبعد أيام، أرسلت لي مجموعة من الصور مع علامة مائية. كنت مندهشة من جمالي في الصور، خاصة تلك التي التقطناها في الخارج. وفي وقت الغروب، ظهرت بألوان برونزية لطيفة، ما جعلني أبدو كأنني شخص غير محدد عرقيًا. كانت عيناي موجهتين بتواضع إلى الجانب، وذهني مملوء بالأفكار العميقة والغامضة. كنت أبدو كشخص قادر على تأليف كتاب عن العمال الصينيين في الحرب العالمية الأولى وإنجاز ذلك بكل عدالة. كنت أبدو مثل جونيبير سونج.

بناءً على اقتراح إميلي، بدأت في ترسيخ وجودي على وسائل التواصل الاجتماعي. حتى الآن، كنت فقط أكتب تغريدات عشوائية ومزاحًا حول جين أوستن. لم يكن لديَّ عدد كبير من المتابعين؛ لذا لم يكن ما أشاركه مهمًا. لكن الآن بما أنني صرت أكتسب اهتمامًا بسبب صفقة كتابي، أردت أن أترك انطباعًا صحيحًا. أردت من المدونين والمراجعين والقراء أن يعرفوا أنني شخص يهتم بالقضايا الصحيحة.

أجريت تحليلًا لحسابات تويتر الخاصة بأثينا والأصدقاء المشتركين بيننا أي الشخصيات المجتمعية يجب أن أتابع، وأي المحادثات يجب أن أكون جزءًا منها. قمت بإعادة تغريد الآراء الساخنة حول شاي الفقاعات، ومُحسنات الطعام (إم إس جي)، وفرقة بي تي إس، وبعض المسلسلات الدرامية مثل *المتمردون*. عرفت أنه من المهم أن تكون ضد جمهورية الصين الشعبية ولكن مع الصين (لم أكن متأكدة تمامًا من الفارق بينهما). تعلمت مَن هم "القوميون الصينيون الصغار" و"النازيون الجدد" وتأكدت أنني لا أرتكب خطأ بإعادة تغريد أي دعم لهما. أدنت ما يحدث في

شينجيانج، وأيدت هونج كونج. بدأت في كسب العديد من المتابعين الجدد يوميًا بمجرد أن بدأت في التعبير عن رأيي في هذه القضايا، وعندما لاحظت أن العديد من متابعيَّ هم من ذوي البشرة الملونة أو لديهم شعارات مثل □بي___إل___إم (حياة ذوي البشرة السوداء مهمة) في التعريف بالذات، علمت أنني على الطريق الصحيح.

وبذلك، بدأت شخصيتي العامة في الظهور. وداعًا جوني هايوارد، المؤلفة غير المعروفة لرواية فوق *شجرة الجميز*، ومرحبًا بجونيبير سونج، مؤلفة أهم روايات هذا الموسم - المبدعة، الغامضة، وأقرب صديقة للراحلة أثينا ليو.

في الأشهر التي سبقت إصدار *الجبهة الأخيرة*، بذل فريق العلاقات العامة في إيدن ما في وسعه للتأكد من أن جميع أنحاء أمريكا على دراية بوجود الرواية.

أرسلوا نسخًا مسبقة للمراجعة (نسخ خاصة بالقراء المخضرمين) إلى مؤلفين كبار آخرين في إيدن، وعلى الرغم من أن ليس لدى الجميع الوقت لقراءته، قال بعض الكتاب الأكثر مبيعًا أشياء لطيفة مثل "جاذب!" و"وجهة نظر مثيرة،" وهو ما ستقوم دانييلا بطباعته على غلاف الكتاب.

تم الانتهاء من تصميم الغلاف قبل عام تقريبًا من تاريخ الإصدار. طلبت مني دانييلا أن أعد لوحة أفكار لتصميم الغلاف على تطبيق بينتريست. (يحصل المؤلفون عادة على بعض الأفكار حول الموضوعات والتصاميم العامة، لكننا نسلم بأننا لا نعرف شيئًا عن تصميم الأغلفة ونترك العملية للمصممين). بحثت في جوجل عن بعض الصور لفيلق العمل الصيني ووجدت بعض الصور بالأبيض والأسود للعمال أنفسهم. كانت هناك واحدة على وجه الخصوص اعتقدت أنها ساحرة: حوالي ثمانية عمال مجتمعين حول الكاميرا وهم يبتسمون. أرسلتها إلى دانييلا. سألت: ماذا عن هذه؟ صارت في الملكية العامة؛ لذا لن نضطر لشراء حقوقها.

لكن دانييلا وقسم الفن لم يعتقدا أنها مناسبة تمامًا. قالت: لا نريد أن يبدو ككتاب تاريخي وليس رواية. هل كانت لتجذب أنظارك إذا كنت تتجولين في المكتبة ورأيتها بهذا الغلاف؟

في النهاية، اخترنا تصميمًا أكثر حداثة. كُتِبَت كلمة *الجبهة الأخيرة* بأحرف ضخمة على غلاف مع خلفية مزدوجة الألوان تُظهر ما يبدو وكأنه قرية فرنسية مشتعلة. كتبت دانييلا: نريد ألوانًا تبرز الجرأة، والملحمية، والرومانسية. وستلاحظين الحروف الصينية على حواف الغلاف الداخلي، ما سيوضح للقراء أن يتوقعوا شيء مختلف مع هذا الكتاب.

بدا الغلاف ثقيلًا، وجذابًا، ويوحي بجدية المحتوى. وكان يشبه على نحو ما في الوقت نفسه كل روايات الحرب العالمية الأولى التي نُشرت في السنوات العشر الماضية، ولكنه كان أيضًا شيئًا جديدًا، ومثيرًا، وأصليًا. كتبت إلى دانييلا: مثالي ... هذا مثالي.

وإذ اقتربنا من موعد الإصدار، بدأت في رؤية إعلانات للكتاب في كل مكان - جود ريدز، وأمازون، وفيسبوك، وإنستجرام، بل إنهم أطلقوا إعلانًا في المترو، وإما لم يخبروني بذلك وإما نسيت. فعندما نزلت من القطار في محطة فرانكونيا- سبرينجفيلد ورأيت غلاف كتابي ملصقًا على الجدار المقابل، شعرت بالدهشة، فوقفت مذهولة على الرصيف. *هذا كتابي، هذا اسمي.*

قرأت امرأة خلفي بصوت عالٍ لرفيقها: "*الجبهة الأخيرة* من تأليف جونيبير سونج. هممم".

قال الرجل: "يبدو جيدًا. يجب أن نتحقق منه".

قالت المرأة: "بالتأكيد".

في تلك اللحظة، اجتاحتني موجة من الفرح، وقبضت يديّ بقوة وقفزت عاليًا، رغم أن ذلك قد جعلني أشبه من تقلد مشهدًا في مسلسل تلفزيوني رخيص.

استمر تدفق الأخبار الجيدة. أرسل لي بريت بريدًا إلكترونيًا بتحديثات حول مبيعات حقوق الترجمة. كتب بريت: لقد بعنا الحقوق في ألمانيا، وإسبانيا، وبولندا، وروسيا. ليس في فرنسا بعد، لكننا نعمل على ذلك. لكن لا أحد يبيع بشكل جيد في فرنسا. إذا أحبك الفرنسيون، فهذا يعني أنك ترتكبين خطأ جسيمًا.

بدأت رواية *الجبهة الأخيرة* تظهر في العديد من القوائم مثل "أفضل عشر روايات لهذا الصيف" و"أحدث الإصدارات التي نتحرق شوقًا لقراءتها". أما المفاجأة فتمثلت في قائمة "15 كتابًا يجب قراءتها هذا الصيف على الشاطئ"

من موقع بوب شوجر. مزحت على تويتر: من يحب أن يقرأ رواية عن الحرب العالمية الأولى على الشاطئ؟ لكن إذا كنت غريب الأطوار مثلي، فقد تستمتع بهذه القائمة!

اختير كتابي لنادي قراءة وطني تديره امرأة بيضاء البشرة ذات توجه سياسي مشهورة في الغالب بكونها ابنة أحد الساسة البارزين، ما ملأني بشعور بقلق أخلاقي، لكنني قررت في النهاية أنه إذا كانت قاعدة قراء نادي الكتاب تتكون في الغالب من نساء بيضاوات البشرة ذوات توجهات سياسية، ألن يكون من الجيد أن توسع هذه الرواية مداركهن؟

في المملكة المتحدة، اختيرت *الجبهة الأخيرة* لصندوق الكتب من ريداهوليكس. لم أكن أعرف أن صناديق الكتب صناعة كبيرة إلى هذا الحد، لكن اتضح أن منصات الاشتراكات، مثل ريداهوليكس، تقدم الكتب في صناديق لطيفة مع بضائع مرفقة لعشرات الآلاف من العملاء شهريًا. كانت النسخة الخاصة من *الجبهة الأخيرة* في صندوق ريداهوليكس تحتوي على حواف مزخرفة، وتُشحن مع حقيبة كتف مصنوعة من الجلد الصناعي، وسلسلة مفاتيح تحتوي على حيوانات الأبراج الصينية المصنوعة من اليشب (يمكنك إجراء اختبار شخصية عبر الإنترنت لتحديد توافقك مع الأبراج مقابل رسوم خاصة)، وتشكيلة من الشاي الأخضر التايواني النادر ذي الأصل الواحد والمستدام.

قررت بارنز آند نوبل إصدار طبعة خاصة موقعة حصريًا، ما يعني أنه قبل أربعة أشهر من تاريخ الإصدار، وصلت ثمانية طرود ضخمة إلى شقتي تحتوي على أوراق مخصصة للتوقيع، وهي صفحات فارغة تحمل فقط العنوان، ستُدرج لاحقًا في الكتب المطبوعة بمجرد توقيعي عليها. استغرق توقيع آلاف الأوراق *وقتًا طويلًا*، وقضيت الأسبوعين التاليين في ليالي *التوقيع والقهوة*، حيث جلست أمام التلفاز مع كومة من الأوراق على يميني وكوب كبير من القهوة على يساري، وأنا أشاهد بلينج إمباير وأكتب جونيبير سونج بخط كبير ومائل.

رحت أتساءل: *هل هذه هي علامات نجاح الكتاب وأنه سيصبح من الأكثر مبيعًا؟* لا بد أن تكون كذلك. لماذا لا يخبرك أحد من البداية بكم هو مهم كتابك للناشر؟ قبل أن يصدر *فوق شجرة الجميز*، عملت بجد على إجراء مقابلات، وعمل مدونات وبودكاست آملة أنه كلما بذلت مزيدًا من الجهد في الدعاية، سيكافئني الناشر على جهودي. لكن الآن، رأيت أن جهود المؤلف لا علاقة لها بنجاح الكتاب.

فالكتب الأكثر مبيعًا تُختار. لا يهم ما تفعله. عليك أن تستمتع بالمزايا على طول الطريق فحسب.

بدأت المراجعات المبكرة تتدفق قبل شهرين من تاريخ الإصدار.

أصبحت عادة ليلية بالنسبة لي أن أتصفح المراجعات الجديدة على جود ريدز، فقط من أجل تلك الزيادة الصغيرة في هرمون السعادة يُنصح المؤلفون بعدم تصفح جود ريدز، لكن لا أحد يتبع تلك النصيحة - لا يستطيع أحد منا مقاومة الرغبة في معرفة كيف يُستقبل عمله. على أي حال، *الجبهة الأخيرة* حققت نتائج مذهلة؛ بدا متوسط تقييمه صحيًّا للغاية، وكانت معظم المراجعات الأفضل، ما جعل المراجعة الثلاثية النجوم العرضية تؤثر عليَّ بصعوبة.

لكن في إحدى الليالي، لمحت شيئًا جعل قلبي يتوقف.

تقييم من نجمة واحدة. حصل *الجبهة الأخيرة* على أول تقييم سيئ من نجمة واحدة، من مستخدم يدعى **كانديس.لي**.

مستحيل! ضغطت على ملفها الشخصي، متسائلة إذا كان مجرد مصادفة.

لا، **كانديس.لي**، نيويورك، تعمل في مجال النشر. مؤلفوها المفضلون: كورماك مكارثي، ماريلين روبنسون، وجمبا لاهيري. لم تكن نشطة بشكل خاص على جود ريدز - آخر مراجعة لها كانت لمجموعة شعرية من عام 2014 - ما يعني أن هذه لم تكن حادثة. لم ينزلق إصبعها عن طريق الخطأ. من الواضح أن كانديس بذلت جهدًا لتسجيل الدخول وإعطاء روايتي نجمة واحدة.

ارتجفت أصابعي، صورت الشاشة وأرسلت التقييم إلى محررتي.

مرحبًا دانييلا،

أعرف أنكِ نصحتِني بعدم تصفح جود ريدز، لكن أرسل لي صديق هذا وأنا أشعر ببعض القلق. يبدو أن هناك خللًا كبيرًا في الاحترافية. أعتقد تقنيًا أن كانديس لها الحق في تقييم عملي كما تشاء في وقت فراغها، لكن بعد ما حدث بخصوص مراجعة الحساسية، يبدو أن هذا متعمد ...

مع أطيب التحيات،

جوني.

ردت دانييلا علي في بداية الصباح.

شكرًا لإبلاغي. كان ذلك غير مهني للغاية. سنتعامل مع الأمر داخليًا.

كنت أعرف نبرة رسائل دانييلا الإلكترونية على نحو جعلني أشعر متى تكون غاضبة. عندئذ، كانت تكتب جملًا قصيرة ومقتضبة، ولم تكن حتى تترك توقيعًا. كانت دانييلا *غاضبة للغاية*.

جيد. شعرت بلذة الانتقام تتدفق في داخلي. فكانديس تستحق ذلك. بعيدًا عن الفوضى التي سببتها مسألة تدقيق الحساسية، ما نوع الشخص الذي يلعب بمشاعر كاتب بهذه الطريقة؟ ألا تعلم إلى أي مدى يكون إطلاق الكتب مرهقًا ومتعبًا؟ توقفت للحظة متخيلة نوع الفوضى التي زرعتها في مكتب شركة إيدن هذا الصباح. ورغم أنني لن أقول هذا علنًا عن امرأة أخرى - فالصناعة قاسية بما فيه الكفاية كما هي - آمل أن أكون قد تسببت في فصل تلك المرأة.

الفصل السادس

مـر الزمـن سـريعًا، حيـث أصبحـت الأشـهُر أسـابيع، وصـارت الأسـابيع أيامًـا، ثـم أخيـرًا صـدرت الروايـة.

فـي المـرة الأخيـرة، تعلمـت -بصعوبـة بالغـة- أن اليـوم الـذي تُطـرح فيـه روايتـك للبيع هو يوم خيبة أمل شديدة لمعظم الكتّاب. بدا الأسبوع الذي سبقه كأنه يجب أن يكون العـد التنـازلـي لحـدث عظيم، وأنه ستكون هنـاك ضجة إعلامية وإشـادة نقدية فوريـة، وأن الروايـة ستتصدر جميع قوائـم المبيعـات. ولكن في الحقيقـة، كان الأمر كلـه يمثـل خيبـة أمـل كبيـرة. صحيـح أنـه كان مـن الممتـع أن أدخـل المكتبـات وأرى اسمي علـى الأرفف (مـا لـم يكن كتابك مـن الإصدارات البـارزة، وكان مدفونًـا بيـن عناويـن أخـرى دون أن يكون معروضًـا بواجهـة واضحـة، أو الأسـوأ، لم تعرضه معظم المكتبات أصلًا). ولكن بخلاف ذلك، لم يكن هنـاك أي رد فعل فوري. لم الأشخـاص الذين اشتروا الكتاب الوقت بعد لإنهاء قراءته. حدثت معظم المبيعات في الطلبات المسبقة، لذلـك لـم يكن هنـاك أي تحـرك حقيقـي علـى أمـازون، أو جودريـدز، أو أي مـن المواقـع الأخـرى التـي كنـت أتابعهـا بجنـون طـوال الشـهر السـابق للصـدور. كان المـرء مملـوءً بالأمـل والطاقـة، ولكـن لـم تـؤول الأمـور إلـى أي شـيء تمنـاه.

لـم تـأتِ لحظـة وعـي واحـدة يـدرك فيهـا المـرء أن كتابـه فشـل فشـلًا ذريعًـا، بـل كانـت هنـاك آلاف الخيبـات المتراكمـة بعضهـا فوق بعض مع مرور الأيام، إذ لا ينفك

يقارن أرقام مبيعاته بأرقام كُتَّاب آخرين، ويرى النسخة الموقعة نفسها وغير المبيعة جاثمة على رف مكتبة منطقته المحلية في كل مرة يزورها للتفقد. كان هناك فقط تدفق بطيء من رسائل البريد الإلكتروني التي تقول: "المبيعات أقل قليلًا مما كنا نتوقع، لكننا نأمل أن تتحسن" تليها فترة صمت تام وغامض. لم يكن هناك سوى إحساس متزايد بالرهبة وخيبة الأمل، حتى أصبحت المرارة أكثر من اللازم، وحتى يبدأ المرء يشعر بأنه كان ساذجًا لاعتقاده أنه قد يصبح كاتبًا على الإطلاق.

لذلك تعلمت من إصدار فوق شجرة الجميز ألا أرفع سقف توقعاتي.

لكن هذه المرة شعرت بشيء مميز. هذه المرة تعلمت مجددًا مدى اختلاف العالم كما يعيشه الكُتَّاب مثل أثينا. ففي صباح يوم إطلاق روايتي، وصل إلى شقتي صندوق ضخم به كعكة احتفال كبيرة. وكُتب في الملاحظة المرفقة بخط يد دانييلا: *تهانينا، لقد استحققتِ ذلك.*

التقطت صورة ذاتية مع الكعكة، ثم نشرتها على إنستجرام مع التعليق: اليوم هو اليوم المنتظر! أشعر بالامتنان، والانبهار، والتوتر. سعيدة لأن لديَّ أفضل فريق في هذا المجال. حصدت الصورة ألفي إعجاب خلال ساعة واحدة.

منحتني رؤية تلك القلوب وهي تتزايد دفعة السيروتونين التي لطالما تمنيتها في يوم الإطلاق. وخلال الصباح، استمر الغرباء في الإشارة إليَّ في منشورات التهنئة، والمراجعات، وصور روايتي وهي مكدّسة في قسم الإصدارات الجديدة في بارنز آند نوبل، أو معروضة في الواجهة مع بطاقة توصية في المكتبات المستقلة المحلية. أشارت إحدى بائعات الكتب إليَّ في صورة لهرم مصنوع من نسخ كتابي مرفقة بتعليق: "مصمِّمة على بيع مائة نسخة من "الجبهة الأخيرة" في اليوم الأول! شاهدوني أفعل ذلك!".

تقول الحكمة الشائعة إن وسائل التواصل الاجتماعي مقياس فاشل لمعرفة مدى نجاح الكتاب، فمثلًا، لا يعكس تويتر النظام البيئي الأكبر لشراء الكتب، ويُعزى حصول الكتب على الكثير من الضجة غالبًا إلى حضور مفرط لفريق الكاتب على تويتر. ولا تُترجم الإعجابات والمتابعين بالضرورة إلى مبيعات.

لكن ألا ينبغي أن تكون كل هذه الضجة إشارة إلى شيء ما؟ نُشرت مراجعات عن كتابي في إن بي أر، ونيويورك تايمز، وواشنطن بوست. عند نشر فوق شجرة الجميز، ولقد شعرت بأنني كنت محظوظة بالحصول حتى على مراجعة من

كيركوس، والتي لم تكن أكثر من ملخص للحبكة. والآن، يتحدث الجميع عن الجبهة الأخيرة، وكأنهم يعلمون مسبقًا أنها ستحقق نجاحًا كبيرًا. وتساءلت إن كان ذلك هو الجزء الأخير الغامض من عملية النشر: هل تصبح الكتب كبيرة لأنها، في لحظة ما، قرر الجميع فجأة، دون أي سبب وجيه على الإطلاق، أن هذا سيكون العنوان البارز في هذه الفترة؟

وعلى الرغم من عشوائية الأمر، فقد كنت سعيدة لأنه يعمل لصالح روايتي.

في تلك الليلة، كان لديَّ حفل توقيع مجدول في بوليتكس آند بروز بالقرب من الواجهة البحرية. زرت هذا المكان عشرات المرات كجزء من الجمهور. إنه النوع من المكتبات التي يتحدث فيها الرؤساء السابقون والمشاهير خلال جولات كتبهم؛ قبل بضع سنوات، جئت إلى هنا لأشاهد هيلاري كلينتون وهي تلقي حديثًا، كما أقامت أثينا إطلاق كتابها الأول هنا. وعندما كتبت لي إميلي تخبرني بأنها حجزت لي في *بي آند بي* صرخت أمام شاشتي.

كان عليَّ أن أستجمع شجاعتي قبل أن أعبر الأبواب. نظَّم ناشري لـ *فوق شجرة الجميز* جولة كتب "متعددة المدن"، لكن كل متجر زرته لم يكن فيه جمهور يزيد على عشرة أشخاص.

وكان من المؤلم أن أكافح في القراءة والمناقشة ويغادر الناس أثناء كلامي. والأسوأ من ذلك هو الجلوس لتوقيع كومة من النسخ غير المبيعة بعد انتهاء الفعالية، في حين يقف مدير المتجر بجانبي محاولاً بدء حديث صغير محرج عن أن السبب ربما يعود إلى العطلات، وأن الناس مشغولون بالتسوق ولم يكن لديهم الوقت الكافي للإعلان، وأن هذا هو سبب قلة الحضور. بعد المحطة الثانية أردت الانسحاب، لكن إلغاء جولة كتاب بالكامل أكثر إذلالاً من الاستمرار فيها دقيقة بدقيقة وقلبك يتحطم وأنت تدرك عدم أهميتك، وحماقتك؛ لأنك تجرأت على التفاؤل.

لكن الليلة، كانت ثمة حشود في المكتبة على نحو لم يسمح بوجود مكان للوقوف، وكان الناس يجلسون متربعين في الممر. كدت أعود أدراجي. توقفت عند المدخل، وتفحصت هاتفي كي أتحقق من الوقت والتاريخ؛ لأن هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا. هل خلطت بين موعد مناقشة روايتي وموعد سالي روني؟ لكن مدير المتجر رآني واصطحبني إلى المكتب الخلفي، حيث قدم لي زجاجة ماء وبعض النعناع.

وحينها أدركت أن الأمر لم يكن به خطأ، بل كان حقيقيًا، وأن كل هؤلاء الناس جاءوا لرؤيتي.

ترددت أصداء التصفيق من حولي وأنا أسير إلى المقدمة. قدَّمني مدير المتجر، ثم اتخذت مكاني على المنصة وركبتاي ترتجفان. لم أتحدث إلى هذا الحشد الكبير من الناس في حياتي من قبل. لحسن الحظ، كنت سأقوم بقراءة قبل جلسة الأسئلة والأجوبة؛ لذا كان لديَّ لحظة لاستعادة توازني. اخترت مقطعًا من منتصف الكتاب - مشهدًا مستقلًا سيشكل نقطة دخول سهلة للجمهور. والأهم من ذلك، أنه أحد المشاهد التي كتبتها بالكامل تقريبًا. هذه عباراتي، هذا نتاج ذكائي الخالص.

"بدا الضابط البريطاني المكلّف بتوجيه رجال فرقة آه لونج خائفًا بشكل دائم من أن ينقلب عليه هؤلاء الأجانب في أي لحظة". اهتز صوتي لكنه سرعان ما ثبت. سعَلت، وارتشفت جرعة من زجاجة الماء، وواصلت القراءة. أنا بخير .. أستطيع فعل هذا. "قال له زميله عند المناوبة: (أبقهم تحت السيطرة. إنهم يعملون بجد، لكن احرص على ألا يصبحوا مصدر إزعاج عام). لذلك أمر بعدم السماح للرجال بمغادرة سياج الأسلاك الشائكة لأي سبب دون إذن صريح، وقضى آه لونج أسابيعه الأولى في فرنسا وهو يتجنب أجراس التحذير والأسلاك المفخخة متسائلًا لماذا يُعامل كسجين، إذا كان موجودًا هنا للمساعدة في جهود الحرب".

لاقى المقطع استحسانًا كبيرًا. يمكنك أن تشعر عندما تسيطر على غرفة. ساد صمت مهيب، وتوتر، وكأنك غرست خطافًا في صدور الجميع والحبال مشدودة. أصبح صوتي ناعمًا، وواضحًا، وجذابًا، ومهتزًا على نحو جعلني أظهر جانبي البشري الضعيف، ومع ذلك كنت متماسكة. وكنت أعلم أنني أبدو جيدة في البنطال الرمادي الضيق، والحذاء البني، والكنزة العنابية الضيقة ذات الرقبة العالية التي اخترتها لتلك الليلة. أنا كاتبة شابة جادة. أنا من نجمات الأدب.

أنهيت القراءة وسط تصفيق حار. كانت جلسة الأسئلة والأجوبة ناجحة بالقدر نفسه، إذ جاءت الأسئلة إما سهلة تتيح لي فرصة للتألق ("كيف وازنتِ بين البحث في موضوع تاريخي متخصص وعملك اليومي؟"، "كيف جعلتِ الإعداد التاريخي غنيًا وحيويًا إلى هذا الحد؟") أو صريحة في الإطراء ("كيف تبقين متواضعة وأنتِ

ناجحة بهذا الشكل في سن صغيرة؟"، "هل شعرتِ بأي ضغط بعد حصولكِ على صفقة رواية بهذا الحجم؟").

كانت إجاباتي مضحكة، ولبقة، وعميقة، ومتواضعة:

"لست متأكدة أنني أوازن أي شيء. ما زلت لا أعرف في أي يوم نحن. في وقت سابق من هذه الليلة نسيت اسمي" وقد ضُجَّ المكان بالضحك.

"بالطبع، كان كل ما كتبته في الجامعة تافهًا تمامًا؛ لأن طلاب الجامعات لا يعرفون كيف يكتبون عن أي شيء سوى خيال كونهم طلاب جامعة". علا صوت المزيد من الضحك.

"أما عن مقاربتي للخيال التاريخي، فأعتقد أن ما أستلهمه هو تقنية "التأليف النقدي" لسايدية هارتمان، وهي طريقة للكتابة ضد التيار، ولضخ التعاطف والواقعية في السجل الأرشيفي لتاريخ يبدو مجردًا بالنسبة لنا". أبدى الجمهور إيماءات إعجاب وتأمل.

لقد أحبني الناس. لم يستطيعوا إبعاد أنظارهم عني. لقد جاءوا من أجلي، وجلسوا يتشبثون بكل كلمة أنطق بها، كي يركزوا عليَّ بالكامل، كما لو أنني محور اهتمامهم المطلق.

ولأول مرة شعرت بذلك بعمق؛ لقد فعلتها، لقد حدث الأمر، لقد نجح. لقد أصبحت واحدة من المختارين، واحدة من أولئك الذين رأت "السلطات العليا" أنهم ذوو أهمية. كنت في قمة النشوة جراء تفاعلي مع الجمهور، أضحك حين يضحكون، وأعلق على طريقة صياغة أسئلتهم. لقد نسيت تمامًا إجاباتي المكتوبة مسبقًا؛ أصبحت أرتجل بالكامل، وكانت كل كلمة تخرج من فمي ذكية، وجذابة، وممتعة. كنت أسيطر على الموقف.

ثم رأيتها.

هناك، في الصف الأول، بشحمها ولحمها، تلقي بظلها، حقيقية وموجودة بحيث لا يمكن أن تكون صورة من خيال. كانت ترتدي شالًا أخضر زمرديًا، واحدًا من قطعها المميزة. كان ملفوفًا حول جسدها النحيل بطريقة تجعل كتفيها تبدوان نحيفتين، ضعيفتين، وأنيقتين في آن واحد. كانت تستند بخفة على كرسيها البلاستيكي، تدفع خصلات شعرها الأسود اللامع إلى الخلف فوق كتفيها.

أثينا!!!

تدفق الدم في أذني، ففتحت عينيَّ وأغمضتهما عدة مرات آملة بشدة أن تكون مجرد طيف، لكن في كل مرة أفتح عيني، كانت لا تزال هناك، تبتسم لي ابتسامة ترقب بشفاه حمراء بلون التوت ماركة *ستيلا ستاي أول داي*. أصابني الهلع؛ لأنني أعرف هذا، لأنني قرأت ذلك المقال السخيف في مجلة فوج عن نصائح أثينا للمكياج عشرات المرات قبل إطلاق روايتي. *درجة اللون*: بيسو.

اهدئي. ربما هناك تفسير آخر. ربما تكون أختها؛ شخص يشبهها تمامًا – ابنة عم، أخت توأم؟ لكن أثينا لم تكن لها أخت، ولا أي أفراد عائلة من جيلها؛ لقد قالت والدتها ذلك بوضوح تام. لا يوجد أحد. بعد أن عاد والدها إلى الصين، بقيت وأثينا بمفردنا.

انكسرت التعويذة. شعرتُ بالدوار وجفاف الحلق ورحت أتلعثم خلال بقية جلسة الأسئلة والأجوبة. فقدت أي سيطرة كانت لديَّ على الجمهور. سألني أحدهم عمّا إذا كان أي من دراستي في جامعة ييل قد أثر على رواية الجبهة الأخيرة، وفجأة لم أستطع تذكر أسماء أي من الدروس التي حضرتها في حياتي.

ظللت أرمق أثينا بنظرات خاطفة آملة أن تكون قد اختفت وأنها لم تكن سوى محض خيال، ولكن في كل مرة أنظر، أجدها هناك، تراقبني بطريقتها الباردة والغامضة، تحكم على كل كلمة تخرج من فمي.

انتهت الساعة. جلست وسط التصفيق أحاول بشدة ألا أفقد وعيي. قادني مدير المتجر إلى طاولة في مقدمة صف التوقيع، وارتسمتُ ابتسامة متكلفة على وجهي بينما كنت أرحب بالقارئ تلو الآخر. للابتسام فن، وكذلك التواصل البصري، وتبادل الأحاديث العابرة، وتوقيع كتاب دون أن أخطئ في كتابة اسمي أو اسم الشخص الذي أهدي إليه الكتاب. أصبحتُ أكثر تمرسًا في هذا الأمر بعد عدة فعاليات توقيع للنسخ قبل الإصدار، وفي الأيام الجيدة كنت أتمكن من القيام بكل ذلك مع لحظات صمت محرجة لا تتجاوز مرة أو مرتين. ولكن اليوم، كنت أتعثر باستمرار. سألت الشخص نفسه: "كيف كانت ليلتك؟" مرتين، وأخطأت في كتابة اسم أحد القراء بشكل فادح، ما جعل المتجر يقدم له نسخة مجانية بديلة.

كنت خائفة من أن تظهر أثينا أمامي حاملة كتابًا في يدها. ظللتُ أمد عنقي بحثًا عن شالها الأخضر في الصف، لكن بدا كأنها قد اختفت.

هل لاحظ أحد غيري؟ هل كنت الوحيدة التي رأتها؟

لاحظ موظفو المتجر أن هناك خطبًا ما. دون استشارتي، أسرعوا بإنهاء ما تبقى من طابور التوقيع مذكرين الجميع بضرورة اختصار أسئلتهم؛ لأن الوقت قد تأخر. عندما انتهينا، لم يدعوني إلى العشاء أو لتناول مشروب، بل اكتفوا بمصافحتي وشكري على حضوري. عرض عليَّ مدير المتجر أن يطلب سيارة أوبر لتعيدني إلى شقتي، فقبلت بامتنان.

عند عودتي إلى المنزل، خلعت حذائي وارتميت في السرير.

خفق قلبي بسرعة؛ وأصبحت أنفاسي ضحلة. دوّى طنين عالٍ في رأسي، ما جعلني أسمع أفكاري بمشقة، وشعرت بانجذاب أسفل جمجمتي، وكأنني أنسحب إلى داخل جسدي ثم أبتعد عنه. شعرت بنوبة هلع وشيكة. لم تكن وشيكة، بل بلغت *ذروتها*؛ كنت أعاني نوبة على مدار الساعة الماضية دون أن يشعر بي أحد. ولم أشعر بكامل أعراضها إلا الآن بعد أن أصبحت في مكان خاص. انقبض صدري، وخبا بصري حتى صار كنقطة صغيرة.

حاولت أن أمر عبر قائمة التحقق التي علّمتني إياها الدكتورة جايلي. ماذا رأيت؟ اللحاف البيج الملطخ من جانب بآثار كريم الأساس وخطوط الماسكارا. ماذا شممت؟ الطعام الكوري الذي طلبته للغداء اليوم وما زال على الطاولة؛ لأنني كنت متوترة جدًّا قبل الحدث فلم أتناوله، ورائحة مسحوق الغسيل المنعش من شراشفي التي غسلتها حديثًا. ماذا سمعت؟ حركة المرور في الخارج، ونبضات قلبي في أذنيَّ. ماذا ذقت؟ قهوة قديمة، إذ لاحظت الآن فقط الكوب الفارغ من هذا الصباح.

خفف هذا كله من حدة توتري قليلًا، لكن عقلي ظل يسابق الزمن، وراحت معدتي تنقبض بسبب الغثيان. توجب عليّ أن أترنح إلى الحمام، على الأقل لأستحم وأزيل كل ذلك المكياج، لكن الدوار منعني من النهوض.

لكنني مددت يدي نحو هاتفي.

بحثت في تويتر عن اسم أثينا، ثم عن اسمي، ثم عن اسمي واسمها معًا. بحثت بالأسماء الأولى فقط، بالألقاب فقط، وبالأسماء الأولى والأخيرة؛ مع أو من دون هاشتاج. بحثت عن ذكر بوليتيكس آند بروز في التغريدات. بحثت عن حسابات موظفي المكتبة الذين تذكرت أسماءهم.

لكن لم يكن هناك شيء. كنت الوحيدة التي رأت أثينا. كان الجميع على تويتر يتحدث عن مدى روعة الحدث، ومدى حماسي وبلاغتي، ومدى حماسهم لقراءة *الجبهة الأخيرة*. بحثت عن جوني + أثينا لكن لم يُسفر ذلك إلا عن تغريدة جديدة في الساعة الماضية، كتبها شخص أظنه أحد الحاضرين:

> قراءة جونيبير سونج من رواية الجبهة الأخيرة الليلة كانت رائعة للغاية، وبدا من الواضح لماذا تشعر بأن هذه الرواية هي تكريم لصديقتها؛ في الواقع، أثناء حديثها عن عملية إبداعها، بدا كما لو أن شبح أثينا ليو كان موجودًا معنا في الغرفة.

الفصل السابع

وصلت إلى المركز الثالث في قائمة *نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعًا* يوم الأربعاء التالي. أرسلت لي دانييلا رسالة بريد إلكتروني تحمل الخبر: **تهانينا، جوني! لم يُفاجأ أحد هنا، لكنني أعلم أنك كنت قلقة، لذا إليك الدليل الرسمي. لقد فعلتها**

رد بريت على بريدها بعد بضع دقائق. **يا للروعة!**

نشرت إميلي من قسم الدعاية إعلانًا على تويتر، ما أثار سيلًا من التغريدات المبتهجة والمنشورات على إنستجرام، والرسائل المباشرة. قام الحساب الرسمي لإيدن بالإشارة إليَّ في تغريدة مرفقة بصورة متحركة جي آي إف لسيدتين تقفزان فرحًا.

التغريدة: جونيبير سونج، كاتبة ضمن قائمة نيويورك تايمز للأكثر مبيعًا!

يا إلهي!

يا *إلهي*!

كان هذا كل ما تمنيته. كنا نعلم من أرقام الطلبات المسبقة أن وصولي إلى القائمة كان مرجحًا، ولكن رؤية الدليل مطبوعًا بالأسود والأبيض جعلتني أعيش في حالة من الابتهاج. كان هذا ختم الموافقة. صرت كاتبة ضمن الكُتاب الأكثر مبيعًا. لقد نجحت.

جلست نصف ساعة كاملة على مكتبي، أحدق إلى هاتفي فيما استمرت رسائل التهنئة بالتدفق. أردت أن أتصل بأحدهم وأصيح بفرحتي في أذنه، لكنني لم أعرف بمن أتصل. لم تكن والدتي لتهتم، أو ربما كانت ستتظاهر بالاهتمام وتطرح أسئلة سخيفة عن تلك القائمة، ما سيشعرني بضيق أكبر. كانت روري لتسعد من أجلي، لكنها لن تفهم لماذا يعد هذا إنجازًا كبيرًا. كان رابع اسم في سجل مكالماتي لصديق سابق حاول التواصل معي عندما كان في زيارة لواشنطن العاصمة من أجل العمل، ولا يمكنني *إخباره* بذلك بالتأكيد. لم أكن مقربة من أي من أصدقائي الكُتّاب على نحو يجعلني أبلغهم الخبر دون أن يبدو كأنه تفاخر خالٍ من الذوق. كما لم يكن إخبار أصدقائي الذين لا يعملون في مجال الكتابة ليجلب أيّ رضا. كنت أريد شخصًا يعرف الأمر ويفهم حقًّا كم أن هذا إنجاز عظيم.

استغرق الأمر دقيقة لأدرك أن أول شخص كنت في حاجة لأن أهاتفه، الشخص الوحيد الذي كان سيفهم هذا الخبر كما هو، ولن يرد عليه بالغيرة الحقيرة أو الدعم المزيف هو أثينا.

قلت لشبحها: *تهانينا!*، إذ كنت أتحلى بهذا الكرم، فقد تلاشى المشهد المقلق لرؤيتها في قراءتي من ذاكرتي، وقد طغت عليه ملذاتي الشرهة الحالية. صار من السهل أن أعتبر تلك الرؤية مجرد هلوسة عصبية. وكان الأسهل من ذلك أن أنسى أنها حدثت على الإطلاق.

عوضًا عن ذلك، غردت بخبري للجمهور. كتب سلسلة تغريدات طويلة عن سبب أهمية الوصول إلى القائمة بالنسبة لي، خاصة بعد فشل كتابي الأول، وعن المشقة الطويلة والمؤلمة في عالم النشر التي أثمرت أخيرًا.. لا يصبح الجميع من الكُتّاب الأكثر مبيعًا بين عشية وضحاها، فبالنسبة للبعض منا، يستغرق الأمر سنوات من العمل الجاد، والأمل، والحلم. كنت دائمًا آمل أن تأتي لحظتي. وها هي الآن، أعتقد أنها جاءت.

إن سيل الإعجابات وتعليقات التهاني هما بالضبط ما احتجت إليه لملء الفراغ. جلست أمام شاشتي أشاهد الأرقام ترتفع، وأستمتع بذلك الاندفاع الصغير من هرمون السعادة في كل مرة أتلقى فيها مجموعة جديدة من الإشعارات.

في النهاية، اضطررت للذهاب إلى الحمام، ما أجبرني على الابتعاد عن الشاشة. وفيما كنت أنهض، طلبت صندوقًا به اثنتا عشرة كعكة من متجر بيكد *آند*

وايرد، واحدة من كل نكهة متاحة في ذلك اليوم. وعندما وصل الطلب، جلست على الأرض ممسكة بالشوكة وأكلت حتى بدأت أشعر بطعم لذيذ.

ظل كتاب *الجبهة الأخيرة* على القائمة في المركز السادس لمدة أسبوع آخر، ثم في المركز العاشر للأسبوع الذي يليه حيث بقي لمدة شهر كامل. وكان هذا يعني أنني لم أصل إلى القائمة بمحض المصادفة. كانت مبيعاتي جيدة وثابتة. لقد أثمر استثمار إيدن في روايتي. لقد حققت، وبكل المقاييس الممكنة، نجاحًا باهرًا.

بدأ كل شيء يتغير. لقد انتقلت إلى فئة مختلفة تمامًا من الكُتّاب. تلقيت ستة من الدعوات للمشاركة في فعاليات أدبية مختلفة خلال الشهر التالي وحده، وبعد حضور بضع منها، وجدت أنني أستمتع بها. *كنت* أكره هذه الفعاليات فيما مضى. كانت تجمعات المؤلفين الكبرى - حفلات الجوائز، والمؤتمرات، والملتقيات -تشبه اليوم الأول في المدرسة الثانوية، لكن على نحو أسوأ، لأن الأولاد الرائعين يبقون بالفعل رائعين، ولا شيء أكثر إذلالًا من أن يتم تجاهلك في دائرة محادثة؛ لأن كتابك لم يبع نسخًا كافية، أو لم يحصل على تسويق كاف، أو لم ينل استحسان النقاد بما يكفي ليعاملك الآخرون كإنسان. في أحد مؤتمرات الأدب الأولى التي حضرتها، قدمت نفسي بخجل إلى كاتب كنت أعشق أعماله منذ المرحلة الإعدادية، فنظر إلى بطاقة اسمي بتركيز، ثم قال: "أوه، لا أعتقد أنني سمعت عنك من قبل"، واستدار صارفًا وجهه عني على الفور.

فجأة الآن، أصبحت مهمة بما يكفي ليعترف الآخرون بوجودي. الآن، أصبح الرجال يجاملونني ويشترون لي مشروبات في المقهى. (تجمعات المقاهي في الفعاليات الأدبية هي أماكن التقاء لأولئك الذين ينتظرون طوال العام للتفاخر بإنجازاتهم والدخول في مسابقات لقياس من حصل على أكبر مقدم أو طبع أكبر عدد من النسخ). في إحدى المرات، حاصرتني محررة من دار نشر صغيرة في الحمام لتخبرني بأنها من كبار المعجبين بعملي. قدم لي وكلاء الأفلام بطاقاتهم وشجعوني على التواصل. بدأ الكُتاب الذين تجاهلوني منذ فشل روايتي الأولى يتصرفون كما لو كنا أصدقاء مقربين. *يا إلهي، كيف حالك؟ يمر الوقت* بسرعة

كبيرة، أليس كذلك؟ هل يمكن أن تكتبي تعليقًا على غلاف روايتك القادمة؟ هل يمكن أن تعرِّفيني على محررك؟

في معرض بوك كون لهذا الصيف، الذي يستطيع المرء اعتباره حفلة تخرج عالم النشر، تلقيت دعوات للعديد من الحفلات التي تُقام بعد الحدث حول مركز جافيتس. كنت أتنقل من مجموعة إلى أخرى وأقدم إلى مجموعة من الأشخاص الأكثر أهمية في الصناعة، حتى وجدت نفسي في دائرة مع دانييلا وثلاثة من مؤلفيها الأكثر مبيعًا - مارني كيمبال، التي كتبت العديد من الروايات الأكثر مبيعًا عن نادلة شقراء جذابة تحارب الجريمة الخارقة وتقع في حب مصاصي الدماء في ملاه ليلية رديئة؛ وجين ووكر التي ظهرت مؤخرًا في برنامج *توداي* للحديث عن مذكراتها التي تدور حول كيف أصبحت رئيسة تنفيذية ثرية وقوية قبل أن تبلغ الثلاثين؛ وهيدي ستيل وهي روائية رومانسية صارمة وذات ملامح قوية وجذابة لطالما رأيت عناوين كتبها على رفوف *تارجت* منذ طفولتي.

سألت مارني: "هل أنا فحسب من يلحظ أم أن الكتاب الجدد يزداودن شبابًا؟ إنهم يبدون كالأطفال."

هزت هيدي رأسها: "يتم التوقيع معهم فور تخرجهم في الكلية في هذه الأيام. لا أقصد الإهانة، يا جوني. كانت إحدى عضوات لجنة الروايات الرومانسية الخاصة بي طالبة في السنة الثانية. لم تبلغ حتى سن الرشد".

سألت جين: "لكن هل من الحكمة أن يمنحوا عقود كتب قبل أن تتطور الفصوص الأمامية لأدمغتهم؟".

أجابت جين: "اقتربت إحدى الفتيات مني في طابور التوقيع وطلبت مني كتابة تعليق لكتابها. هل تصدقين ذلك؟ عنوان لم أسمع به من قبل، من دار نشر صغيرة لم أسمع بها من قبل، وتقدمت إليّ وهي تبتسم وتحمل نسخة من الكتاب كأنني سأوافق بالطبع".

ارتجفت مارني من الرعب: "وماذا قلتِ؟".

"قلت إنني لا أملك مساحة في حقيبتي للكتب المطبوعة، لكنها طلبت من وكيلها إرسال نسخة إلكترونية إلى وكيلتي. بالطبع لن أفتحها أبدًا". أصدرت جين صوتًا *شبيهًا بالهواء المندفع* بشفتيها وأردفت: "مباشرة إلى القمامة".

ضحك الجميع.

وقالت هيدي: "تصرف دبلوماسي".

قالت مارني: "تمهلي عليهم، فلن يحصلوا على دعم تسويقي، مساكين".

تنهدت دانييلا: "نعم، إنه أمر مؤسف حقًا. أكره رؤية هذه الدور الصغيرة تستحوذ على روايات جيدة فقط لترميها للذئاب".

قالت جين: "إنه أمر مرعب. كان ينبغي لوكلائهم أن يكونوا أكثر خبرة، فهذه الصناعة قاسية".

"أوه، *أعلم*".

أومأنا جميعًا واحتسينا المياه الفوارة بارتياح، إذ لم نكن جزءًا من هذه الجماهير التعسة. انتقلت المحادثة إلى دار نشر مستقلة قامت مؤخرًا بتسريح نصف موظفيها، بمن في ذلك جميع المحررين الكبار باستثناء واحد، وما إذا كان على الكتاب المتعاقدين معهم أن يجربوا حظهم في ظل الاضطرابات الوشيكة أو يحاولوا استعادة حقوقهم وينتقلوا إلى دار أخرى. اتضح أن القيل والقال في عالم النشر ممتع للغاية عندما تتعلق التكهنات بمصائب الآخرين.

سألتني مارني: "ما الذي دفعك للاهتمام بفيلق العمال الصينيين؟ لم أسمع عنهم من قبل حتى قرأت كتابك".

شعرت بالفخر لأنه حتى مارني تعرف حتى عن موضوع كتابي وقلت: "لم يسمع عنهم معظم الناس". لن أسأل عن آرائها، فمن حسن السلوك بين الكتاب ألا تسأل إذا كان شخص ما قد قرأ عملك بالفعل أو أنه مجرد ادعاء. "أخذت دورة في تاريخ شرق آسيا في جامعة ييل. أشار أستاذ إلى ذلك في إحدى الجلسات النقاشية، ووجدت أن عدم وجود روايات باللغة الإنجليزية عنه أمر غريب؛ لذا قررت أن أقدم هذه الإضافة الضرورية إلى عالم الأدب". كان الجزء الأول صحيحًا. أما الباقي فلا، إذ قضيت معظم تلك الدورة في قراءة تاريخ الفن الياباني، وذلك يعني مشاهدة الأفلام الإباحية، لكنه كان غطاءً مناسبًا لأسئلة كهذه.

•

هتفت هيدي: "هذا ما أفعله بالضبط، إذ أبحث عن الفجوات في التاريخ، الأشياء التي لا يتحدث عنها أحد. لهذا كتبت ملحمة رومانسية عن رجل أعمال وصائدة مغولية. *الفتاة النسر*. ستصدر العام المقبل. سأطلب من دانييلا أن ترسل لك نسخة. من المهم جدًا أن نفكر في وجهات النظر التي لا يتبناها القراء

الناطقون بالإنجليزية، أليس كذلك؟ يجب أن نُفسح المجال للأصوات المهمشة، للحكايات المكبوتة".

شعرت ببعض الدهشة من أن هيدي تعرف كلمة مهمشة، فعلقت قائلة: "صحيح، فلن تُروى هذه الحكايات ما لم نكن موجودين".

"تمامًا، *تمامًا*".

قرب نهاية الحفلة، صادفت محرري السابق أثناء وقوفي في طابور تسليم المعاطف. تقدم نحوي لمعانقتي وكأننا أعز الأصدقاء، وكأنه لم يدمر أول كتاب لي ويجعل مصيره الفشل، ثم يتخلى عني في أسوأ الأوقات.

قال مبتسمًا بحرارة: "هنيئًا يا جوني، كان من الرائع أن أتابع نجاحك".

لطالما تساءلت طوال العام الماضي عما سأقوله لجاريت إذا صادفته مرة أخرى. لطالما كبحت لساني عندما كنت كاتبته؛ كنت خائفة من قطع العلاقات ومن أن يشيع أنني صعبة التعامل. تمنيت أن أخبره وجهًا لوجه كيف جعلني أشعر بأنني صغيرة، وكيف جعلتني رسائله الإلكترونية الجافة والمستفزة مقتنعة بأن الناشر قد تخلى بالفعل عن عملي، وكيف كاد يدفعني للتوقف عن الكتابة بسبب لامبالاته.

لكن أفضل انتقام هو أن تزدهر، وكنت أعرف بالفعل أن دار النشر التابعة لجاريت تعاني. لم ينجح في إدراج أي كتاب في قائمة الكتب الأكثر مبيعًا سوى العناوين التابعة لتركات أدبية لمؤلفين مشهورين متوفين، والتي راح يتشبث بها كقارب نجاة. وعندما يأتي الركود الاقتصادي القادم، لن أفاجأ إذا فقد وظيفته. كما كنت أعلم ما يقوله الناس عنه في الخفاء - *كانت جونيبير سونج في قائمة جاريت مكينتوش، وترك الجبهة الأخيرة تفلت منه.*

قلت: "شكرًا لك". وإذ لم أستطع مقاومة الأمر، قلت: "أنا سعيدة جدًا بالدعم الذي أتلقاه في إيدن. دانييلا محررتي الجديدة رائعة".

"نعم، إنها عبقرية. كنا نتدرب معًا في هاربر". لم يضف شيئًا آخر، وابتسم لي متوقعًا أن أواصل الحديث.

أدركت برعب أنه يحاول تبادل أطراف الحديث. فهمت أنني لا أحتاج إلى إثارة إعجابه، وأنني مبهرة بما فيه الكفاية. كان يريد أن يراه الناس برفقتي.

قلت بابتسامة متماسكة: "نعم، إنها رائعة للغاية". ولأنني شعرت بالاستياء ولأنني أردت أن أزيد الطين بلة، أكملت: "إنها تفهم رؤيتي بطريقة تعاونية رائعة. لم أعمل مع شخص بهذه الدقة من قبل. أدين لها بكل نجاحي".

فهم التلميح، فبدا عليه الإحباط. تبادلنا بعض المجاملات الأخرى، وأعطينا أحدنا الآخر التحديثات المعتادة - كنت أعمل على شيء جديد، وقد وقع هو للتو مع مؤلف متحمس له، ثم اختلق عذرًا للرحيل وقال: "آسف يا جوني، لكن من الأفضل أن أذهب لتحية نظيرتي من المملكة المتحدة قبل أن تغادر. إنها في المدينة فقط لعطلة نهاية الأسبوع". هززت كتفي ولوحت له. مشى مبتعدًا، وملأني الأمل أن يكون ذلك خروجًا نهائيًا من حياتي. في يناير التالي، تلقيت أول كشف حقوق ملكية عن رواية *الجبهة الأخيرة*. لقد تجاوزت الحد المطلوب لتحقيق الأرباح. وهذا يعني أنني بعت ما يكفي من النسخ لتغطية مقدم العقد الكبير الذي حصلت عليه بالفعل، وأنني من الآن فصاعدًا سأحصل على نسبة من جميع المبيعات المستقبلية. وكانت المبيعات لتفوق التصور إذا صدق هذا البيان!

تعاملت بحذر في إنفاق أي مبلغ من أموال مقدم العقد حتى تلك اللحظة. لقد قرأت ما يكفي من القصص التحذيرية لأعرف أن أموال مقدم العقد تنفد بسرعة، وأنه لا يوجد ضمان لتحقيق أرباح أو تأمين صفقة كتاب أخرى تقترب قيمتها من قيمة الصفقة الأولى. لكنني دللت نفسي هذا الشهر. اشتريت حاسوبًا جديدًا. أخيرًا حصلت على جهاز ماك بوك برو لا يصدر صريرًا ويتوقف عن العمل كلما حاولت فتح ملف وورد يتجاوز مائتي صفحة. انتقلت إلى شقة أفضل. لم فاخرة تمامًا مثل تلك التي استأجرتها أثينا في دوبونت، لكنها جميلة على نحو يجعل أي زائر أنني ورثت ثروة. ذهبت إلى أيكيا، وطلبت كل ما أريده دون النظر إلى الأسعار، ودفعت رسومًا إضافية لتوصيل كل شيء وتجميعه بواسطة طالبين جامعيين وسيمين استأجرتهما عبر تاسك رابيت. تركتهما يجاملانني ودفعت لهما بسخاء.

حصلت على ثلاجة مشروبات، وهكذا صرت من الطبقة المرفهة.

كتبت شيكًا لسداد كامل ديوني الدراسية المتبقية، أغلقت الظرف وأرسلته إلى وزارة التعليم. لن أتلقى رسائل إلكترونية من نيلنت بعد الآن طوال حياتي، كما حصلت على تأمين صحي. ذهبت إلى طبيب الأسنان، وعندما تبين أنه يجب علي دفع عدة آلاف من الدولارات لملء جميع التجاويف غير المكتشفة، دفعت الفاتورة

دون أن يطرف لي جفن. ذهبت إلى ممارس عام ، رغم أنني لم أعان أي مشكلة صحية، ولكن لإجراء فحص دوري فحسب، إذ صار هذا بإمكاني.

بدأت في شراء قهوة غالية وجيدة جدًا، رغم أنني لم أستطع تذوقها دون أن أفكر في أثينا وتلك المشروبات القديمة الغبية. بدأت في التسوق من هول فودز، أصبحت مدمنة على خبز الذرة الحار الخاص بهم. بدأت في شراء ملابسي من منافذ البيع ذات العلامات التجارية بدلًا من متاجر الملابس المستعملة. تخلصت من مجوهراتي الرخيصة من إتسي وتوقفت عن ارتداء أي شيء لا يحتوي على أحجار كريمة مستَخرجة بشكل مشروع ومستدام..

عندما حان موسم الضرائب، طلبت من شقيقتي روري، وهي محاسبة، أن تتولى الأمر. أرسلت لها بياناتي لهذا العام؛ وفي غضون دقائق، ردت: **يا إلهي، هل أنت جادة؟**

رددت عليها عبر البريد الإلكتروني: **بالطبع، قلت لكِ إن الكتابة ستنجح.**

أصبحت حقًا أدفع مقدمًا. لا أكذب عندما أقول إنني أرغب في تقديم مساهمة إيجابية في المجتمع الآسيوي. كتبت شيكًا بمبلغ ألفي دولار لصالح جمعية الكُتاب الأمريكيين الآسيويين، تمامًا كما وعدت، وسأستمر في تقديم تلك المساهمات السنوية طالما كانت إيراداتي من حقوق الملكية بهذا الشكل الجيد. قبلت بكل تواضع طلبًا لأن أكون مرشدة لبرنامج "الأمهات الروحيات للكتّاب المبتدئين،" وهو برنامج يربط كاتبًا ليس لديه محرر مع كاتب له أعمال منشورة ليرشده خلال تقلبات الصناعة.

شعرت بسعادة بنشر سخائي. لم تبذل أثينا جهدًا في تمهيد الطريق إلى زملائها الكُتاب من ذوات البشرة الملونة، إنما كانت تجدهم مزعجين. كانت تشكو بازدراء: "صندوق الوارد في بريدي الإلكتروني مملوء دائمًا بكُتاب مبتدئين يعتقدون أنني سأقضي ساعات في كتابة رسائل نصائح لهم فقط لأن لدينا الخلفية العرقية الغامضة نفسها. (مرحبًا آنسة ليو، أنا في الصف الثاني عشر في المدرسة الثانوية، وكامرأة آسيوية أمريكية أقدرك كثيرًا) اخرسوا، فلستم مميزين، بل عاديون."

كانت أثينا تُبدي أكثر من مجرد الانزعاج من تجمع الكتاب الأمريكيين الآسيويين حولها بإعجاب، بل كأنها تكرههم بالفعل. كانت تغتاظ حين تُذكر رواياتهم الأولى التي تُقارن بروايتها في الصحافة. كانت تشكو من افتقارها للأصالة ومحاولة مؤلفيها جاهدين أن يثبتوا وجودهم. كانت تشتكي: "اكتبوا شيئًا آخر! لا يريد أحد قراءة قصة مهاجرين مملوءة بالعاطفة. وا أسفاه! هل ظنوا أن رائحة غدائك كريهة؟ هل سخروا من عيونك؟ يا إلهي! لقد قرأت هذا من قبل. لا يوجد أي ابتكار".

ربما كان ذلك متلازمة هايلاندر. لقد قرأت عن ذلك من قبل، فهي الطريقة التي يشعر بها أفراد المجموعات المهمَّشة بالتهديد إذا بدأ شخص آخر مشابه لهم يحقق النجاح. لقد جربت ذلك أيضًا، ففي كل مرة أرى إعلانًا عن نشر كتاب لفتاة صغيرة تحقق نجاحًا كبيرًا في أول أعمالها، أشعر برغبة في أن أنتزع عيني. ربما كانت تخشى أن يحل مكانها شخص آخر أو يتفوق عليها.

لكنني سأكون أفضل من أثينا، فأنا امرأة تساعد الأخريات.

وقع اختياري على فتاة تُدعى إيمي تشوكي أوجها، إذ أرسلت لي رسالة بريد إلكتروني مملوءة بالإعجاب بشأن مدى تقديرها لكتبي. كانت إيمي تعيش في سان فرانسيسكو؛ لذا أجرينا جلستنا الإرشادية الأولى عبر زووم. كانت تتسم بالجمال والبراءة، بل نسخة مخففة من أثينا، وشعرت غريزيًّا برغبة في احتوائها تحت معطفي وحمايتها.

أخبرتني عن عملها الحالي، وهو رواية عن فتاة كورية أمريكية تنشأ في الغرب الأوسط في التسعينيات، استنادًا إلى تجربتها الخاصة إلى حد كبير. قالت: "إنه مشابه قليلًا لذلك الفيلم الذي يحمل عنوان *نصفها*، إذا كنت قد شاهدته؟". كانت لديها عادة لطيفة في تحريك شعرها خلف أذنيها في كل مرة تنهي فيها جملة. وأضافت: "أنا قلقة، كما تعلمين، من عدم اهتمام الصناعة مهتمة بهذا النوع من القصص. فمثلًا، طوال سنوات مراهقتي حتى كبرت، لم أرَ أي روايات من هذا النوع على الرفوف، وهي رواية هادئة وعميقة، لا رواية إثارة حماسية، لذا لست متأكدة..."

طمأنتها قائلة: "لا أعتقد أن هناك ما يدعوك للقلق، إن كان هناك شيء، على أية حال، صار الوجود الآسيوي في صناعة النشر أيسر من أي وقت مضى."

عقدت حاجبيها: "هل تعنين ذلك حقًا؟".

"بالطبع"، قلت. "التنوع هو ما يبيع الآن. يتوق المحررون للأصوات المهمشة. ستحصلين على العديد من الفرص لأنك مختلفة يا إيمي. هذا هو كل شيء في القائمة. سيعشقون هذا المخطوط".

ضحكت إيمي بتوتر: "حسنًا، إذًا".

"اكتبي أفضل ما يتفتق عنه ذهنكِ وأرسليه. أؤكد لكِ أنك ستحققين نجا حًا . "

تحدثنا قليلًا عن كيفية سير عملية تقديم طلباتها (الكثير من الطلبات الجزئية، ولكن لا عروض جادة حتى الآن) وعن مشاعرها تجاه المخطوط (كانت واثقة من صوتها السردي، لكنها لا تعرف إذا كانت قد حاولت تضمين الكثير من الخطوط الزمنية المتداخلة).

مع اقتراب الساعة من الانتهاء، تنحنحت إيمي وقالت: "ممم، إذا لم تمانعي سؤالي، هل أنتِ بيضاء البشرة؟".

لا بد أن دهشتي كانت واضحة على وجهي؛ لأنها اعتذرت على الفور. "آسفة، لا أعرف إذا كان هذا مناسبًا، لكنني فقط، إمممم، مثلًا يا سونج، هذا يبدو غامضًا نوعًا ما، فأردت فقط أن أعرف."

قلت: "بيضاء"، وقد بدوت أكثر برودة مما كنت أنوي. ما الذي تلمح إليه؟ هل تعتقد أنني لا أستطيع أن أكون مرشدة جيدة لها إلا إذا كنت آسيوية؟ قلت: "سونج هو جزء من اسمي المركب. أمي هي من أسمتني به".

قالت إيمي، وهي تعيد شعرها خلف أذنيها مرة أخرى: "ممم، حسنًا. كنت أسأل فقط."

الفصل الثامن

بالطبع، أصبح لديَّ منتقدون، فكلما ازددت شعبية، تنامت حولك مشاعر الغيرة والكراهية الموجهة لك، ولهذا أصبح النفور من شِعر روبي كاور سمة من سمات جيل الألفية. حصلت أغلب مراجعاتي على موقع جود ريدز على خمس نجوم، ولكن المراجعات ذات النجمة الواحدة كانت *شديدة القسوة*. كما قرأت في إحداها: حثالة مستعمر غير ملهمة. وقرأت في مراجعة أخرى: نسخة أخرى من صيغة قصة استغلال المرأة ذات البشرة البيضاء، مجرد نسخ ولصق، مع تغيير الأسماء، وهكذا تصبح الرواية ضمن الكتب الأكثر مبيعًا. وكانت ثمة مراجعة ثالثة، التي بدت ذات طابع شخصي طاغ، ومن ثم افتقرت للموضوعية: يا لها من امرأة متعجرفة ومزعجة. تتفاخر كثيرًا بأنها خريجة ييل! وفي مراجعة أخرى، وجدت: لقد اشتريت هذه الرواية أثناء تخفيضات كيندل، وأؤكد لكم أنني استعدت كل سنت من المائتين والتسعة والتسعين سنتًا التي أنفقتها عليها.

في المرة الأولى التي أشير إلى مراجعة سيئة لي على تويتر (كل الضجة حول الرواية التي قادتني إليها كانت محض هراء. لن أقرأ شيئًا آخر لهذه الكاتبة)، أرسلت رسالة نصية إلى مارني كيمبال وجين ووكر صديقتيَّ الجديدتين من حفلة ما بعد "بوك كون". قدمتا لي أرقامهما وأصرتا على أن أتواصل معهما إذا واجهت صعوبة في التعامل داخل هذا المجال. ومنذ ذلك الحين، أصبحت محادثتنا

الجماعية، التي سُمّيت مزحًا "فتيات إيدن الرائعات" مصدر الدعم الرئيسي لي ومصدرًا للأخبار والشائعات في هذا المجال.

سألت: كيف أتجاوز تلك الإساءات الجارحة التي يقولها الناس عنك على الإنترنت. هذا الأمر محبط للغاية. وكأنهم يضمرون لي ضغينة شخصية، وكأنني آذيت كلبهم أو أي شيء من هذا القبيل.

القاعدة الأولى: **لا تقرئي المراجعات.** لو كان لديهم شيء مفيد ليقولوه، لألفوا كتبهم الخاصة. هم ليسوا سوى أشخاص تافهين وحاقدين. تفعل مارني تلك الأشياء الغريبة التي تقوم بها النساء الأكبر سنًا، إذ تضع مسافات إضافية وتستخدم الحروف الغليظة، رغم أنني لم أستطع أن أعرف ما إذا كانت مقصودة أم مجرد أخطاء مطبعية.

كتبت جين: دعيهم يصرخوا في غرفهم الخاصة. يعد التعبير الغضب نشاطًا يوطد العلاقات بينهم، ويرفع هرمون السعادة في أجسادهم وتوجد أبحاث حول هذا. لا تدعي الأمر يؤثر عليك. فما هم إلا قطيع من الأغنام.

كانت هذه نصيحة جيدة، لو أنني امتلكت القوة النفسية التي تمكِّنني من عدم الاهتمام بما يعتقده الناس عني. استمررت في قراءة الشتائم على جود ريدز، وسلاسل التغريدات اللاذعة، والمنشورات المتعالية على موقع ريديت، كما واصلت النقر على المقالات السلبية كلما ظهرت في تنبيهات جوجل، حتى عندما ينطق العنوان فقط بالحدة والتعالي.

لم أستطع منع نفسي. كنت بحاجة إلى معرفة ما يقوله العالم عني. كان يجب أن أرسم ملامح ذاتي كما يراها الآخرون على الإنترنت؛ لأنه على الأقل إذا علمت مدى الضرر، فسأعرف مدى القلق الذي يجب أن أشعر به.

تمثلت أكثر المقالات التي تهاجمني انتشارًا في مراجعة مقال في *مراجعة كتب لوس أنجلوس* كتبتها الناقدة أديل سباركس - ساتو، التي كنت أستمتع فعلًا بقراءتها؛ لأنها جيدة في الإشارة إلى أن الروايات التي يروج لها الآخرون على أنها "صوت جيل" هي في الواقع هراء أناني ونرجسي. لقد نشرت بعضًا من أقسى الانتقادات لأعمال أثينا في الماضي (عن أول رواية لأثينا: "هنا، تقع ليو في فخ المبتدئ الذي يخطئ في الخلط بين عبارات شعرية ذات طابع ذاتي، وبين ملاحظة

عميقة. للأسف، كتبت ليو من منظور مستشرق رغم كونها آسيوية. تقييمي؟ يجب على أثينا ليو أن تتجاوز هوسها بالعرق الأصفر"). هذه المرة، استهدفتني:

"*في الجبهة الأخيرة*، تفوت جونيبير سونج فرصة ممتازة لاستخراج تاريخ منسي، مستغلة معاناة الآلاف من العمال الصينيين في خلق دراما عاطفية رخيصة وتصوير خلاص ذوي البشرة البيضاء. كان بإمكانها، على سبيل المثال، أن تتقصى دور البعثات التثقيفية في إقناع الشباب الصينيين الأميين بالعمل والموت في الخارج، والذين تم تجنيدهم في فرنسا بشكل رئيسي لإبقاء الصينيين خاضعين، ومهذبين، ومتعاونين لكنها امتدحت بشكل غير مبرر دور البعثات التثقيفية في تحويل العمال فكريًا. *الجبهة الأخيرة* لا تحكي عن أي موضوع جديد، بل تنضم إلى روايات مثل *المساعدة* والأرض الطيبة في سلسلة طويلة من الروايات التي أسميها روايات الاستغلال التاريخي: قصص غير أصيلة تستخدم الماضي المضطرب كأداة ترفيهية لإمتاع ذوات البشرة البيضاء".

ماذا يعني هذا؟ مَن تكون أديل لتلومني على الأصالة؟ أليس اسم "ساتو" يابانيًا؟ أليس هناك خطاب كامل حول اختلاف تجربة المرء حين يكون صينيًا أو يابانيًا؟

كتبت في محادثة فتيات إيدن: "هل يمكن لأديل المراجِعة هذه أن تأخذ حبة مهدئة؟".

مارين: تبدأ بثلاثة أحرف س، أ، ف...أليس كذلك؟

جين: يبني النقاد جماهيريتهم من خلال هدم الآخرين. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنهم من خلالها خلع الشرعية على أنفسهم. إنها ثقافة سامة. لا تدعيها تؤثر فيك. نحن أفضل من ذلك.

نشرت طالبة في جامعة يو سي إل إيه تُدعى كيمبرلي دينج فيديو على يوتيوب بعنوان "**جميع الأخطاء الثقافية في *الجبهة الأخيرة*!!!**". وقد حصل على مائة ألف مشاهدة خلال أسبوع. شاهدته لبعض الوقت بدافع الفضول، ولكنني شعرت بالملل أكثر من شعوري بالإهانة. كان الفيديو مملوءًا بأشياء تافهة، مثل: "ما كان الجنود الصينيون ليأكلوا أطعمة، مثل فطيرة اللحم كوجبة في العطلة" (كيف

عرفت ما كانوا يأكلون، ومتى؟) أو تفاصيل عن الأسماء ("آه كاي؟ هل أخذت هذا الهراء من دراما الجريمة التي صنعتها هونج كونج؟") التي كتبتها أثينا نفسها. كانت التعليقات كلها عبارة عن ترهات مثل: "أحسنت يا ملكة!". و"يا إلهي! انطلقي يا كيمي". و"شيء مضحك.. تلك الفتاة البيضاء ترتعد".

سألتني كيمبرلي بعدها بكل جرأة عبر رسالة على إنستجرام إذا كنت أرغب في أن أكون ضيفة على قناتها، وشعرت ببعض المتعة الانتقامية عندما أخبرتها بأن تتواصل معي عبر وكيلتي العامة، إميلي، ثم أمرت إميلي بتجاهلها.

كتب ناشط آخر على الإنترنت، يُدعى شياو تشين مقالاً على موقع سابستاك يزعم فيه بأن *الجبهة الأخيرة* لم يكن ينبغي أن تُنشر. كنت على دراية كبيرة بأمثال شياو تشين - فقد كانت أثينا تشتكي منه بشكل قاس ومتكرر. أصبح شياو تشين مشهورًا في العام الماضي بفضل مقال في موقع ڤوكس بعنوان: "كفانا من أدب الشتات" الذي جادل فيه بشكل أساسي بأنه لا أحد في موجة الكُتاب الأمريكيين الصينيين الحالية ينتج شيئًا ذا قيمة؛ لأنهم جميعًا لم يعيشوا تجارب مثل مذبحة ساحة تيان إن من أو الثورة الثقافية، وأن الأطفال المدللين في منطقة خليج سان فرانسيسكو الذين لا يستطيعون حتى التحدث باللغة المندارية والذين يظنون أن الهوية الآسيوية تختزل في الانشغال المزعج بالشاي الفقاعي وفرقة بي تي أس، يخففون من قوة الأدب الشتاتي الثوري. لقد رأيته يشتبك في معارك شرسة مع كتاب آخرين على تويتر؛ كان يصرخ: **تعلموا الصينية أو اصمتوا أيتها الدمى الغربية مغسولة الدماغ.** بدا أسلوبه في العمل وكأنه يقوم بإحالة كل شيء خاطئ في النص إلى مشكلة نفسية تم تشخيصها عن بُعد لدى الكاتب. وفي حالتي، اعتقد شياو تشين أنني ألفت رواية *الجبهة الأخيرة*؛ لأنني واحدة من العديد من النساء ذوات البشرة البيضاء، مثل اللواتي يكتبن قصص المعجبين الغريبة عن مسلسل *المتمردون*، واللواتي لا يكتفين بالإصابة بهوس بالرجال الآسيويين ذوي المظهر الأنثوي، بل يعتقدن أيضًا أن التاريخ الصيني مجرد شيء يمكن انتقاء أجزاء مثيرة وجذابة منه، مثل مزهريات مينج الجميلة التي يمكن وضعها في زاوية الغرفة".

جعلني سخطه أضحك. كان بعض المقالات النقدية باردًا ومتغطرسًا على نحو يكفي لجرح المشاعر، لكن هذا المقال كان عاطفيًا وغاضبًا *للغاية*، ما جعله يكشف عن شعور شياو تشين بعدم الأمان والغضب اللذين لا ينتهيان والذي لا يُفسَّران.

تخيلته منحنيًا على حاسوب محمول في قبو منزله يزمجر ويبصق في وجه جمهور لا وجود له. تساءلت عما قد يفعله شياو تشين إذا رآني شخصيًا. هل سيضربني في وجهي أم سيقول بعض الكلمات التافهة ثم ينسحب؟ فأمثاله أكثر شجاعة على الإنترنت مما هم في الواقع.

جين: مثل هؤلاء لا يستطيعون تحمل رؤية النساء ينجحن.

مارني: كراهية النساء في أبشع صورها. أيضًا، ما مسلسل *المتمردون* الذي تحدث عنه؟

أصبح النقاد مهووسين بمشهد واحد يقع بعد مائتي صفحة من الرواية. كانت كل مراجعة سلبية تذكره على الأقل في الفقرة الثالثة من النقد. آنّي ووترز - شخصية قمت بتطويرها من مسودة أثينا، الابنة ذات السبعة عشر عامًا لاثنين من أعضاء البعثات التثقيفية - تزور معسكر العمال بمفردها لتوزيع الكتب الدينية والبسكويت بمناسبة العام الجديد. ظل الرجال، الذين لم يروا زوجاتهم أو أي نساء من نوعهن منذ أشهر، يحدقون إليها، وهو ما كان منطقيًا، فهي شقراء، ورشيقة، وجميلة؛ لم يستطيعوا أن ينصرفوا بأعينهم عنها. سأل أحدهم إذا كان بإمكانه تقبيلها على الخد، وبما أنها كانت أوقاتًا احتفالية، فقد سمحت له خجلًا.

كنت أعتقد أن المشهد مؤثر، فلدينا هنا أشخاص منقسمون بسبب اللغة والعرق. غير أنهم قادرون على مشاركة لحظة حانية في وسط الحرب، كما أن هذا المشهد قد حل مشكلة سابقة وجدتها دانييلا في الرواية، وهي أن الرواية كانت تركز تقريبًا بالكامل على الرجال. فكتبت: *انتهى عصر قصة الحرب الرجولية. يجب علينا أن نبدأ في إعلاء وجهات النظر النسائية.*

لم تتضمن مسودة أثينا الأصلية تلك القبلة. ففي نسختها، كانت آنّي فتاة منعزلة ومتوترة تعتقد أن العمال قذرون وبلطجية مخيفون، وقد قالت للرجال: "كل عام وأنتم بخير" بشكل بارد، ووضعت البسكويت على حافة السياج الشائك، ثم ابتعدت بسرعة كما لو كان الرجال كلابًا يمكن أن يتحرروا من قيودهم ويمزقوها حتى الموت إذا أتيحت لهم الفرصة.

من الواضح أن أثينا كانت تحاول أن تبرز ما عاناه العمال من العنصرية على أيدي الأشخاص الذين كانوا يقاتلون إلى جانبهم. لكنها أسهبت في تلك التفاصيل طوال الرواية. صار الأمر مكررًا ومبالغًا فيه. لماذا لا نُضمن مشهدًا يظهر إمكانية الحب بين الأعراق؟ أليس من الأفضل أن نلتف جميعًا حول إدانة قوانين منع الزواج بين الأعراق؟

كان هذا، على ما يبدو، الخيار الفني الأكثر عنصرية الذي يمكن أن أقدمه.

نبذة من نقد أديلي سباركس - ساتو: "اختارت سونج، بدلًا من استكشاف التحديات الحقيقية التي تواجه العلاقات العاطفية بين النساء الفرنسيات والعمال الصينيين، أن تصور العمال الصينيين ككائنات بلا عقل لا يمكنها التحكم في شهواتها تجاه المرأة ذات البشرة البيضاء".

وأخرى من نقد شياو تشين: "هل تعتقد جميع النساء ذوات البشرة البيضاء أننا مهووسون بهن؟ يا للغطرسة! صدقيني يا جونيبير، لستِ بتلك الجاذبية".

قالت كيمبرلي دينج في فيديو لها: "في الفيديو التالي، سأقوم بتعليمكم طريقة وضع مستحضرات التجميل للوصول لشكل شخصية آنّي ووترز، باستخدام قناع وجه بالكركم ودموع ذوات البشرة البيضاء".

أدى هذا الحديث إلى إنشاء "ميم آنّي ووترز"، الذي تضمن صورًا لنساء ذوات بشرة بيضاء متوسطات المظهر مع تعليق مأخوذ من الكتاب: "كانت شابة رشيقة، ذات شعر بلون شروق الشمس، وعينين بلون المحيط، ولم يتمكن الرجال من إبعاد أعينهم عنها وهي تتهادى بينهم". استخدمت تلك المنشورات الساخرة أكثر صوري بشاعة والتي تمكن أعدائي من إيجادها على الإنترنت.

أردت أن أشير إلى مدى قسوة هذا التصرف وعنصريته، لكن مجموعة "فتيات إيدن" طمأنتني أن الصمت هو أفضل دفاع لي. قالت جين: **عندما تسمحين للمتنمرين بمعرفة أنهم قد آذوك، فإنهم يفوزون. لا يجوز أن تسمحي لهم بأن يعتقدوا أنهم نالوا منك.**

نظرًا لأنني لم أستطع إصدار أي ردود فعل مباشرة، رحت أتدرب على مناقشات وهمية أثناء الاستحمام!

مثلًا أخبرت زجاجة الشامبو: "في الواقع، لا يعني التمييز ضد الصينيين أنهم لا يمكن أن يكونوا عنصريين أيضًا، وقد تم توثيق ذلك جيدًا أن العمال

الصينيين لم يكونوا على وفاق مع بعض شعوب الشرق. وأفاد أحد مصادري أن الصينيين كانوا يسمونهم (الشياطين السود)، فالصراعات بين الأعراق أمر موجود، كما تعلمين".

ردًا على الاتهامات بأنني مجَّدت البعثات الثقافية، التي وصفوها بالموجَّهة، كنت سأقول: "لا يمكننا أن نجزم بأنه لا يوجد جندي صيني واحد قد وجد راحة في التحول الفكري.. صحيح أن البعثات الثقافية كانت متحيزة ومتسلطة في كثير من الأحوال، بيد أننا نعلم من خلال التقارير والمذكرات أن هناك من تحولوا فكريًا، ويبدو من العنصرية أن نؤكد أن التحول الفكري كان مستحيلًا لمجرد أنهم كانوا صينيين".

وردًا على خديعة كيمبرلي دينج، كنت سأقول: "من المنطقي تمامًا أن تكون هناك مشاهد تقع في كندا، إذ شُحن العمال أولًا إلى كندا، ومن ثم، إلى فرنسا. كان بإمكانك أن تعرفي ذلك من ويكيبديا".

استمتعت بتخيل وجوه نقَّادي المنهارة وهم يدركون أن مجرد كونهم من أصول آسيوية لا يجعلهم خبراء في التاريخ، وأن القرابة لا تترجم إلى بصيرة معرفية فريدة، وأن تعاليهم الثقافي واختبارهم للأصالة ليسا سوى شكل من أشكال الحراسة، وأنهم في نهاية المطاف ليس لديهم أي فكرة عما يتحدثون عنه.

لقد أصبحت بارعة للغاية في إجراء هذه النقاشات في رأسي، ما جعلني أُعد نفسي جيدًا لمواجهة أحد منتقديَّ. في تلك الليلة، حضرت سلسلة محاضرات حول الروايات التاريخية التي استضافها متجر كتب مستقل في كامبريدج. كان الجمهور مهذبًا، وإن كان يحمل بعض التحدي في أسئلته. كان معظمهم طلابًا من جامعة هارفارد ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وأتذكر جيدًا من أيامي في جامعة ييل أن طلاب الجامعات المرموقة دائمًا يعتقدون أنهم يعرفون أكثر مما يعرفون بالفعل، ويعتبرون أن أعظم إنجاز لهم هو إسقاط شخصية فكرية عامة. وقد أجبت عن أسئلة تتعلق بتغيير اسمي ("كما قلت من قبل، اخترت الكتابة باسمي الأوسط للدلالة على بداية جديدة")، وعلى عملية بحثي (لديَّ قائمة مرجعية معيارية أرددها الآن)، وعلى تفاعلي مع المجتمع الأمريكي الصيني (هنا ذكرت منحة أثينا ليو التي أمولها في ورشة العمل الصيفية لجمعية الكُتّاب الأمريكيين الآسيويين).

ثم تقدمت فتاة في الصف الأمامي إلى الميكروفون. كنت أعرف قبل أن تفتح فمها أن هذا لن ينتهي على خير. كانت ترتدي ملابس تجسد الناشطين في العدالة الاجتماعية في الصور الساخرة اليمينية. كان شعرها مصبوغًا باللون البنفسجي ومحلوقًا على نحو جعل الجوانب أقصر من الجزء العلوي. ترتدي قبعة فضفاضة، وقفازات أنيقة، وعشرات الشارات والدبابيس على سترتها تعبر عن ولائها لعدة حركات تحررية (انظري، كلنا ليبراليون هنا. لكن حقًا؟). كانت تمتلك نظرة لاهثة ومتحمسة في عينيها، وكأنها ظلت تنتظر طوال حياتها هذه اللحظة لتدمرني.

قالت: "مرحبًا،" واهتز صوتها للحظة. لم تكن معتادة على افتعال المشاكل أمام جمهور حي. "أنا أمريكية من أصل صيني، وعندما قرأت *الجبهة الأخيرة*، شعرت... أعني، وجدت الكثير من التاريخ المؤلم العميق. وأردت أن أسألكِ، لماذا تعتقدين أنه من المقبول لكِ ككاتبة من ذوات البشرة البيضاء - أعني، باعتبارك غير صينية - أن تكتبي وتتربحي من هذا النوع من القصص؟ لماذا تعتقدين أنكِ الشخص المناسب لروايتها؟".

ثم خفضت الميكروفون وقد بدا عليها الخجل. لقد تأثرت بما ما قالته. لا شك أنها تعتقد أن هذه فرصة عظيمة للانتقاد، وأن هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها هذا الاعتراض. لا شك أن الجميع كانوا مشدوهين، ينقلون أنظارهم بيني وبينها كما لو كانوا يتوقعون أن نشتبك.

لكنني كنت قد أعددت لهذا الجواب، بل رحت منذ بدأت كتابة الرواية.

"أظنه أمرًا شديد الخطورة أن نبدأ في فرض رقابة على ما يجب على الكُتّاب كتابته وما لا يجب عليهم كتابته". كانت البداية قوية، ما أثار بعض همسات التأييد من الجمهور. لكنني ظللت أرى بعض الوجوه المتشككة، خاصة من بين الآسيويين الحاضرين؛ لذا تابعت: "أكره أن أعيش في عالم نفرض فيه على الناس ما يجب وما لا يجب عليهم كتابته بناءً على لون بشرتهم. أعني، حاولي أن تعكسي ما تقولينه وتري كيف سيبدو. ألا يستطيع كاتب من ذوات البشرة الملونة تأليف رواية عن شخصية من ذوات البشرة البيضاء؟ ماذا عن كل مَن كتبوا عن الحرب العالمية الثانية دون أن يعيشوها؟ تستطيعين بالتأكيد نقد العمل بناءً على جودته الأدبية، وتمثيله للتاريخ. لكنني لا أرى سببًا يمنعني من تناول هذا الموضوع إذا كنت مستعدة للقيام بالعمل. وكما ترين من النص، فقد أتقنت العمل. يمكنك البحث في مراجع

كتبي والتأكد من الحقائق بنفسك. في الوقت عينه، أعتقد أن الكتابة في جوهرها تمرين على التعاطف. تجعلنا القراءة نعيش في حيوات أشخاص آخرين. يبني الأدب جسورًا، ويجعل عالمنا أكبر لا أصغر. أما بالنسبة لمسألة التربح فهل يجب على كل كاتب يكتب عن معاناة ما أن يشعر بالذنب حيال ذلك؟ هل يجب على المبدعين ألا يتقاضوا أجرًا عن عملهم؟".

التربح من معاناة الآخرين. يا إلهي! يا لقسوة هذا التعبير! كانت أثينا تواجه صعوبات في هذا علنًا وبهدف لفت الانتباه.

قالت ذات مرة في *مجلة بابليشرز ويكلي*: "أنا مشوشة أخلاقيًّا من استطاعتي سرد هذه القصة فحسب، ليس بسبب سوى أن والديَّ وجديَّ عاشوها. وأحيانًا يبدو الأمر وكأنني أستغل ألمهم من أجل مصلحتي. أحاول أن أكتب بطريقة ترفع شأنهما. لكنني أدرك أنني أستطيع فقط القيام بذلك لأنني الجيل المدلل والمحظوظ. أمتلك رفاهية النظر إلى الوراء، وأن أكون راوية للقصص".

لطالما رأيت هذا التصريح تهربًا. لم أكن بحاجة لتجميله. فجميعنا يسرق، وبعضنا -وأعني أثينا هنا- أكثر مهارة في استخلاص أشهى تفاصيل الحكاية، والنفاذ عبر صلابة الأحداث، وكشف الجوهر المؤثر، وعرض الحقائق الصادمة.

بالطبع كنت أشعر ببعض الانزعاج عندما أخبر الجمهور المسحور بأن الضباط البريطانيين قد تلقوا أوامر بقمع الاضطرابات عن طريق إطلاق النار على العمال المسئولين. بدا الأمر مثيرًا وخاطئًا في الوقت نفسه، بالضبط كما بدا أمر حصد الإعجابات على منشوراتي حول وفاة أثينا. لكن هذا هو مصير الراوي. نصبح نقاطًا محورية للبشاعة. نحن من يقول: "انظروا!" في حين يختلس الجميع النظر غير قادرين على مواجهة الظلام بكل قوته. نحن نصوغ ما لا يستطيع أي شخص آخر حتى أن يفهمه. نحن نرسم ما لا يمكن تصوره.

أنهيت حديثي بقول: "أعتقد أن هذا الانزعاج من كتابتي عن المأساة يعكس انزعاجنا الأكبر من الاعتراف بأنها حدثت على الإطلاق. ويعد هذا، للأسف، مصير أي شخص يكتب رواية حرب. لكنني لن أسمح لذلك بأن يمنعني من سرد التاريخ غير المروي. يجب على أحدنا أن يفعل ذلك".

صدح تصفيق متقطع. لم يتفق الجميع معي، ولكن لا بأس - على الأقل لم أتلق أي صيحات اعتراضية. فمع مثل هذه الأسئلة، يعتبر ذلك في حد ذاته انتصارًا.

بدت الفتاة الناشطة في مجال العدالة الاجتماعية وكأنها ترغب في قول المزيد، لكن موظفي المكتبة كانوا قد نقلوا الميكروفون بالفعل إلى العضو التالي في الجمهور الذي أراد أن يعرف من أين وكيف أستمد إلهامي. ابتسمت، ولمست قبضتي ذقني، وبدأت في إعطاء إجابة أخرى مدروسة تمامًا ومجهزة مسبقًا.

مَن له الحق في الكتابة عن المعاناة؟

ذهبت ذات مرة إلى معرض عن حرب كوريا في المتحف الوطني للتاريخ الأمريكي التابع لمؤسسة سميثسونيان مع أثينا، في الوقت الذي كنت فيه لا أزال أخدع نفسي بأننا يمكن أن نكون صديقتين مقربتين. كنت قد انتقلت للتو إلى واشنطن بعد فترة عملي مع "تدريس من أجل أمريكا". وكنت أعلم أن أثينا قد انتقلت إلى هناك قبل بضعة أشهر من أجل زمالتها في جامعة جورج تاون؛ لذا تواصلت معها بشكل عابر لأرى ما كانت تفعله. أجابت أنها منشغلة بالعمل في الصباح، لكنها ستزور المتحف بعد الظهر، وأنها ستكون سعيدة لو ذهبت معها.

لم يكن التجول في معرض عن حرب كوريا اختياري المفضل لقضاء فترة بعد ظهر يوم الجمعة، ولكن أثينا كانت ترغب في قضاء الوقت معي، وفي ذلك الوقت كنت أشعر الحماس كلما تلقيت أي اهتمام من أثينا؛ لذا قابلتها عند الأبواب الأمامية في الساعة الثالثة.

"أنا سعيدة جدًا أنك في المدينة!". احتضنتني بطريقتها الخفيفة وغير الحميمة، ما جعلها تبدو كأنها عارضة أزياء قد اضطرت لمصافحة طابور من مائة معجب ولم تعد قادرة على إظهار أي دفء حقيقي في هذه الحركة. "هلا دخلنا ؟".

"أوه - نعم، هيا بنا". كان هذا كل شيء؛ بلا حديث جانبي، ولا *كيف حالك؟* بل مجرد عناق سريع قبل أن ندخل مباشرة إلى المعرض المؤقت في المتحف الذي يعرض تجارب أسرى الحرب الأمريكيين في كوريا الشمالية.

ظننت أن هذه كانت مزحة في البداية. *أوه، سخيف، بالتأكيد لم تعتقدي أنني سأرغب في التجول في متحف قديم خانق بدلًا من أن نلتقي، أليس كذلك؟* أو ربما، على أمل، أن نقضي بضع دقائق هنا بينما تشاهد ما تريد مشاهدته ثم ننتقل إلى مقهى بارد ومكيف، حيث يمكننا أن نتناول مشروبات الفواكه ونتحدث عن

الحياة والنشر. لكن سرعان ما اتضح أن أثينا حقًا أرادت أن تبقى هناك طوال فترة بعد الظهر. كانت تقف لمدة عشر دقائق أو أكثر أمام كل صورة بالحجم الطبيعي بالأبيض والأسود، وتهمس أثناء القراءة عن قصة حياة كل لوحة. ثم تلمس شفتيها بأصابعها وتتنهد، ثم تهز رأسها. حتى إنني مع إحدى اللوحات رأيتها تمسح دمعة من عينيها.

ظلت تهمس باستمرار: "تخيلي كل تلك الأرواح التي فُقدت. كل تلك المعاناة من أجل قضية لم يعرفوا حتى إن كانوا يؤمنون بها، فقط لأن حكومتهم كانت مقتنعة بأن نظرية الدومينو صحيحة. يا إلهي!".

وكان كل شيء يبدأ من جديد ونحن ننتقل إلى اللوحة التالية. هنا يمكننا قراءة آخر رسالة معروفة من الجندي المجند ريكي بارنز البالغ من العمر تسعة عشر عامًا والذي طلب من صديقه أن يعيد شارة كلبه إلى والدته عندما أصيب بالدفتيريا على ضفاف نهر يالو.

لم تتوقف أثينا عن الحديث. في البداية، ظننت أنها ربما كانت شديدة الحساسية، وأنها لم تستطع سماع معاناة الآخرين دون أن تختبرها بشكل حاد وكأنها معاناتها الخاصة. يا لها من فتاة حساسة! ولكن مع تقدمنا في المعرض، لاحظت أنها تكتب أشياء في دفتر موليسكين. كان كل هذا بحثًا لمشروع كتابة ما.

همست: "أمر مروع حقًا، لقد رحل عن أرملته وهي في السابعة عشرة فقط - كانت فتاة يافعة حاملًا بالفعل بابنته التي لن تعرف وجه والدها أبدًا". وهكذا استمرت. تقدمنا ببطء في المعرض بينما كانت أثينا تفحص كل لوحة وقصة معلنة بين الحين والآخر ما الذي جعل هذه القصة بالذات مأساوية جدًا.

أخيرًا، لم أعد أطيق صوتها؛ لذا تجولت بعيدًا للحصول على نظرة أقرب على عروض الأزياء العسكرية. لم أتمكن من العثور على أثينا عندما خرجت من المعرض، وللحظة ظننت أنها قد تركتني، ثم رأيتها جالسة على مقعد بجانب رجل مسن في كرسي متحرك، تدون شيئًا في دفتر ملاحظاتها بينما يتحدث إليها.

سألته: "هل تتذكر كيف كان ذلك الشعور؟ هل يمكنك وصفه لي؟ كل ما يمكنك تذكره؟".

دار برأسي: *يا إلهي! إنها مثل مصاصة دماء.*

كان لأثينا عينا صقر فيما يتعلق برؤية معاناة الآخرين. ظهرت هذه المهارة بين جميع أعمالها التي لقيت استحسانًا. كانت تستطيع النفاذ من سطح الحقائق والتفاصيل الباهتة إلى الجزء المؤثر من القصة. كانت تجمع السرديات الحقيقية كالأصداف البحرية، وتلمعها، ثم تقدمها للقراء المفتونين حادة ومتألقة.

وجدت زيارة المتحف مزعجة، لكنها لم تفاجئني.

كنت قد رأيت أثينا تسرق من قبل.

ربما لم تفكر حتى في ذلك على أنه سرقة. بالطريقة التي وصفتها بها، لم يكن هذا العمل استغلاليًا، بل كان شيئًا أسطوريًا وعميقًا. قالت لمجلة نيويوركر مرة: "أحاول أن أجعل الفوضى أمرًا منطقيًا. أعتقد أن الطريقة التي نتعلم بها التاريخ في الفصول الدراسية عقيمة جدًا، إذ تجعل تلك الصراعات تبدو بعيدة جدًا، كأنها لا يمكن أن تحدث لنا أبدًا، وكأننا لن نتخذ القرارات نفسها التي اتخذها الأشخاص في تلك الكتب المدرسية. أريد أن أبرز تلك التواريخ الدموية. أريد أن أجعل القارئ يواجه مدى قرب تلك التواريخ من الحاضر".

كان تعبيرًا أنيقًا، بل نبيل. عندما تصيغ الأمر بهذه الطريقة، لا يبدو استغلالًا، بل خدمة.

لكن حقًا، ما الذي منح أثينا حقًا أكبر في سرد تلك القصص من أي شخص آخر؟ لم تقضِ في الصين سوى بضعة أشهر في كل مرة سافرت فيها. لم تعش أبدًا في منطقة حرب، بل نشأت في مدارس خاصة في إنجلترا كان والداها يدفعان ثمنها من وظائفهما في مجال التكنولوجيا، واعتادت قضاء عطلات الصيف في نانتوكيت ومارثا فينيارد، وقضت حياتها البالغة بين نيو هافن، ونيويورك، وواشنطن العاصمة. لم تكن حتى تتحدث الصينية بطلاقة، بل واعترفت في مقابلات بأنها تتحدث الإنجليزية فحسب في المنزل في محاولة لتحقيق اندماج أفضل.

كانت أثينا تتحدث على موقع التواصل تويتر عن أهمية تمثيل الأمريكيين الآسيويين، وعن الخطأ الذي كان يشوب أسطورة الأقلية النموذجية؛ لأن الآسيويين مفرطون في تمثيلهم في كلا طرفي طيف الدخل، وكيف ظلت النساء الآسيويات مثارًا للشهوة وضحايا لجرائم الكراهية، وكيف عانى الآسيويون في صمت لأنهم لم يكونوا موجودين كفئة تصويتية بالنسبة للسياسيين الأمريكيين ذوي البشرة البيضاء. ثم كانت تعود إلى شقتها في دو بونت سيركل وتستقر لتكتب على آلة كاتبة

عتيقة ثمنها ألف دولار وهي تتناول زجاجة من أفخر أنواع المياه الفوارة التي أرسلها لها ناشرها كهدية لتحقيقها المبيعات المطلوبة.

لم تختبر أثينا المعاناة شخصيًا، بل أصبحت غنية جراء معاناة الآخرين. كتبت قصة قصيرة حازت عدة جائزة استنادًا إلى ما رأته في ذلك المعرض، بعنوان "همسات على ضفاف يالو". ولم تكن حتى كورية.

الفصل التاسع

أثارت فعالية في كامبريدج جدلًا طفيفًا على تويتر شمل جميع الأطراف المعتادة ونوقش العديد من المواضيع التي تناولت ما حدث بدرجات متفاوتة من الغضب، والكثير من الأشخاص الذين شاركوا بآرائهم الخاصة. وقد استغل معظمهم الفرصة للظهور بمظهر صاحب الأفكار العميقة التي ترتبط بشكل غير مباشر بما قيل في الحقيقة. اتفق شخصان مع السائلة التي عرفت أنها طالبة في سنتها الثانية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وتدعى ليلي وو، وأنها كتبت سلسلة من التغريدات الغاضبة حول اللقاء التي وصفتني فيها، من بين أمور أخرى، بأنني امرأة غافلة من ذوات البشرة البيضاء لا تربطني صلات حقيقية بالمجتمع وأنني حليفة زائفة أنانية ومصطنعة.

لكنَّ عددًا أكبر من الأشخاص وقف إلى جانبي، لا إلى جانبها. كانت الردود على منشوراتها مملوءة بتعليقات، مثل: "موقفك يبدو لي وكأنه أنت العنصرية وليس هي..." و"أوه، هل تحبين الرقابة؟ قد أقترح عليك العودة إلى وطنك الذي لا يعترف بالحريات!" كانت فوضى حقيقية. لم أعلق، إذ كنت قد تعلمت أن أفضل طريقة للتعامل مع المعارضة السلبية هي أن ألزم الصمت التام دون أن أتأثر، حتى يمر الأمر وتنكشف عواقبه. على أية حال، *لا تُجدي* النقاشات على تويتر نفعًا، ذلك أنها مجرد فرصة لأصحاب الأفكار المتطرفة للتلويح براياتهم، والإعلان عن مواقفهم،

ومحاولة إظهار بعض من ذكائهم قبل أن يشعر الجميع بالملل ويتجهوا إلى مواضيع جديدة.

بعد أسبوع، تلقيت البريد الإلكتروني التالي:

مساء الخير،

اسمي سوزان لي وأنا منسقة الفعاليات في فرع روكفيل لنادي الصينيين الأمريكيين الاجتماعي. قرأت روايتك *الجبهة الأخيرة* مؤخرًا، وأعجبت جدًّا بفهمك هذا الجانب المنسي من التاريخ الصيني. يتوق العديد من أعضاء نادينا لسماع قصتك. نود استضافتك في أحد اجتماعاتنا. عادةً ما نعقد جلسة أسئلة وأجوبة مع الضيف المدعو، يليها عشاء بوفيه (مجانًا لك بالطبع). يرجى إبلاغي إذا كنت مهتمة بذلك.

شكرًا..

سوزان

كدت أحذف البريد الإلكتروني، ففي هذه المرحلة، كنت أحذف معظم الدعوات للفعاليات التي لا تقدم أتعابًا ما لم تكن فعلًا ذات مكانة مرموقة. كانت نبرة سوزان رسمية وجامدة ما جعل الشك يعتريني، رغم أنني لم أستطع تحديد السبب تمامًا. (دائمًا ما أشعر ببعض القلق قبل قبول أي دعوات. فهل كان المنظمون ينصبون لي فخًا للاحتجاز أو القتل؟). يضاف إلى ذلك بُعد المسافة، إذ كانت روكفيل تقع في ولاية ماريلاند، ومن ثم، يتعذر وصول المرء إليها من قلب واشنطن ما لم يستقل أوبر ذهابًا وإيابًا مُنفقًا مائة دولار أو قضاء ساعة في خط المترو الأحمر، علاوة على كونها غير مدفوعة الأجر.

كان يجب أن أرفض وأوفر على نفسي الإحراج.

لكن كلمات ليلي وو ترددت في ذهني - "حليفة زائفة أنانية ومصطنعة" و"امرأة غافلة من ذوات البشرة البيضاء لا تربطها صلات حقيقية بالمجتمع". وبخلاف جمعية الكُتاب الأمريكيين الآسيويين، التي كنت أتبرع لها والتي لا يمكنها

إغفالي، كانت هذه أول منظمة آسيوية طلبت استضافتي منذ إخفاق كامبريدج. قد يكون هذا مفيدًا لي، وقد يثبت، لأصحاب نظريات المؤامرة على تويتر، أن دعمي للأمريكيين الآسيويين ليس مجرد تمثيل، وأنني كتبت *الجبهة الأخيرة* لأنني درست التاريخ، ولأنني أهتم بالمجتمع، بل وقد تُتاح لي فرصة عقد صداقات جديدة. تخيلت شكل منشور لي على إنستجرام وأنا آكل طعامًا صينيًا معدًا خصيصًا، محاطة بمعجبين صينيين.

بحثت عن نادي الصينيين الأمريكيين في روكفيل. كان موقعهم الإلكتروني صفحة صغيرة قديمة تحتوي على نص مكتوب بخط كوميك سانس على خلفية حمراء لامعة. تصفحت نزولًا متجاوزة العنوان الضخم لأجد عدة صور بإضاءة سيئة من فعاليات النادي - عشاء بوفيه مع قائد أعمال محلي، ومأدبة رأس السنة حيث يرتدي الجميع اللون الأحمر، وليلة كاريوكي مقامة في أضواء صارخة. ومن ثم، كان بإمكاني الاستنتاج أن أعضاء النادي من أصحاب الأعمار المتوسطة إلى كبار السن. بدوا غير مؤذين، بل لطفاء!

لِمَ لا؟ انتظرت بضع ساعات حتى لا أبدو يائسة متطلعة، ثم رددت على سوزان.

> مرحبًا سوزان، سيكون من دواعي سروري أنْ آتي للتحدث في النادي. شهر أبريل مناسب بالنسبة لي إلى حد كبير، فما أنسب التواريخ بالنسبة لكِ؟

استقبلتني سوزان في موقف السيارات بمحطة مترو شيدي جروف. لم أشعر بارتياح تام لثروتي الجديدة، إذ رحت أنفق المال ببذخ على سيارات الأجرة؛ لذلك أخذت خط المترو الأحمر حتى نهايته، وقد عرضت أن تقلني بالسيارة لإكمال الطريق إلى النادي. كانت سوزان امرأة قصيرة ونحيلة ترتدي سترة بدلة غاية في الأناقة. وهنا تبادرت إلى ذهني صورة أخت الزعيم الدعائي كيم جونج أون، ذلك أنني رأيت صورة إخبارية لها وهي ترتدي بدلة مماثلة ونظارات شمسية، لكن بالطبع لم أستطع المجاهرة بتلك المقارنة.

ومحاولة إظهار بعض من ذكائهم قبل أن يشعر الجميع بالملل ويتجهوا إلى مواضيع جديدة.

بعد أسبوع، تلقيت البريد الإلكتروني التالي:

مساء الخير،

اسمي سوزان لي وأنا منسقة الفعاليات في فرع روكفيل لنادي الصينيين الأمريكيين الاجتماعي. قرأت روايتك *الجبهة الأخيرة* مؤخرًا، وأعجبت جدًا بفهمك هذا الجانب المنسي من التاريخ الصيني. يتوق العديد من أعضاء نادينا لسماع قصتك. نود استضافتك في أحد اجتماعاتنا. عادةً ما نعقد جلسة أسئلة وأجوبة مع الضيف المدعو، يليها عشاء بوفيه (مجانًا لك بالطبع). يرجى إبلاغي إذا كنت مهتمة بذلك.

شكرًا..
سوزان

كدت أحذف البريد الإلكتروني، ففي هذه المرحلة، كنت أحذف معظم الدعوات للفعاليات التي لا تقدم أتعابًا ما لم تكن فعلًا ذات مكانة مرموقة. كانت نبرة سوزان رسمية وجامدة ما جعل الشك يعتريني، رغم أنني لم أستطع تحديد السبب تمامًا. (دائمًا ما أشعر ببعض القلق قبل قبول أي دعوات. فهل كان المنظمون ينصبون لي فخًا للاحتجاز أو القتل؟). يضاف إلى ذلك بُعد المسافة، إذ كانت روكفيل تقع في ولاية ماريلاند، ومن ثم، يتعذر وصول المرء إليها من قلب واشنطن ما لم يستقل أوبر ذهابًا وإيابًا مُنفقًا مائة دولار أو قضاء ساعة في خط المترو الأحمر، علاوة على كونها غير مدفوعة الأجر.

كان يجب أن أرفض وأوفر على نفسي الإحراج.

لكن كلمات ليلي وو ترددت في ذهني - "حليفة زائفة أنانية ومصطنعة" و"امرأة غافلة من ذوات البشرة البيضاء لا تربطها صلات حقيقية بالمجتمع". وبخلاف جمعية الكُتاب الأمريكيين الآسيويين، التي كنت أتبرع لها والتي لا يمكنها

إغفالي، كانت هذه أول منظمة آسيوية طلبت استضافتي منذ إخفاق كامبريدج. قد يكون هذا مفيدًا لي، وقد يثبت، لأصحاب نظريات المؤامرة على تويتر، أن دعمي للأمريكيين الآسيويين ليس مجرد تمثيل، وأنني كتبت *الجبهة الأخيرة* لأنني درست التاريخ، ولأنني أهتم بالمجتمع، بل وقد تُتاح لي فرصة عقد صداقات جديدة. تخيلت شكل منشور لي على إنستجرام وأنا آكل طعامًا صينيًا معدًّا خصيصًا، محاطة بمعجبين صينيين.

بحثت عن نادي الصينيين الأمريكيين في روكفيل. كان موقعهم الإلكتروني صفحة صغيرة قديمة تحتوي على نص مكتوب بخط كوميك سانس على خلفية حمراء لامعة. تصفحت نزولًا متجاوزة العنوان الضخم لأجد عدة صور بإضاءة سيئة من فعاليات النادي - عشاء بوفيه مع قائد أعمال محلي، ومأدبة رأس السنة حيث يرتدي الجميع اللون الأحمر، وليلة كاريوكي مقامة في أضواء صارخة. ومن ثم، كان بإمكاني الاستنتاج أن أعضاء النادي من أصحاب الأعمار المتوسطة إلى كبار السن. بدوا غير مؤذين، بل لطفاء!

لِمَ لا؟ انتظرت بضع ساعات حتى لا أبدو يائسة متطلعة، ثم رددت على سوزان.

> مرحبًا سوزان، سيكون من دواعي سروري أن آتي للتحدث في النادي. شهر أبريل مناسب بالنسبة لي إلى حد كبير، فما أنسب التواريخ بالنسبة لكِ؟

استقبلتني سوزان في موقف السيارات بمحطة مترو شيدي جروف. لم أشعر بارتياح تام لثروتي الجديدة، إذ رحت أنفق المال ببذخ على سيارات الأجرة؛ لذلك أخذت خط المترو الأحمر حتى نهايته، وقد عرضت أن تقلني بالسيارة لإكمال الطريق إلى النادي. كانت سوزان امرأة قصيرة ونحيلة ترتدي سترة بدلة غاية في الأناقة. وهنا تبادرت إلى ذهني صورة أخت الزعيم الدعائي كيم جونج أون، ذلك أنني رأيت صورة إخبارية لها وهي ترتدي بدلة مماثلة ونظارات شمسية، لكن بالطبع لم أستطع المجاهرة بتلك المقارنة.

استقبلتني سوزان بمصافحة قوية، وقالت: "مرحبًا، جونيبير. هل كانت رحلة القطار على ما يرام؟".

"نعم، كانت جيدة". تبعتها إلى سيارتها الزرقاء. اضطررت لإلقاء بعض الكتب والبطانيات في الخلف لتوفير مساحة لي، وكانت السيارة مملوءة برائحة عشبية نفاذة بشكل مزعج. "آسفة على الفوضى. تفضلي بالجلوس في المقعد الأمامي".

لفتت عدم رسميتها انتباهي وبدت غير مهنية. شعرت ببعض الانزعاج من تصرف سوزان التي بدت كأنها تأخذ ابنتها من المدرسة، لا تقوم بتوصيل ضيفة مشهورة. لكن لا، لا، هذا هو تحيزي الخاص الذي يظهر. ذكرت نفسي: *ليست مكتبة كبيرة، بل مجرد ناد اجتماعي صغير من دون ميزانية كبيرة، وهم يقدمون لي خدمة برغبتهم في التعاون معي.*

وفيما انطلقنا على الطريق السريع، سألتني سوزان: "هل تتحدثين الصينية؟".

"ماذا؟ آه، لا - لا، آسفة، لا أتحدث الصينية".

"ألم تعلمك والدتك أو والدك؟".

"آه - آسفة". انقبضت معدتي من الخوف. "لا بد أنكِ مخطئة، فليس والداي صينيين".

قالت سوزان بذهول: "ماذا؟" فكدت أضحك لو لم يكن هذا الموقف محرجًا جدًا. قالت: "لكن لقبك هو سونج، لذلك اعتقدنا ربما... هل أنتِ كورية إذًا؟ أعرف بعض الكوريين باسم سونج".

"لا، آسفة. سونج هو اسمي المركب، أما لقبي فهو هايوارد. لا أحد من والديَّ، ممم، آسيوي". أردت أن أموت. أردت أن أفتح باب السيارة، وألقي بنفسي على الطريق السريع، وأسحق تحت عجلات السيارات القادمة.

"أوه". صمتت سوزان للحظة. ألقيت نظرة جانبية عليها، لأجدها تلقي نظرة خفية عليَّ. قالت: "آه فهمت".

شعرت بضيق بسبب هذا اللبس، لكنني أيضًا شعرت بشيء من الدفاعية. لم أتظاهر أبدًا بأنني صينية. لاحظت أن الناس يتعاملون معي بطريقة غير واضحة حين يظنون أنني صينية، لكنهم لم يرغبوا في الافتراض أو طلب التوضيح مني. لم أخدع أحدًا عن قصد. لم أضع لافتة كبيرة مكتوبًا عليها "أنا فتاة ذات بشرة بيضاء!" على جبهتي، لكن أليس من المفترض أن يكون العبء على الآخرين ألا

يفترضوا أمرًا خطأ؟ أليس من العنصرية، من ناحية ما، أن يُفترض أنني من عرق معين بناءً على لقبي؟

لم أتحدث مع سوزان لبقية الرحلة. تساءلت عما كانت تفكر فيه. بدا وجهها متصلبًا، لكن لعله هكذا دائمًا؛ ربما هكذا تبدو جميع السيدات الآسيويات في منتصف العمر. عندما وصلنا إلى مقر الاجتماع سألتني إن كنت أحب الطعام الصيني.

قلت: "أحبه بالطبع".

أوقفت المحرك وقالت: "جيد، لأن هذا هو ما طلبناه".

بالداخل، رتبت كراسي معدنية قابلة للطي في صفوف أمام المنبر. لقد جذب وجودي عددًا من الحضور أكبر مما توقعت؛ وجدت أربعين، وربما خمسين شخصًا بالمكان. كنت أظنه مجرد ناد، وليس تجمعًا كاملًا. كان العديد منهم يحملون نسخًا موقعة من كتابي. لوح بعض الأشخاص بحماس عندما دخلت من الباب، وشعرت بطعنات الذنب تخرق أحشائي.

أشارت سوزان لي لتتبعها إلى المنبر: "من هنا". عدلت الميكروفون ليناسب طولها، ووقفت وراءها في إحراج، إذ بدأنا فجأة. كنت أتمنى لو قدم لي أحدهم كأسًا من الماء.

قالت سوزان: "مرحبًا بالجميع". أصدر الميكروفون صريرًا، فانتظرت حتى يتلاشى الصوت المرتجع قبل أن تتابع. "معنا الليلة ضيفة مميزة جدًا. ألفت كاتبتنا المحترمة رواية جميلة عن فيلق العمل الصيني التي قرأها العديد منكم، وقد أتت لتقدِّم لنا قراءة وتُحدثنا أيضًا عن تجربتها ككاتبة. من فضلكم، رحبوا معي بالسيدة جونيبير سونج".

صفقت بشكل مهذب، وتبعها الجمهور. ابتعدت سوزان عن المنبر وأشارت لي لأبدأ وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة متوترة ومرهقة.

تنحنحت وقلت: "مرحبًا". *هيا! الأمر غاية في البساطة*. لقد ألقيت عشرات المحاضرات في المكتبات حتى الآن؛ وكان باستطاعتي تجاوز اجتماع نادٍ بسيط، فأكملت: "أعتقد .. حسنًا، سأبدأ بقراءة".

لدهشتي، سارت الأمور على ما يرام. بدا الجمهور هادئًا ومهذبًا. كان الحضور يبتسمون ويومئون في اللحظات المناسبة. بدا بعضهم مرتبكًا عندما بدأت

في القراءة، إذ راحوا ينظرون بتركيز ويميلون رءوسهم إلى جانب، ولم أستطع أن أكتشف إذا كانوا يعانون صعوبة في السمع أم إذا كانوا لا يفهمون الإنجليزية جيدًا؛ لذا أبطأت وتحدثت بصوت عالٍ جدًا على سبيل الاحتياط فحسب. استغرقت وقتًا أطول بكثير لإنهاء المقطع، ما ترك عشرين دقيقة فحسب لجلسة الأسئلة والأجوبة، لكني شعرت بالارتياح لهذا، إذ كان شيء يساعد في تمرير الوقت.

على الرغم من أن الأسئلة أيضًا كانت سهلة جدًا. كان معظمها لطيفًا جدًا. كانت نوعية الأسئلة التي قد تتلقاها من أصدقاء والدتك. راحوا يسألون عن كيفية نجاحي في هذا العمر الصغير. كيف تمكنت من التوفيق بين دراستي ومسيرتي الكتابية؟ ما الأمور المثيرة الأخرى التي اكتشفتها عن العمال الصينيين أثناء بحثي؟

سألني رجل مسن يرتدي نظارات سؤالًا صريحًا للغاية عن حجم المبلغ الذي تقاضيته مقدمًا مقابل الكتاب وحقوق الملكية الخاصة بي (قال: "لقد قمت ببعض الحسابات ولديَّ بعض الأفكار حول نموذج عمل صناعة النشر، وأود أن أشاركها")، وهو ما تجنبته بإخباري له بأنني أفضل الاحتفاظ بتلك التفاصيل الخاصة. سألني رجل آخر، بلغة إنجليزية ضعيفة، عما اقترحه بخصوص دفاع الأمريكيين الصينيين بشكل أفضل عن تمثيلهم في الحياة السياسية الأمريكية. لم يكن لديَّ أي فكرة عما يجب أن أقول؛ لذا همست بشيء عن رؤية وسائل التواصل الاجتماعي، والتحالف مع المجموعات المهمَّشة الأخرى، والمركزية المخيبة للآمال لأندرو يانج، وتمنيت أن تربكه سرعتي في التحدث بالإنجليزية على نحو تجعله يعتقد أنني قد قدمت إجابة مفهومة.

أخبرتني امرأة، قدمت نفسها باسم جريس تشو، أن ابنتها كريستينا في الصف التاسع وسألت ما إذا كان بإمكاني تقديم أي نصائح لها عن عملية التقديم للجامعات. قالت: "تهوى ابنتي الكتابة، لكنها تجد صعوبة في الاندماج في المدرسة، خاصة لأنه لا يوجد العديد من الأمريكيين الصينيين، كما تعلمين، وكنت أتساءل ما إذا كان بإمكانك تقديم بعض النصائح لها لمساعدتها على الشعور بالراحة في التعبير عن نفسها".

ألقيت نظرة خاطفة على سوزان، التي كانت قد أطبقت شفتيها على نحو جعل فمها يبدو كأنه رُسم بقلم رصاص.

اقترحت بهدوء: "فقط قولي لها أن تكون على طبيعتها. لقد واجهت صعوبة أيضًا في المدرسة الثانوية، ولكني، إممم، تجاوزت ذلك بالانغماس في الأشياء التي أحببتها. كانت الكتب ملاذي. عندما كان العالم يتعبني، كنت أقرأ. وأعتقد أن هذا ما جعلني الكاتبة التي أنا عليها اليوم. عرفت سحر الكلمات في وقت مبكر. ربما ينطبق الأمر عينه على كريستينا."

على الأقل، كل ذلك كان صحيحًا. لم أعرف ما كانت الإجابة قد أعجبت جريس أم لا، لكنها مررت الميكروفون.

وأخيرًا انتهت الساعة. شكرت جمهوري بلطف وبدأت في التوجه نحو الباب آملة الهروب قبل أن يجرني أحدهم إلى محادثة، لكن سوزان ظهرت بجانبي تمامًا عندما ابتعدت عن المنبر.

بدأت الحديث: "كنت آمل..."، لكن سوزان قادتني، بشكل شبه عنيف، نحو الطاولات البلاستيكية القابلة للطي في مؤخرة الغرفة.

قالت: "تعالي، لتتناولي العشاء بينما هو ساخن".

كان بعض المتطوعين قد وضعوا صواني الطعام الصيني المقدم والذي بدا دهنيًا على نحو أربك معدتي. كنت أعتقد أن الصينيين يجب أن يكونوا متعجرفين بشأن الوجبات السريعة الرخيصة، أو ربما كانت أثينا هي التي أعلنت بشكل مزعج أنه يجب عدم تناول أي قضمة من الطعام الذي يتم توصيله من أماكن تحمل أسماء، مثل: "المطبخ رقم واحد" و"السور العظيم إكسبريس". (قالت لي: "تعلمين أن هذا ليس أصليًا، إذ يقدمون هذا الهراء لذوات البشرة البيضاء اللاتي لا يعرفن ما هو أفضل") استخدمت الملقط البلاستيكي لاختيار لفافة بيض نباتية واحدة، إذ كانت الشيء الوحيد غير المغطى بالزيت، لكن تلك المرأة صغيرة الحجم عند كتفي أصرت على أن أجرب أيضًا دجاج كونج باو والمكرونة بالسمسم؛ لذلك تركتها تضع كميات منها على صحني، في حين حاولت ألا أتقيأ.

قادتني سوزان إلى طاولة في الزاوية وأجلستني إلى جانب رجل مسن قدمته لي على أنه السيد جيمس لي. قالت سوزان: "كان السيد لي متحمسًا جدًا لحديثك منذ أن تم الإعلان عنه". وأضافت: "لقد أحضر كتابه لتوقعي له عليه. كان الجميع يريد الجلوس معك - وأنا أعرف أن جريس تريد إزعاجك بشأن طلبات ابنتها للالتحاق بالجامعة - لكنني رفضت".

ابتسم السيد لي. كان وجهه بنيًا ومجعدًا على نحو جعله يشبه حتى أصبح يشبه ثمرة الجوز، لكن عينيه كانتا لامعتين وودودتين. أخرج من حقيبته نسخة بغلاف مقوى من رواية *الجبهة الأخيرة* وقدمها لي بكلتا يديه. "هل يمكن أن توقعي لي؟".

قلت في نفسي: *يا إلهي، إنه لطيف جدًا.*

سألت بلطف: "هل يجب أن أخصص الإهداء باسمك؟".

أومأ برأسه. لم أكن متأكدة إذا كان قد فهم ما قلته، لذا ألقيت نظرة على سوزان التي أومأت بدورها بموافقتها.

كتبت: *إلى السيد لي. كان من دواعي سروري أن ألتقي بك. أطيب التحيات، جونيبير سونج.*

أخبرتني سوزان: "كان عم السيد لي كان أحد أفراد فيلق العمل الصيني".

حدقت إلى عيني: "حقًا!".

قال السيد لي: "لقد استقر في كندا بعد ذلك". إذًا، كان يفهم ما نقوله. بدت لغته الإنجليزية بطيئة ومتعثرة، ولكن، كانت جميع جمله صحيحة من الناحية النحوية. "كنت أخبر جميع الأطفال في المدرسة أن عمي شارك في الحرب العالمية الأولى. لطالما رأيت الأمر رائعًا! كان عمي من أبطال الحرب! لكن لم يصدقني أحد. قالوا إن الصينيين لم يشاركوا في الحرب العالمية الأولى". مد يده ليأخذ يدي بين يديه، وقد ذهلت على نحو جعلني أتركه يفعل ذلك. "أنتِ تعرفين أفضل. شكرًا لكِ. شكرًا لكِ على سرد هذه القصة." لمعت عيناه بالدموع.

شعرت بوخز في أنفي. فجأة، انتابتني رغبة شديدة في البكاء. نهضت سوزان بالفعل لتتحدث مع طاولة أخرى، وهذا هو الشيء الوحيد الذي منحني الشجاعة لأقول ما قلته بعد ذلك.

همست: "لا أعرف .. بصراحة يا سيد لي، لا أعرف إذا كنت الشخص المناسب لسرد هذه القصة".

أمسك بيدي أكثر. كان وجهه ينضح بالمودة، ما جعلني أشعر بأنني حقيرة.

قال: "بل أنتِ على حق تمامًا. نحن بحاجة إليكِ. إن لغتي الإنجليزية ليست جيدة. يتحدث جيلكم الإنجليزية بشكل رائع جدًا. يمكنكم أن تحكوا قصتنا، والتأكد أن العالم لن ينسانا". أومأ برأسه بإصرار. "نعم. تأكدي من أنهم سيتذكروننا".

ضغط مرة أخيرة على يدي وأخبرني بشيء باللغة الصينية، لكن بالطبع لم أفهم كلمة واحدة.

لأول مرة منذ أن قدمت المخطوطة، اعتراني خجل شديد. لم يكن هذا تاريخي ولا تراثي ولا كان هذا مجتمعي. كنت غريبة، أستمتع بحبهم بادعاءات زائفة. كان يجب أن تكون أثينا جالسة هنا، مبتسمة مع هؤلاء الناس، توقع الكتب وتستمع إلى قصص أجدادها.

أومأ السيد لي إلى طبقي مشجعًا: "كُلي، كلي! أنتم الشباب تعملون بجد جدًا ولا تأكلون بما فيه الكفاية".

أردت أن أتقيأ. لم أستطع البقاء لحظة أخرى بين هؤلاء الناس. كنت بحاجة إلى الهروب من ابتساماتهم، من طيبتهم.

"عذرًا، سيد لي، يجب أن أذهب". نهضت مسرعة عبر الغرفة وأنا أقول لسوزان: "نسيت أنني يجب أن أذهب لأخذ أمي من المطار".

عرفت أن هذا عذر سيئ بمجرد أن نطقته - فسوزان تعرف أنني لا أملك سيارة، وهذا هو السبب في أنها اضطرّت إلى أخذي من محطة القطار في البداية. لكن بدا عليها أنها تفهمت.

"بالطبع. لا يجوز أن تتركي والدتك تنتظرك. دعيني آخذ حقيبتي وسأوصلك إلى المحطة".

"لا، من فضلك، لا أريد أن أتسبب لك في متاعب. سأطلب أوبر... "

"مستحيل! روسلين بعيدة جدًا!".

قلت لاهثة: "لا أريد أن أتسبب لك في عناء، كما أنكِ لم تنتهي من العشاء بعد. لقد قضيت وقتًا رائعًا، وكان من الرائع أن ألتقي بالجميع، لكنني... أعتقد أنه يجب عليّ تركك تستمتعين بوقتك".

انطلقت نحو الباب قبل أن تتمكن سوزان من الرد. لم تلاحقني، لكن لو فعلت، لركضت حتى اختفيت عن الأنظار. بدا تصرفًا متهورًا وطفوليًا، ولكن كل ما كنت أحتاج إليه حينها هو الراحة التي شعرت بها من لفحة الهواء البارد على وجهي في الخارج.

ابتسم السيد لي. كان وجهه بنيًا ومجعدًا على نحو جعله يشبه حتى أصبح يشبه ثمرة الجوز، لكن عينيه كانتا لامعتين وودودتين. أخرج من حقيبته نسخة بغلاف مقوى من رواية *الجبهة الأخيرة* وقدمها لي بكلتا يديه. "هل يمكن أن توقعي لي؟".

قلت في نفسي: *يا إلهي، إنه لطيف جدًا.*

سألت بلطف: "هل يجب أن أخصص الإهداء باسمك؟".

أومأ برأسه. لم أكن متأكدة إذا كان قد فهم ما قلته، لذا ألقيت نظرة على سوزان التي أومأت بدورها بموافقتها.

كتبت: *إلى السيد لي. كان من دواعي سروري أن ألتقي بك. أطيب التحيات، جونيبير سونج.*

أخبرتني سوزان: "كان عم السيد لي كان أحد أفراد فيلق العمل الصيني".

حدقت إلى عيني: "حقًا!".

قال السيد لي: "لقد استقر في كندا بعد ذلك". إذًا، كان يفهم ما نقوله. بدت لغته الإنجليزية بطيئة ومتعثرة، ولكن، كانت جميع جمله صحيحة من الناحية النحوية. "كنت أخبر جميع الأطفال في المدرسة أن عمي شارك في الحرب العالمية الأولى. لطالما رأيت الأمر رائعًا! كان عمي من أبطال الحرب! لكن لم يصدقني أحد. قالوا إن الصينيين لم يشاركوا في الحرب العالمية الأولى". مد يده ليأخذ يدي بين يديه، وقد ذهلت على نحو جعلني أتركه يفعل ذلك. "أنتِ تعرفين أفضل. شكرًا لكِ. شكرًا لكِ على سرد هذه القصة." لمعت عيناه بالدموع.

شعرت بوخز في أنفي. فجأة، انتابتني رغبة شديدة في البكاء. نهضت سوزان بالفعل لتتحدث مع طاولة أخرى، وهذا هو الشيء الوحيد الذي منحني الشجاعة لأقول ما قلته بعد ذلك.

همست: "لا أعرف .. بصراحة يا سيد لي، لا أعرف إذا كنت الشخص المناسب لسرد هذه القصة".

أمسك بيدي أكثر. كان وجهه ينضح بالمودة، ما جعلني أشعر بأنني حقيرة.

قال: "بل أنتِ على حق تمامًا. نحن بحاجة إليكِ. إن لغتي الإنجليزية ليست جيدة. يتحدث جيلكم الإنجليزية بشكل رائع جدًا. يمكنكم أن تحكوا قصتنا، والتأكد أن العالم لن ينسانا". أومأ برأسه بإصرار. "نعم. تأكدي من أنهم سيتذكروننا".

ضغط مرة أخيرة على يدي وأخبرني بشيء باللغة الصينية، لكن بالطبع لم أفهم كلمة واحدة.

لأول مرة منذ أن قدمت المخطوطة، اعتراني خجل شديد. لم يكن هذا تاريخي ولا تراثي ولا كان هذا مجتمعي. كنت غريبة، أستمتع بحبهم بادعاءات زائفة. كان يجب أن تكون أثينا جالسة هنا، مبتسمة مع هؤلاء الناس، توقع الكتب وتستمع إلى قصص أجدادها.

أومأ السيد لي إلى طبقي مشجعًا: "كُلي، كلي! أنتم الشباب تعملون بجد جدًا ولا تأكلون بما فيه الكفاية".

أردت أن أتقيأ. لم أستطع البقاء لحظة أخرى بين هؤلاء الناس. كنت بحاجة إلى الهروب من ابتساماتهم، من طيبتهم.

"عذرًا، سيد لي، يجب أن أذهب". نهضت مسرعة عبر الغرفة وأنا أقول لسوزان: "نسيت أنني يجب أن أذهب لأخذ أمي من المطار".

عرفت أن هذا عذر سيئ بمجرد أن نطقته – فسوزان تعرف أنني لا أملك سيارة، وهذا هو السبب في أنها اضطرّت إلى أخذي من محطة القطار في البداية. لكن بدا عليها أنها تفهمت.

"بالطبع. لا يجوز أن تتركي والدتك تنتظرك. دعيني آخذ حقيبتي وسأوصلك إلى المحطة".

"لا، من فضلك، لا أريد أن أتسبب لك في متاعب. سأطلب أوبر... "

"مستحيل! روسلين بعيدة جدًا!".

قلت لاهثة: "لا أريد أن أتسبب لك في عناء، كما أنكِ لم تنتهي من العشاء بعد. لقد قضيت وقتًا رائعًا، وكان من الرائع أن ألتقي بالجميع، لكنني... أعتقد أنه يجب عليّ تركك تستمتعين بوقتك".

انطلقت نحو الباب قبل أن تتمكن سوزان من الرد. لم تلاحقني، لكن لو فعلت، لركضت حتى اختفيت عن الأنظار. بدا تصرفًا متهورًا وطفوليًا، ولكن كل ما كنت أحتاج إليه حينها هو الراحة التي شعرت بها من لفحة الهواء البارد على وجهي في الخارج.

الفصل العاشر

بعد ذلك، طلبت من إميلي أن ترفض معظم دعوات الفعاليات نيابة عني. لقد اكتفيت من المدارس والمكتبات وأندية الكتب. كنت في مرحلة البيع التي لا يمكن فيها للظهور الشخصي أن يؤثر في المبيعات؛ لذا لم أكن أحتاج إلى الاستمرار في جعل نفسي طُعمًا للمزيد من الجدل. اقتصرت الفعاليات التي استمررت في حضورها على حفلات الجوائز في المؤتمرات الأدبية. فرغم رغبتي في الاختباء عن العامة، ظللت أكره أن أتخلى عن شعور التقدير الذي أحصل عليه من خلال *تلك الجوائز*.

كانت الجوائز في هذه الصناعة سخيفة وعشوائية؛ إذ لم تكن علامة على المكانة أو الجودة الأدبية بقدر ما كانت إشارة إلى فوز المرء في مسابقة شعبية مع مجموعة صغيرة ومنحازة من المصوتين. الجوائز لا تهم. كان هذا، على الأقل، ما يقوله لي باستمرار الأشخاص الذين يفوزون بها بانتظام. كانت أثينا توضح هذا سنويًا على تويتر، دائمًا بعد ترشيحها لشيء كبير: **أشعر بفخر كبير، لكن تذكروا، لا يعني عدم تأهلكم للنهائيات أن عملكم لا يهم! كل قصصنا مميزة بطريقتها الخاصة والمهمة.**

كنت أؤمن تمامًا بأن الجوائز ليست ذات قيمة كبيرة، لكن هذا لم يمنعني من أن أرغب في الفوز بها.

وكانت *الجبهة الأخيرة* مثار جذب للجوائز، إذ كانت مكتوبة ببراعة، ويمكنكم التحقق من هذا. وكانت تجذب القراء التجاريين والمتميزين. تحققوا من ذلك أيضًا. ولكن الأهم من ذلك، أنها تتناول قضية ما، قضية مُلحة أو حساسة يمكن للجنة الجوائز أن تشير إليها وتقول: *انظروا، نحن نهتم بما يحدث في العالم، وبما أن الأدب هو انعكاس ضروري للواقع المعيش، فإن هذه القصة هي التي اخترناها لرفعها*.

كنت أتوجس خيفة أن تكون *الجبهة الأخيرة* ناجحة تجاريًا، ما يجعلها لا تفوز بأي شيء. قيل لي إن لجان الجوائز ترغب في الظهور بمذاق أرقى من العامة والكادحين؛ لذلك لا يُدرَج أحد أكثر الكتب مبيعًا في قائمة التصويت في الفئة التي يجب أن تفوز بها بوضوح، ودائمًا ما توجد بعض الترشيحات النهائية في كل فئة لأعمال لم يسمع بها أحد. لكن لم يكن عليَّ القلق، فقد توالت الترشيحات واحدًا تلو الآخر: يمكن التحقق من جوائز اختيار القراء على موقع جود ريدز، وجوائز اختيار الكُتاب المستقلين. أما جائزة بوكر وجائزة النساء فكانت فرصتي للفوز بهما ضئيلة؛ لذلك لم أشعر بخيبة أمل كبيرة عندما لم أُدرج في القائمة القصيرة لتلك الجوائز. علاوة على ذلك، فقد رُشحت لعدد كبير من الجوائز الإقليمية؛ لذا فقد كنت محاطة بهالة من الاهتمام!

كانت أديلي سباركس - ساتو غاضبة حد الألم، كما قالت مارني عندما شاركتها أخبار جوائز اختيار قراء جود رييدز.

وكتبت جين: **نعم! أحسنت. أفضل انتقام هو الازدهار. فخورة بكِ لأنكِ تتعاملين مع كل هذا برقي. #ابقي راقية__ابقي فائزة!**

رحت أعيد قراءة رسائل ترشيحي عدة مرات في اليوم متفاخرة بتلك الكلمات: "عزيزتي الآنسة سونج، يسعدنا أن نعلمكِ..." وأدور في شقتي، وأتدرب على خطاب قبول خيالي محاكية المزيج نفسه من الرقي والحماسة الشبابية التي كانت تتسم بها أثينا دائمًا في خطابها: "يا *إلهي*! لا أصدق ذلك... لا، حقًا، لم أظن أنني سأفوز..."

جلبت الترشيحات موجة من التغطية الإعلامية الجيدة، كما ظهرت في العديد من قوائم *باظ فيد*. حصلت على فرصة لإجراء مقابلة مع *بيل ديلي نيوز*. كما فزت بجائزة اختيار قراء جود ريدز ما منحني زيادة كبيرة في المبيعات، وعدت إلى

قائمة الأكثر مبيعًا في *نيويورك تايمز* لمدة أسبوعين. لعل ضجة الجوائز جذبت انتباه الناس في هوليوود أيضًا، إذ اتصل بي بريت في ذلك الأسبوع ليخبرني بأن وكيل أفلامي يريد ترتيب اجتماع بيني وبين بعض الأشخاص من شركة جرين *هاوس بروداكشنز*.

سألته: "ما هي جرين *هاوس*؟ هل هي موثوقة؟".

"إنها شركة إنتاج عادية جدًا، وقد أبرمنا بعض الصفقات معها في الماضي".

"لم أسمع عنهم من قبل". كتبت الاسم في جوجل. أوه، لا، كانوا في الواقع مثيرين للإعجاب. كان موظفوهم الرئيسيون ثلاثة منتجين للعديد من الأفلام التي عرفتها، وأبرزهم المنتجة والمخرجة، جاسمين زانج التي كانت مرشحة للأوسكار العام الماضي عن فيلم حول العمال المهاجرين الصينيين في سان فرانسيسكو. تساءلت ما إذا كانت هي مَن رشح روايتي للشركاء. "أوه، تبًا! لعلهم مؤثرون في صناعتهم بالفعل؟".

شرح بريت: "لن تكوني قد سمعت بأسماء معظم شركات الإنتاج المستقلة. إنهم يعملون بشكل كبير وراء الكواليس. ويقومون بدراسة روايتك، والبحث عن كاتب سيناريو، ثم إضافة بعض المواهب التمثيلية، وما إلى ذلك، ثم يقدمون نتاجهم إلى أستوديو. الأستوديوهات أكبر مستثمر للمال في الأمر. لكن شركات الإنتاج ستدفع لك مقدمًا مقابل الحقوق، وهذا ما يعد أقوى اهتمام بحق الخيار شهدناه حتى الآن. لا ضرر من الدردشة معهم، أليس كذلك؟ ماذا عن الخميس المقبل؟".

تواجد موظفو جرين هاوس بروداكشنز مصادفة في واشنطن العاصمة من أجل مهرجان أفلام في ذلك الأسبوع؛ لذا رتبنا للقاء في مقهى بجورج تاون. وصلت مبكرًا - كنت أكره فوضى المصافحة، ثم محاولة تحديد ما يجب طلبه، ثم العبث ببطاقة الدفع عند الكاشير - لكنهم كانوا جالسين بالفعل إلى طاولة في الخلف عندما وصلت. كان هناك شخصان: جاستن، أحد مؤسسي جرين *هاوس*، ومساعده هارفي. كان كلاهما أشقر الشعر، وبشوشًا، ويتمتع بلياقة بدنية، ويتميز بابتسامات مشرقة. كانا يبدوان كالأخوين، ربما ابني عم، على الرغم من أن ذلك قد يُعزى إلى أن شعرهما المرفوع إلى الوراء في تموجات متطابقة. كما كانا يرتديان التصميم نفسه من قمصان *هنلي* ذات الياقة على شكل حرف V والملفوفة عند المرفقين. لم تظهر جاسمين زانج في المكان.

قام جاستن من مكانه ليحييني قائلًا: "مرحبًا، جونيبيرا من الرائع أن ألتقي بكِ. شكرًا لأنكِ خصصتِ وقتًا لنا".

قلت: "بكل سرور،" ثم تابعت: "إن جورج تاون قريبة جدًا".

سأل جاستن: "هل تأتين إلى هنا كثيرًا؟".

لم أكن أفعل؛ لأن كل شيء في جورج تاون مكلف للغاية، والطلاب الذين اكتظ بهم الحي كانوا صاخبين، ومزعجين، وثرثارين جدًا. لقد جئت إلى هنا بضع مرات مع أثينا التي كانت مهووسة بمطعم المارجريتا في شارع ويسكونسن؛ لكنني اخترت المكان، أساسًا لأنني كنت آمل أن يترك لديهم انطباعًا جيدًا؛ لذا لم أتمكن من التظاهر بأنني لا أعرف المنطقة. "ممم، نعم، طوال الوقت. يعد إل سينترو مكانًا لطيفًا. كان هناك العديد من الأماكن الجيدة للمأكولات البحرية على الواجهة البحرية أيضًا. وهناك مكان لحلوى الماكرون في شارع إم، إذا كان لديكم وقت فراغ لاحقًا".

ابتسم جاستن كما لو أن الماكرون هو طعامه المفضل في العالم قائلًا: "حسنًا، سيتعين علينا تجربته!".

قال هارفي: "بالتأكيد، بمجرد أن نخرج من هنا".

كنت أعرف أن تصرفاتهم الجذابة هدفها تهدئتي، لكنني ظللت متيبسة من التوتر. كانت أثينا قد اشتكت مرة من أن جميع من هم في هوليوود لا يقصدون أي شيء مما يقولون. صحيح أنهم ودودون للغاية ومتحمسون، ويقولون لك إنك أكثر شخص مميز رأوه، لكنهم لا يلبثون أن يديروا ظهورهم ويتجاهلونك لأسابيع! وقد فهمت ما كانت تعنيه. لم تكن لديَّ فكرة عن كيفية تقييم مدى صدق جاستن وهارفي، أو كيفية تقييمهما ردودي، كما أن وجهيهما المشرقين والمرحين جعلا من الصعب فهمهما، ما زاد من حدة توتري.

اقتربت نادلة وسألت عن طلبي. كنت متوترة للغاية على نحو جعلني لا أستطيع تصفح القائمة، لذا طلبت الشيء نفسه الذي يشربه جاستن، والذي تبين أنه قهوة فيتنامية مثلجة تُسمى "ميس سايجون".

قال جاستن: "اختيار رائع، إنها لذيذة جدًا. إنها قوية جدًا - وحلوة أيضًا. أعتقد أنها مصنوعة من الحليب المكثف؟".

أرجعت القائمة إلى النادلة: "أوه، ممم، نعم. إنها ما أطلبه دائمًا".

صفع جاستن الطاولة بكلتا يديه بقوة جعلتني أرتعد: "إذًا! *الجبهة الأخيرة* يا لها من *رواية*! أنا مندهش حقًّا أن أحدًا لم يشترِ حقوق تحويلها إلى فيلم بعد!".

لم أعرف ما أقوله ردًا على ذلك. هل يعني هذا أنه يشعر بأنه محظوظ لعقدنا هذا الاجتماع، أم أنه يبحث عن سبب لعدم انجذاب الكثير من المنتجين لشراء حقوق الرواية بشكل أكبر؟ هل يجب أن أتظاهر وكأن هناك شركات أخرى مهتمة؟

قلت: "أعتقد أن هوليوود ليست متحمسة جدًا للمخاطرة في أفلام عن الأشخاص الآسيويين". كان تعليقًا ساخرًا، لكنني قصدته، وقد سمعت الشكوى نفسها مرات عديدة من أثينا. "أود حقًّا أن أرى هذه القصة تُحَوَّل إلى فيلم كبير، لكني أعتقد أن الأمر سيحتاج إلى حليف حقيقي للقيام بذلك، شخص يستطيع أن يفهم القصة بالفعل".

قال جاستن: "حسنًا، لقد *أحببنا* الرواية، فهي غير تقليدية، وعلى قدر كبير من التنوع، ونحن في أمسِّ الحاجة إلى تنوع السرديات".

قال هارفي: "أحببت أسلوب السرد القائم على تجميع أجزاء صغيرة من الحكاية أو وجهات نظر مختلفة لتكوين قصة أكبر، فقد ذكرني بفيلم *دونكيرك*."

"إنه مشابه تمامًا لـ *دونكيرك*، أحد أفلامي المفضلة، في الواقع - كنت أعتقد أنه من ضروب عبقرية نولان أنه جعلنا نتكهن حول كيفية ربط جميع خيوط السرد معًا في النهاية". غمز جاستن إلى هارفي بنظرة جانبية وقال: "في الواقع، سيكون كريس اختيارًا جيدًا جدًا كمخرج، أليس كذلك؟".

أومأ جاستن بحماس: "أوه، يا إلهي! نعم، سيكون ذلك هدفنا".

سألت: "ماذا عن جاسمين زانج؟". لقد فاجأني عدم ذكر أي منهما لها. ألم تكن الخيار الأكثر وضوحًا للإخراج؟

قال جاستن وهو يعبث بماصة شرابه: "أوه، لا أعرف ما إذا كان لديها الوقت الكافي لهذا، فهي غارقة قليلًا في العمل الآن".

قال هارفي: "إنها الآثار الجانبية للفوز بجائزة أوسكار. لعلها محجوزة للعمل للسنوات العشر المقبلة".

"ها. نعم. لكن لا تقلقي، في ذهننا بعض أسماء الموهوبين. هناك شاب تخرج حديثًا في جامعة *يو إس سي* يُدعى داني بيكر وهو الذي أذهل الجميع بفيلم قصير عن جرائم الحرب في كمبوديا - أووه، وهناك فتاة في تيش والتي أصدرت

فيلمًا وثائقيًا طلابيًا العام الماضي عن الوصول إلى الأرشيفات التاريخية لجمهورية الصين الشعبية، إن كان من المهم أن نضع امرأة آسيوية في القيادة".

وضعت النادلة مشروب ميس سايجون أمامي. تناولت رشفة وجفلت؛ اتضح أنه أكثر حلاوة مما توقعت.

قلت بارتباك: "حسنًا، هذا رائع جدًا". كانوا يتحدثون كأنهم قد قرروا بالفعل الحصول على حقوق الرواية. هل يعني ذلك أنني كنت أحسن الأداء أمامهم؟ ماذا يجب أن أقول أيضًا لإقناعهم؟ قلت: "كيف يمكنني أن أساعدكم إذًا؟".

شبك جاستن يديه معًا وتقدم للأمام وهو يقول: "أوه، نحن هنا فقط للاستماع إلى كل ما يدور في ذهنك!". "نهتم كثيرًا برؤية المؤلف هنا في جري*نهاوس*، فلم نأت هنا لتحريف عملك، أو تجميله، أو جعله ذا طابع هوليوودي أو أي شيء من هذا القبيل. نركز على نزاهة القصة؛ لذلك نريد آراءك في كل مرحلة".

قال هارفي وهو جاهز بقلم فوق دفتر ملاحظات: "فكري في الأمر كما لو أنه لوحة فنية. ما العناصر التي تريدين أن تريها في النسخة السينمائية من *الجبهة الأخيرة* يا جونيبير؟".

"حسنًا، أعتقد أنني لم أفكر في ذلك كثيرًا". في تلك اللحظة تذكرت لماذا لم أكن أطلب القهوة في اجتماعات العمل؛ إذ يؤثر الكافيين فورًا على مثانتي، ويثير رغبة مفاجئة وعنيفة في التبول. لا أعرف، فليست كتابة السيناريو مجالي".

أشار جاستن: "ماذا عن اختياراتك المفضلة للممثلين؟ هل فكرت في أي نجوم كبار أثناء الكتابة؟".

"مممم... لا أعرف، حقًا". احمر وجهي خجلًا، وشعرت وكأنني فشلت في اختبار لم أذاكر له، على الرغم أنه فيما بعد بدا واضحًا أنه كان يجب عليَّ التفكير فيما أريد من الاقتباس السينمائي قبل أن ألتقي بالمنتجين. "لم يكن أي ممثلين في ذهني أثناء الكتابة، بصراحة؛ لست ممن يعتمدون على الوسائل البصرية إلى هذا الحد..."

سأل هارفي: "حسنًا، ماذا عن شخصية العقيد تشارلز روبرتسون؟ الملحق البريطاني؟ يمكننا الاستثمار في الحصول على ممثل كبير، مثل بينيديكت كامبرباتش أو توم هيدلستون..."

قلت بذهول: "لكنّه ليس حتى شخصية رئيسية". ذُكر العقيد تشارلز روبرتسون بشكل عابر في الفصل الأول.

قال جاستن: "أجل، لكن ربما يمكننا توسيع دوره قليلًا، وإعطاؤه حضورًا دراميًا أكبر..."

عبست. ثم قلت: أعتقد ... ربما ... لست متأكدة من كيفية حدوث ذلك - سيؤثر على إيقاع الفصل الأول - لكن يمكننا النظر في الأمر..."

قال جاستن: "اسمعي، تتمثل الحيلة في ملاحم الحروب الكبرى في وجود شخص يتمتع بكاريزما حقيقية ليضفي واقعية على كل شيء. لن تحصلي على جاذبية واسعة إذا كان التاريخ العسكري هو النقطة الوحيدة للتسويق. لكن أضيفي وسيمًا بريطانيًا، وستفوزين بجمهور النساء، والأمهات في منتصف العمر، والفتيات المراهقات... مرة أخرى، إنها قاعدة *دونكيرك*. ما هو *دونكيرك*؟ من يدري؟ ذهبنا لنشاهد توم هاردي".

قال هارفي: "وهاري ستايلز كذلك".

"بالضبط! ما نقوله هو أن فيلمك يحتاج إلى شخص مثل هاري ستايلز".

قال هارفي: "ماذا عن ذلك الفتى الصغير من فيلم *سبايدر مان*؟ ما اسمه؟".

ركز جاستن قليلًا ثم قال: "توم هولاند؟".

"آه نعم. سأحب أن أراه في فيلم حربي، فهي خطوة منطقية في مسيرته المهنية". التفت هارفي نحوي كما لو أنه تذكر أنني موجودة، وسأل: "ما رأيك يا جوني؟ هل تحبين توم هولاند؟".

"أنا ... نعم، أحب توم هولاند". انتفخت مثانتي، وتلويت في مقعدي محاولة إيجاد توازن أفضل. "سيكون ذلك جيدًا، أعتقد، بالتأكيد. أعني، لست متأكدة دور مَن سيلعب، لكن ... "

"قال جاستن: "وبالنسبة لـ إيه جينج، كنا نفكر في موهبة صينية - ربما نجم بوب، هذا سيوصلنا إلى السوق الصينية، والتي تعتبر ضخمة ..."

قال هارفي: "تتمثل مشكلة نجوم البوب الآسيويين في ضعف لغتهم الإنجليزية. تعد هيرو كابوسًا إنتاجيًا".

ضحك جاستن وقال: " لا تقل ذلك يا هارفي".

"آه! لقد كشفتني! لا تخبر جاسمين".

قاطعت: "لكن لن يمثل هذا مشكلة. من المفترض أن يتحدث العمال بلغة إنجليزية ضعيفة".

لا بد أن صوتي كان أكثر سخرية مما أردت، إذ سارع جاستن بتصحيح كلامه وقال: "أعني أننا لن نغير القصة بطريقة تزعجكِ. ليس هذا ما نحاول القيام به هنا، بل نريد أن نحترم المشروع تمامًا ..."

هززت رأسي: "لا، لا، نعم، لم أشعر أنكم لا تحترمون المشروع..."

أكمل: " نتبادل الأفكار فحسب لتغليف الأمور بشكل أكثر جاذبية، ولتوسيع قاعدة الجمهور..."

اتكأت ورفعت يدي في استسلام، وقلت: "اسمعا. أنتما خبيران في هوليوود، أما أنا فكاتبة الرواية فحسب. يبدو كل ذلك جيدًا بالنسبة لي، وأتمنى لكما التوفيق أو أيًا كان، لتغليف هذا بالطريقة التي ترونها مناسبة".

كنت أعني ما أقول. لم أرغب أبدًا في السيطرة على تعديلات فيلمي، إذ لم أتدرب من قبل على كتابة السيناريو. وبالإضافة إلى ذلك، فإن وسائل التواصل الاجتماعي دائمًا ما تكون مملوءة بالأحاديث عن هذا الكاتب أو ذاك الذي وقع في خلاف مع المخرج. لم أرغب في أن أتصرف كفنانة ذات مطالب مبالغ فيها. وربما كانت لديهم وجهة نظر. من يريد الذهاب إلى المسرح لمشاهدة مجموعة من الناس يتحدثون بالصينية لمدة ساعتين؟ أقصد، ألن تذهب لمشاهدة فيلم صيني بدلًا من ذلك؟ نحن نتحدث عن فيلم ضخم موجه لجمهور أمريكي، ومن المهم أن نصل إليهم.

ابتسم جاستن: "شكرًا لتفهمك. نتحدث إلى الكُتاب أحيانًا، وهم - كما تعلمين..."

قال هارفي: "المؤلفون شديدو الدقة، ويريدون أن يتطابق كل مشهد في الفيلم مع الكتاب بالكلمة والحرف".

قال جاستن: "ولا يفهمون أن السينما هي وسيلة مختلفة تمامًا، وتتطلب مهارات سرد قصصي مختلفة. إنها حقًا كالترجمة، والترجمة عبر الوسائط غير وفية إلى حد ما، وفقًا لرولان بارت. فعمل الترجمة من ضروب الخيانة".

قال هارفي: "*بيل إنفيديل* أي جميلة وخائنة".

قال جاستن: "لقد فهمتِ ذلك، وهذا رائع".

وهكذا انتهى الأمر. كان هذا رائعًا. وكنت رائعة. وكنا جميعًا متحمسين للغاية لجعل الأمور تنجح. كنت أنتظر أن يتم تقديم تفاصيل جوهرية أكثر. كم تبلغ الميزانية؟ ما الجدول الزمني؟ هل ستبدأ الشركة الاتصال بهذا الشاب داني بيكر غدًا على سبيل المثال؟ (جعل هارفي الأمر يبدو كأنه سيرسل له رسالة فورية على الفور.) لكن كل ما قدموه لي هو التلميحات العامة، وشعرت بأن هذا ربما ليس السياق المناسب للضغط؛ لذا جلست واستمتعت بالحصول على قطعة شترودل باهظة الثمن (التي سميت "الحلوى الفاتنة") وحدّثاني عن مدى جمال الواجهة البحرية. تولى جاستن دفع الفاتورة، وصافحني كلاهما بحرارة قبل أن نفترق.

تجولت حتى انعطفا حول الزاوية المقابلة، ثم عدت مسرعة إلى المقهى وذهبت إلى الحمام لمدة دقيقة كاملة.

أرسلت لبريت ملخصًا عن الاجتماع فيما كنت أتجول عائدة عبر الجسر إلى روسلين: **سار كل شيء بشكل جيد. أعتقد أنني نلت استحسانهما، لكن يبدو أنهما ما زالا يستكشفان بعض الأمور قبل أن يتحدثا عن الأمور المالية. لا أعتقد أن جاسمين زانج مرتبطة بالموضوع، وهذا غريب؟**

رد بريت: **أمر معتاد بالنسبة لاجتماعات هوليوود، كانا يقيمانك على المستوى الشخصي فحسب. لا تُقدم العروض الحقيقية إلا في وقت لاحق. لست متأكدًا مما يحدث مع جاسمين، على الرغم من أنه يبدو أن الاهتمام الرئيسي يأتي من جاستن. سأطلعكِ على كل المستجدات.**

كنت متشوقة لسماع المزيد، لكن هكذا تسير الأمور. إن عملية النشر تسير ببطء. يضع حراس البوابة المخطوطات في الأدراج لشهور، وتُقام الاجتماعات خلف الأبواب المغلقة فيما يموت المرء من الترقب في الخارج.

في صناعة النشر، قد تمر أسابيع دون حدوث مستجدات وفجأة، أثناء انتظارك دورك في ستارباكس أو وقوفك منتظرًا الحافلة، يصلك إشعار على هاتفك برسالة إلكترونية تقلب حياتك رأسًا على عقب.

لذا، نزلت إلى المترو، ووضعت أحلامي في هوليوود في قائمة الانتظار، وانتظرت بريت ليخبرني بأنني على وشك أن أصبح مليونيرة.

حاولت أن أضبط توقعاتي، ففي نهاية المطاف، قد لا تصل معظم اتفاقيات خيارات الشراء إلى أي نتيجة! كل ما تعنيه الخيارات هو أن شركة الإنتاج تمتلك الحقوق الحصرية لتحويل القصة إلى شيء قد يرغب أستوديو ما في شرائه. وتظل غالبية المشاريع في جحيم التطوير، ولا يحصل سوى قلة قليلة منها على موافقة من قبل التنفيذيين في الأستوديو. تعلمت هذا خلال الساعات التالية أثناء بحثي على الإنترنت عن مقالات حول هذه العملية، واطلاعي على مصطلحات الصناعة ومحاولتي تقييم مدى حماسي.

قد لا أحصل على فيلم من إنتاج وارنر براذرز. قد لا أصبح مليونيرة. لكن هذا الضجيج يمكن أن يساعدني، فقد أكسب بعض العشرات من الآلاف من الدولارات من عرض الخيار من جرينهاوس. قد أبيع بضعة آلاف من النسخ بناءً على الدعاية التي قد تأتي مع هذا العرض وحده.

ودائمًا هناك تلك الاحتمالية المراوغة والمغرية. قد تشتري نتفليكس أو إتش بي أو، أو هولو هذا العمل. قد يحقق الفيلم نجاحًا ساحقًا، ويتم عمل طبعة جديدة من كتابي مع بوستر الفيلم على الغلاف، وأحضر العرض الأول مرتدية فستانًا مُفصلًا خصيصًا لي، وأتأبط ذراع الممثل الآسيوي الوسيم الذي سيقوم بدور "إيه جينج". ستلعب إيل فانينج دور "آني ووترز"، وسنلتقط صورة سيلفي لطيفة معًا في العرض الأول مثل تلك التي التقطتها أثينا ذات مرة مع آن هاثاواي.

لماذا لا أطمح لشيء كبير؟ بتُّ أكتشف، في كل مرة أحقق فيها أهدافي في النشر، أن سقف طموحاتي يرتفع. فقد حصلت على دفعة مقدمة ضخمة. كما حازت روايتي وصف الأكثر مبيعًا، وحصلت على ملفات تعريف في المجلات الكبرى، وعلى الجوائز والتكريمات. الآن، وبعد أن تذوقت حلاوة ميس سايجون المزعجة، بدا كل ما سبق ضئيلًا مقارنة بما يعنيه التألق الأدبي الحقيقي. طمحت للحصول على ما يمتلكه ستيفن كينج، وما يمتلكه نيل جايمان. لماذا لا أحصل على صفقة فيلم؟ لماذا لا أحقق شهرة في هوليوود؟ لماذا لا أمتلك إمبراطورية متعددة الوسائط؟ لماذا لا أمتلك العالم؟

الفصل الحادي عشر

بدأت الهجمات على تويتر.

جاءت التغريدة الأولى من حساب باسم@ شبح__أثينا__ليو والذي كان قد تم إنشاؤه في وقت سابق من الأسبوع نفسه دون صورة للملف الشخصي ولا كلمات في السيرة الذاتية. وكانت التغريدة:

جونيبير سونج، والمعروفة أيضًا بجوني هايوارد، لم تكتب الجبهة الأخيرة. أنا مَن كتبتها. لقد سرقت روايتي، وسرقت صوتي، وسرقت كلماتي. #أنقذوا_أثينا.

ثم، بعد عدة ساعات، نُشرت عدة تغريدات مروعة في السلسلة نفسها.

لقد صادقتني جوني هايوارد منذ عدة سنوات لتقترب من عملي وطريقتي. لقد اعتادت زيارة شقتي بشكل متكرر، وراقبتها أكثر من مرة وهي تتطفل على دفاتري عندما كانت تعتقد أنني غير منتبهة.

الدليل قاطع. اقرأوا رواياتي السابقة، وقارنوها بالنثر في الجبهة الأخيرة. ثم اقرأوا الرواية الأولى لجوني، واسألوا أنفسكم: هل الجبهة الأخيرة رواية تستطيع امرأة من ذوات البشرة البيضاء أن تكتبها؟

لنكن واضحين: جونيبير سونج هايوارد امرأة من ذوات البشرة البيضاء.

- إنها تستخدم الاسم المستعار "جونيبير سونج" لتتظاهر بأنها صينية أمريكية. لقد أخذت صورًا جديدة لها ككاتبة لتبدو أكثر سمرة وبمظهر يوحي بأصل عرقي، لكنها بيضاء البشرة تمامًا. أنتِ لصّة وكاذبة يا جوني هايوارد، فقد سرقت إرثي، والآن تبصقين على قبري.

عارٌ عليكِ، يا جوني. عارٌ على إيدن بريس. يجب على دانييلا وودهاوس سحب النسخة الحالية من المكتبات وإعادة حقوق النشر إلى باتريشيا ليو والدة أثينا. يجب أن تُنشر جميع النسخ المستقبلية حاملة اسم أثينا فحسب.

لا تدعوا الظلم يستمر. #أنقذوا_أثينا.

وأشارت التغريدة قبل الأخيرة إلى أكثر من عشرة حسابات بارزة على تويتر، وتطلب منهم إعادة التغريد من أجل زيادة الظهور.

ثم جاءت تغريدة أخيرة، تشير إلى حسابي أنا.

تشوشت رؤيتي عندما وصلت إلى النهاية. أخذت نفسًا، وشعرت بالدوار. لم أستطع الوقوف وصرت أتحرك بصعوبة. أصبح عقلي مشتتًا؛ لم أعد قادرة على تشكيل أفكار مترابطة، لم أتمكن سوى من الضغط على تحديث في حساب@ **شبح__أثينا__ليو**، وقراءة التغريدات مرارًا وتكرارًا وأنا أراقب كيف تبدأ السلسلة في اكتساب الزخم تدريجيًا.

في الساعات الأولى، لم تحظَ بأي إعجابات، وكان لديَّ أمل جامح أن يتلاشى هذا الحساب، مثل جميع الحسابات الغريبة، في الهواء. لكن لا بد أن تلك الإشارات في التغريدة قبل الأخيرة قد جذبت بعض الانتباه. فبعد خمس عشرة دقيقة من رؤيتي لها لأول مرة، بدأ الناس بالرد على السلسلة. قام أحد مدوني الكتب الذين

يتابعهم ستة آلاف شخص بإعادة تغريد التغريدة الأولى، ثم قام كاتب شاب أصبح مشهورًا عدة مرات بسبب "آرائه الأدبية الساخنة " (التي انحصرت في الغالب في "أنتم بحاجة لدورة قراءة نقدية" و"ليس كل الأشرار مزعجين") بالاقتباس منها مع إضافة: "مقرزز إذا كان هذا صحيحًا. يا إلهي!". ثم، فُتحت أبواب التعليق على مصاريعها وبدأ الناس في الرد:

هل أنتِ جادة؟

أين الدليل؟

لطالما ظننت أن هناك خطبًا بشأن سونج. همم.

يبدو أن "الموهبة" المتخرجة من ييلِ مجرد محتالة كبيرة وكاذبة.

ما هذا بحق الجحيم!!! زجوا بها في السجن!

لم أستطع الابتعاد عن حاسوبي المحمول. حتى عندما نهضت أخيرًا للذهاب إلى الحمام، بقيت عيناي ملتصقتين بهاتفي. كان الشيء الصحي الذي توجب عليَّ فعله هو إيقاف تشغيل جميع أجهزتي، لكنني لم أتمكن من التراجع. كان عليَّ أن أشاهد الكارثة كلها تقع أثناء حدوثها آنيًا، كان يجب أن أرى بالضبط مَن الذي أعاد تغريدها ومَن الذي يرد عليها.

ثم بدأت الرسائل الخاصة تصل. كانت كلها من غرباء تمامًا. لا أدري لماذا حتى قمت بفتحها، لكنني كنت فضولية للغاية، أو ربما مستلذة بالألم، ما جعلني لا أتمكن من حذفها ببساطة.

الموت لكِ يا حقيرة.

هل رأيتِ هذه التغريدات يا جوني؟ هل هي صحيحة؟ يجب أن تدافعي عن نفسك إذا لم تكن كذلك.

يجب أن تحترقي في الجحيم بسبب ما فعلته. لصَّة عنصرية، حقيرة.

أنتِ مدينَة الآن للسيدة ليو بكل قرش في حسابك البنكي!!!

كنتُ من معجبي الجبهة الأخيرة. هذا محبط للغاية. أنتِ مدينَة للمجتمع الأدبي بتقديم اعتذار علني فورًا.

سآتي إليك في واشنطن وأضربك حتى الموت أيتها الحقيرة العنصرية.

بعد آخر رسالة، ألقيت بهاتفي على فراشي. يا إلهي! سمعت قلبي يخفق بصوت مرتفع جدًا جعلني نهضت، وبدأت أتمشى في شقتي، وأدفع كرسيًا عند بابي (لا، لا أعتقد أن أحدًا سيقتحم المنزل ويقتلني، لكن هذا ما شعرت به)، ثم جلست على فراشي، حيث سحبت ركبتيَّ إلى صدري وبدأت أتأرجح إلى الأمام وإلى الخلف.

يا إلهي!

يا إلهي!

لقد انتهى كل شيء. لقد عرف الجميع. العالم بأسره على وشك أن يعرف. ستكتشف دانييلا، ثم ستطردني إيدن، وسأخسر كل أموالي، وستقاضيني السيدة ليو، وستدمِّرني في المحكمة، كما سيتخلى بريت عني كعميلة، وستنتهي مسيرتي، وسيظل التاريخ الأدبي يصورني على أنني الحقيرة التي سرقت عمل أثينا ليو. سينشئون صفحة ويكيبيديا عني. سيكتبون مقالات لا حصر لها عني. لن يتمكن أحد من ذكر اسمي بين المحترفين في الصناعة دون السخرية والضحك المحرج. سأصبح مجرد ميم. ولن تُنشر أي كلمة أكتبها مرة أخرى.

لماذا نشرت *الجبهة الأخيرة*؟ أردت أن أضرب نفسي السابقة لأنها كانت لشدة غبائها. ظننت أنني أفعل شيئًا جيدًا ونبيلًا بأن أجلب عمل أثينا إلى العالم بالطريقة التي يستحقها. لكن كيف تخيلت أن كل هذا لن يعود ليؤذيني في النهاية؟

كنت مستقرة للغاية حتى الآن. لقد قمت بعمل جيد في إدارة قلقي، والتركيز على *الحاضر* بدلًا من كل المخاوف وعدم الأمان الذي اجتاحني، وفي حصر رعب المكان والطريقة التي حصلت بها على تلك المخطوطة الأصلية، وفي *المضي قدمًا*

وتخطي الأمر. وها قد عاد كل ذلك فجأة: ذكرى يد أثينا وهي تطير إلى حلقها، وجهها الذي أصبح مزرقًا، وقدميها وهما تدقّان الأرض.

يا إلهي، ماذا *فعلت*؟

ظل هاتفي يضيء باللون الأزرق مع إشعارات جديدة وهو مقلوب على سريري. بدت كصافرات الإنذار.

انفجرت في نحيب عالٍ وقبيح، ومتهيج مثل بكاء طفل. أفزعني صوتي المرتفع؛ كنت أخشى أن يسمعني جيراني؛ لذا دفنت وجهي في وسادتي. وهكذا بقيت مكتومة ومذعورة لعدة ساعات.

حل الغروب، وأصبحت الغرفة مظلمة. في مرحلة ما، هدأ انفعالي، وتباطأ نبضي، وأصبح حلقي خشنًا من البكاء، ولم يتبقّ لديَّ دموع أخرى أذرفها. بدأت نوبة الهلع في التراجع، ربما لأنني أصبحت مشغولة جدًا بأسوأ التصورات، ما جعلها لا تخيفني.

أصبح انكماشي الاجتماعي والمهني الآن مفهومًا مألوفًا، ومن ضروب المفارقة أن هذا كان يعني أنني أستطيع التفكير مجددًا.

مددت يدي إلى هاتفي، وعندما رحت أتصفح تويتر، أدركت أن الوضع لم يكن سيئًا كما بدا في البداية. لا يمكن أن يكون الشخص وراء حساب @شبح__أثينا__ليو يعرف ما حدث حقًا. كان مصيبًا في الفكرة الرئيسية، لكنه أخطأ في جميع التفاصيل الأخرى. لم أزر شقة أثينا سوى تلك المرة الأولى والأخيرة، كما التقيت بأثينا في الجامعة، وليس في واشنطن. ولم أعقد صداقة معها كي أسرق *الجبهة الأخيرة*. وحتى ليلة وفاة أثينا، لم أكن أعرف بوجود تلك المسودة.

مهما كان هذا الشخص، فقد قام بتخمين موفق جدًا للحقيقة. لكنه اختلق الباقي. وهذا يشير إلى أنه لا يمتلك، في الواقع، أي دليل ملموس.

لو كان ما لديه هو مجرد شكوك، لوجدت طريقة لإبراء ساحتي. ربما توجد طريقة لطرد هذا الشبح.

ظل ذهني ينجرف باستمرار إلى دلالات اسم الحساب على تويتر - "شبح أثينا ليو" - وإلى ذاكرة وجه أثينا في صفحة *لبوليتكس آند* بروز، بعينيها اللامعتين

، وشفتيها الملتويتين بابتسامة متعالية. نفضت ذلك عن ذهني، إذ كان مكمنًا للجنون. كانت أثينا ميتة بحق الجحيم. لقد رأيتها تموت. وهذه مشكلة للأحياء.

لم أرد أن يعرف بريت عن هذا من تويتر؛ لذا أرسلت له بريدًا إلكترونيًا سريعًا:
هناك شيء غريب يحدث. هل لديك لحظة لنتحدث على الهاتف؟

لا بد أنه قد شاهد التغريدات، إذ اتصل بي بعد أقل من خمس دقائق، رغم أن الساعة كانت قد اقتربت من التاسعة مساءً. رددت على المكالمة وأنا أرتجف.
"مرحبًا، بريت".

"مرحبًا، جوني، ماذا يحدث؟". بدا صوته خاليًا من التعبيرات، رغم أنني أظن أن صوتي عكس كل شيء.

تنحنحت: "لعلك قد رأيت التغريدات؟".

"إذا كان بإمكانك التوضيح ... "

"التغريدات التي تقول إنني سرقت *الجبهة الأخيرة* من أثينا ليو".

"حسنًا". حل صمت طويل. "إذًا، نعم. هذا غير صحيح، أليس كذلك؟".

ارتفع صوتي فجأة: "لا!! لا، بالطبع لا. لا أعرف مَن وراء هذا، ولا أعرف كيف بدأ كل هذا..."

"حسنًا، إذا لم يكن ذلك صحيحًا، فلا تُحدثي كل هذا الضجيج". لم يبد أن بريت كان غاضبًا كما يجب أن يكون. كنت أظن أنني سأجده غاضبًا، لكنه بدا منزعجًا فحسب. قال: "إنه مجرد شخص مستفز؛ *سينتهي* الأمر قريبًا".

أصررت: "لا، لن *ينتهي* الأمر. سيشاهدها جميع أنواع الناس. سيشكلون بعض الآراء..."

"فليكن لديهم آراء. لن تسحب إيدن الكتاب من الرفوف بناءً على بعض الشائعات على الإنترنت. ومعظم المستهلكين ليسوا ملتصقين بتويتر - ثقي بي، جزء صغير جدًا من صناعة النشر يرتبط بمن قد يكترث".

أصدرت صوت تذمر مقزز: "لكن، ما زالت سمعتي- مع ذلك الجزء الذي سيهتم- *مهمّة*".

قال بهدوء: "لا غبار على سمعتك، فكل هذه مجرد ادعاءات، أليس كذلك؟ لا أساس لها، أليس كذلك؟ لا تصدري ردًا. لا تتورطي. إذا كانوا لا يملكون دليلًا فإنهم لا يستطيعون فعل شيء، وقريبًا سيرى الناس ذلك على أنه عملية تشويه خبيثة".

بدا صوته واثقًا جدًا، وغير مكترث تمامًا، ما جعلني أشعر ببعض الارتياح. ربما يكون محقًا. ربما سيتم تفسير هذا على أنه تنمر؛ فرواد منصة تويتر دائمو التنمر. ربما سيكون هذا كله دعاية جيدة لي في النهاية.

واصل بريت التحدث لفترة أطول مستشهدًا بأمثلة لكتّاب مشهورين كانوا ضحايا حملات كراهية عبر الإنترنت. " لا يؤذي هذا المبيعات يا جوني على الإطلاق. دعي المتصيدين يقولوا ما يريدون. ستكونين بخير".

أومأت برأسي وكبحت ما أردت قوله. كان بريت على حق، فلا فائدة من تصعيد الأمور؛ لأن أي رد سيمنح الادعاءات شرعية، فقلت: "حسنًا".

بدا أن بريت أنهى حديثه وأصبح جاهزًا لإنهاء هذه المكالمة. "حسنًا؟ جيد. لا تشغلي بالك كثيرًا، اتفقنا؟".

"انتظر لحظة..." خطرت لي الفكرة للتو. "هل من جديد بشأن *جرينهاوس*؟ هل اتصل بك أحدهم؟".

"همم؟ أوه، لا. لكن لم يمضِ سوى أسبوع، ربما يستريحون بعد رحلتهم. دعيهم كي يأخذوا وقتهم".

راودني شيء من القلق، لكنني قلت في نفسي إنني أفكر بسخافة. ليس من الضروري أن تكون هاتان الحالتان مرتبطتين. ليس جاستن وهارفي بالضرورة ملتصقين بتويتر، يتابعان آخر شائعات الكتب. بالتأكيد لديهما أشياء أهم للقيام بها. قلت: "حسنًا".

"اهدئي فحسب، يا جوني. ستجنين بعض الكارهين. هذا جزء من اللعبة. إذا لم يكن هذا صحيحًا، فلا داعي للقلق". توقف بريت لحظة. "أعني، هذا *لم* يحدث في الحقيقة، أليس كذلك؟".

"لا! يا إلهي. بالطبع لا".

" احظريهم إذًا وتجاهليهم". ثم استطرد بنبرة ساخرة: "أو الأفضل من ذلك، احظري تويتر كليًا. أنتم الكتاب تلتصقون بالإنترنت أكثر من اللازم في البداية. سيمر هذا. هذه الأمور دائمًا ما تمر".

كان بريت مخطئًا. لم يكن هذا الأمر ليمر مرور الكرام، إذ تشبه الفضائح على تويتر كرات الثلج. كلما شاهدها المزيد من الناس، زاد عدد من يشعرون بضرورة التدخل بآرائهم وأجنداتهم الخاصة، ما يؤدي إلى انفجار من النقاشات المتفرعة عن المحادثة الأصلية. وبمجرد تجاوز حد معين من الانتشار، يبدأ الجميع في المجال بالحديث عنها. وبغض النظر عمن يكون حساب @شبح__أثينا__ليو، فقد حصل الآن على ما يقارب الألف متابع. لقد تجاوز هذا الحد بالفعل.

فضيحة أثينا - جوني، كما صار يُشار إليها الآن، أصبحت حديث الساعة، وكان هذا يختلف تمامًا عن النقاش المتعلق بليلي وو والذي شمل بصعوبة عشرات الأشخاص. هذه المرة، صار الأمر خطيرًا، ولم يعد الصمت خيارًا. أصبح الجميع مضطرين لتحديد موقفهم، وإلا تعرضوا للاتهام بالتواطؤ. (كم هو محبط رؤية العديد من الحلفاء المفترضين وهم يلزمون الصمت الآن بعد أن تورطت صديقتهم، وسط حسابات مجهولة الهوية تغرد بسعادة وهي تزيد الفوضى). حاول الكثير من الكُتّاب البارزين الوقوف على الحياد محاولين حماية أنفسهم مع ترسيخ ولاءاتهم في الوقت نفسه.

كتب أحد المؤلفين: "السرقة الأدبية أمر فظيع، إذا كانت هايوارد قد قامت فعلًا بسرقة أدبية - ولم نعرف بعد إذا كانت فعلت ذلك - فإنها تدين بعائداتها لعائلة أثينا ليو".

كتب آخر: "هذا أمر مروع إن كان صحيحًا، لكن حتى نحصل على دليل قاطع، أتحفظ على الانضمام إلى هذه الجوقة من الغوغاء".

ثم احتدم النقاش حول ما إذا كان من المناسب استخدام عبارة "جوقة الغوغاء" عند الحديث عن امرأة من ذوات البشرة البيضاء، وانتهى الأمر بعشرات الأشخاص يتهمون الكاتب المذكور بالعنصرية. وتم إقفال حساب هذا الكاتب خلال ساعات.

أما الحسابات التي تعود لشخصيات غير بارزة ولا تملك شيئًا لتخسره ولكن لديها ما تكسبه من خلال الهجوم عليَّ، فكانت الأكثر شراسة.

كتب مستخدم يدعى رييل: "كانت تكتب باسم جوني هايوارد، لكنها نشرت كتابها عن الصين باسم جوني سونج. شيء معيب، أليس كذلك؟".

ثم كتب: "المعنى الحرفي للوجه الأصفر (لا أعتقد أنهم يعرفون معنى كلمة "حرفي")."

صاح آخر: "يا له من أمر مؤسف للغاية".

وكان هناك سؤال دائم: "هل ستتوقف ذوات البشرة البيضاء عن إخضاع الأمور إلى إرادتهن؟".

نشر آخر صورة لي تم سحبها من حسابي على إنستجرام جنبًا إلى جنب مع صورة لسكارليت جوهانسون، مع تعليق: "تريد الشركة منك إيجاد الفروق بين هاتين الصورتين، هاها".

تضمنت الردود كل الملاحظات اللئيمة عن مظهري التي يمكن أن تتخيلها:

يا إلهي، لماذا تتشابه ذوات البشرة البيضاء كلهن؟

حسنًا، فيما عدا أننا نتقبل سكارليت جوهانسن، هاها؟

هل تحدق؛ لأنها تريد أن تتخذ طابعًا آسيويًا أم لعدم اعتيادها التعرض للشمس؟

كان ينبغي لي أن أتوقف عن القراءة بمجرد أن لمحت ما ظننت أنه قاع حفرة غباء الإنترنت. لكن قراءة النقاشات عني بدا مثل العبث في سن مكسورة. شعرت بأنني مجبرة على الاستمرار في الحفر، فقط لأرى إلى أي مدى يصل الأمر.

بحث على تويتر، وريديت، ويوتيوب. لقد نشر بالفعل ثلاثة من مدوني الكتب مقاطع فيديو بعناوين مثل: "افتضاح أمر جونيبير "سونج"!"، وعلى جوجل نيوز وحتى تيك توك (نعم، فقد وصل الأمر إلى جيل الأطفال على تيك توك) قبل أن تنقضي ساعة. أصبح الأمر مرهقًا. أصبحت لا أستطيع التركيز على أي شيء آخر، بل لم يعد باستطاعتي حتى مغادرة شقتي؛ كل فعلته هو الاستلقاء متكورة في سريري، أتصفح بالتناوب على حاسوبي المحمول أو هاتفي، أقرأ وأعيد قراءة التحديثات نفسها عبر المواقع الخمسة نفسها.

أصبح الناس يختلقون شائعات سخيفة عني. قال شخص ما إن مراجعتي السابقة على جود ريدز عنصرية. (كل ما فعلته هو أنني كتبت مرة أنني لم أتمكن

من التعلق برواية حب كاتب هندي، لأن جميع الشخصيات كانت غير محبوبة ومهووسة جدًا بمسئولياتها العائلية إلى درجة لا تصدق.) وقال شخص آخر إنني أتعمد مضايقة مَن ينتقدون عملي. (نشرت تغريدة لاذعة عن مراجعة غبية لرواية *فوق شجرة الجميز* مرة واحدة، وكان ذلك قبل ثلاث سنوات!) وادعت فتاة ما أنني تحرشّت بها في مؤتمر عندما "أثنيت على بشرتها بطريقة عنصرية للغاية". (كل ما قلته هو أن رداءها الأحمر أظهر الطبقة الصفراء في بشرتها بشكل جميل. يا إلهي! كنت فقط أحاول أن أتعامل بكياسة فحسب. بل إن فستانها لم يعجبني كثيرًا.) ومع ذلك، قام رواد تويتر بتحويل ذلك إلى سرد عن هوسي تجاه الأشخاص الآسيويين، والذي أثبت من خلال إعادة تغريداتي الأخيرة عن بي تي إس، وحقيقة لعبي بعض ألعاب الفيديو اليابانية مرة وكتابتي عن مدى جاذبية شخصياتها، ما يعني أنني بالطبع أعاني هوسًا منحرفًا بالأشخاص الآسيويين الضعفاء والخاضعين. (مع أنني لم أكن أحب بي تي إس بتلك الدرجة، وكانت الشخصيات في ألعاب الفيديو المعنية مصممة على طراز أوروبي، فما الأمر؟)

كتب حساب مجهول على تمبلر، والذي وجدته بالنقر على "المراجع" في تقرير على ريديت: **كل علامات التحذير موجودة في النص نفسه. راجعوا صفحة 317 حيث تصف عين إيه جينج اللوزية وبشرته الناعمة. عين لوزية؟ حقًا؟؟ مثلما تخيلت النساء ذوات البشرة البيضاء الرجال الآسيويين لعقود.** (لكنني لم أكتب ذلك الوصف! كانت أثينا هي من *كتبته!*).

أعلن شخص قام بمقارنة نصية بين *الجبهة الأخيرة* وأعمال أثينا الأخرى باستخدام برمجة تحليل النصوص عبر بايثون أن هناك "تكرارًا مذهلًا في تداخل الكلمات الرئيسية في كلا النصين". لكن الكلمات المعنية كانت مثل "قال"، "قاتل"، "هو"، "هي"، و"هم". بناءً على هذا المعيار، أليس من الممكن أن يُقال إنني سرقت من همنجواي؟

أصبح مَن يكرهونني يفتشون في كل بيان علني قد أدليت به حول *الجبهة الأخيرة* لاختيار ما يمكنهم استخدامه كدليل إضافي على فظاعتي. لقد قرروا أنه من غير المناسب أن نصف القصص التي تدور حول الأشخاص الصينيين بالرومانسية"، أو "الغرابة"، أو "الإمتاع". كما قرروا أن وصفي هذا الكتاب كدراما يقلل من قدرته على نقد الرأسمالية العرقية. قلت ذات مرة: "أعترض على وصف

العمال كخدم تعاقديين. لقد تطوعت الحكومة الصينية بإرسال هؤلاء الجنود إلى الحرب العالمية الأولى في محاولة للحصول على قوة ناعمة مع الدول الغربية. خرج العمال بإرادتهم الحرة". (يعد هذا المنظور "جاهلًا بضغوط الهيمنة الغربية" و"غافلًا تمامًا عن قهر الرأسمالية العالمية"). كتبت أديل سباركس - ساتو: "كان معظم هؤلاء الرجال أميين، وجُنِّدوا على وعد بتقاضي برواتب أعلى، هذا صحيح، لكن، لم يكن لدى العديد منهم فكرة عما ينتظرهم في أوروبا. إن وصف هايوارد/ سونج لوظائفهم على أنها حرة ومن دون إكراه يعكس، في أحسن الأحوال، قصورًا علميًا، وفي أسوأ الأحوال، يعد تجاهلًا خبيثًا لظروف الطبقات العاملة في الجنوب العالمي".

أطلقوا على *الجبهة الأخيرة* "قصة منقذ ذي بشرة بيضاء". لم يرق لهم إبرازي شجاعة وبسالة الجنود ذوي البشرة البيضاء والبعثات التثقيفية؛ واعتقدوا أن هذا يركز على تجربة ذوي البشرة البيضاء فقط. (لكن هؤلاء الرجال كانوا موجودين. كان أحد أعضاء البعثات الدينية، روبرت هيدن، قد غرق وهو يحاول إنقاذ رجل صيني عندما تعرضت السفينة البخارية *أثوس* لهجوم من غواصات ألمانية. ألم تكن وفاته ذات أهمية أيضًا؟)

وكانوا يصفونني بالعنصرية؛ لأنني قلت إن العمال تم تجنيدهم من الشمال؛ لأن البريطانيين اعتقدوا أن الجنوبيين من المناخات الأكثر دفئًا سيكونون غير مناسبين للأعمال اليدوية. لكن لم يكن هذا *رأيي*، بل رأي ضباط الجيش البريطاني. لماذا لا يستطيعون التفريق بين الأمرين؟ ماذا حدث لمهارات القراءة النقدية؟ أيضًا، هل يُعتبر عنصريًا القول إن الناس من الشمال أنسب للمناخات الباردة إذا كان ذلك صحيحًا؟

أردت أن أقدم ردًا مفصلًا على كل نقطة. لقد انتقيت الخيارات الإبداعية التي اتخذتها لأنني أردت توسيع نطاق التجارب الإنسانية في القصة، لا الالتزام من كثب بالقوالب النمطية، سواء أكانت إيجابية أم سلبية. كما تضمنت النصوص في الرواية أوصافًا للعنصرية لا لأنني أتفق معها، ولكن لأنني أردت أن أظل وفية للسجل التاريخي.

لكنني كنت أعرف أنه لن يهم. لقد اتفقوا بالفعل على روايتهم عني وصاروا يجمعون "الحقائق" لدعمها فحسب، فهم لا يعرفونني، *ولن* يعرفوني، إذ لم يلتقوا

بي أبدًا. لقد أخذوا معلومات متشظية عني مبعثرة عبر الإنترنت وجمعوها لتكوين صورة تتناسب مع صورتهم الخيالية للشرير، لكنها لا تتوافق بالطبع مع الواقع.

لم أكن مفتونة بالعرق الآسيوي، ولم أكن من أولئك الغرباء الذين يكتبون حصريًا عن الفلكلور الياباني ويرتدون الكيمونو وينطقون كل كلمة مُعارة من اللغات الآسيوية بلكنة مصطنعة ومتعمدة. *ماتشا*. *أوتاكو*. لم أكن مهووسة بسرقة الثقافة الآسيوية - أعني، قبل *الجبهة الأخيرة*، لم يكن لديَّ أي اهتمام بتاريخ الصين الحديث على الإطلاق.

لكن تمثل أسوأ الأمور في أنني أصبحت أحيانًا أشك في فهمي لنفسي. صرت أحيانًا أتساءل ما إذا كنت *ذات* النسخة المشوهة من الواقع، إذا كنت حقًا مختلة اجتماعية ومهتمة على نحو شاذ بالنسوة الآسيويات، وما إذا كانت أثينا بالفعل تشعر بالخوف مني طوال صداقتنا، وإذا كانت وجودي في شقتها في تلك الليلة أكثر شرًا مما كنت أظن. لكنني كنت دائمًا ما أوقف تلك المخاوف المتسللة في مهدها. توقفت عن ترك أفكاري تتسارع، تمامًا كما علمتني الدكتورة جايلي. الإنترنت هو الذي يفسد كل شيء، وليس أنا. كانت هذه الفئة من النشطاء في مجال العدالة الاجتماعية؛ هؤلاء "الحلفاء" من ذوي البشرة البيضاء الذين يسعون وراء الشهرة، وكذلك النشطاء الآسيويون الذين يبحثون عن الانتباه هم من يثيرون الفوضى. لم أكن الشخص السيئ هنا، بل الضحية.

على الأقل، دافع بعض الناس عني. وكان معظمهم من ذوي البشرة البيضاء، لكن هذا لا يعني بالضرورة أننا على خطأ.

نشر بريت البيان التالي: "ما قُدم مؤخرًا من ادعاءات ضد موكلتي جونيبير سونج لا أساس لها من الصحة وتهدف إلى الإضرار بها. ولم تكن الهجمات على الإنترنت سوى تشويه لشخصيتها". ثم تحدث قليلًا عن موهبتي الأدبية التي لا يمكن التشكيك فيها، وعن مدى اجتهادي في العمل على حرفتي منذ أن وقع معي قبل أربع سنوات، ثم أنهى بالقول: "أنا ووكالة لامبرت نؤيد جونيبير سونج بكل قوة".

التزم فريق عملي في إيدن الصمت، ما أزعجني قليلًا. لكن نظرًا للعدد الكبير من الحسابات التي أشارت إلى حساب إيدن لتحثه على إلغاء عقدي، فإن عدم

اهتمام إيدن كان يعتبر تأكيدًا ضمنيًا لدعمهم ما يقال. أرسلت دانييلا لنا بريدًا إلكترونيًا قلقًا عندما انتشرت الادعاءات لأول مرة، ولكن عندما طمأنها بريت بأنه لا صحة لهذه الاتهامات، نصحتنا بعدم لفت الانتباه. لم نرغب في منح مصداقية لهذه الادعاءات بالرد عليها. لقد وجد فريقنا في الماضي أن التفاعل مع المتصيدين يزيدهم تماديًا.

غردت شخصية على الإنترنت مشهورة بآرائها المعقولة والمتوازنة في مواقف غير معقولة: "هذه اتهامات غير معقولة دون دليل قوي، إذ تضع أرزاق الناس على المحك. أنا قلق من نهم هذا المجتمع في التلذذ بمعاناة الآخرين. يجب علينا جميعًا أن نتصرف بشكل أفضل".

بدأ مدون ثقافة شعبية ذو نزعة محافظة ولديه سبعون ألف متابع حملة كراهية ضد أديل سباركس-ساتو. صرخ: "أديل شخصية مجنونة تنزع للانتقام من الرواية الأكثر نجاحًا. خبر عاجل: الغيرة تبدو قبيحة عليكِ يا أديل". (كانت رؤية هذا ممتعة، لكن لتوضيح الأمر، لا أؤيد مثل هذه الأفعال. أعتقد أنه من الجيد أن يتحدث أحد دفاعًا عنك، لكن في عالم مثالي، لن يكون هؤلاء هم من يعلقون باستمرار في قنوات التليفزيون الرسمية.)

كانت فتيات إيدن الرائعات تؤازرنني بقوة.

من جين: عادةً لا أتفق مع أمثاله من المستبدين، لكنّه على حق بشأن أديل سباركس-ساتو، هاها.

مارني: حسنًا، لا تحتاجين لتكوني مستبدة لتعرفي ذلك.

جين: هل أنتِ بخير؟ هل تتحملين الأمور؟

مارني: هذا أمر مروع. يؤسفني ما تمرين به. أخبريني إذا كان هناك أي شيء يمكننا فعله. أنتِ شجاعة جدًا.

جين: هذا يمثل حسد المجتمع للمتفوقين. إنهم يكرهون رؤية النساء الشابات ينجحن. هذا كل ما في الأمر. أتعرض لمثل هذه الأمور طوال الوقت من المديرين التنفيذيين الذكور. لا يستطيعون تحمُّلنا.

مارني: يهاجمونك من أجل الشهرة والاهتمام وهم يعلمون ذلك. لا يتعلق الأمر بكِ، بل بهم.

جين: لا تصارعي الخنازير، كما يقولون!! تجاهليهم يا جوني. تجاهلي الكارهين. تَفَوَّقي!!

ليت هذا بإمكاني! لم أستطع أن أبتعد عن أجهزتي. كلما أغمضت عيني، كنت أرى تلك الشاشة الزرقاء الفاتحة. لم أنفك أتخيل الإعجابات وهي تتراكم على سلسلة تغريدات أخرى تهدمني.

حاولت حذف التطبيقات وإلغاء متابعة الحسابات غير المرغوب فيها. أصر الجميع على أن أفعل ذلك، كما لو أن تجاهل تويتر سيحل كل مشاكلي. واصلت جين تذكيري بأن المتصيدين يتغذون على انتباهي!. لن يؤذيكِ محتوى الإنترنت ما لم تنظري إليه. لكن الأمر لم يبدُ وكأنه تطهير، بل بدا كأنني أدفن رأسي في الرمال فيما كان كل شيء من حولي ينهار. لم أستطع تجاهل الضرر. كان يجب أن أتعقب التفاصيل الدقيقة للحدث السلبي المحتمل كي أصبح مستعدة عاطفيًا ونفسيًا، مهما بلغ بي الألم.

حاولت أن أتمشى، لأغمر نفسي في تفاصيل أخرى، مثل تغريد الطيور، وضوء الشمس المتناثر، والبقع الرطبة التي خلفها المطر على الأسفلت، لكن العالم الخارجي بدا باهتًا وغير واقعي كبيئة لعبة فيديو لا تزال تحت التحميل. كنت أحيانًا أتمكن من نسيان كل شيء للحظة، لكن بعد ذلك، كان تركيزي ينزلق وأفكر في هاتفي القابع على سريري وهو يهتز بالمزيد من الإشعارات. تسارعت أنفاسي، ودار رأسي، وعلمت أنني على وشك الإصابة بنوبة قلق؛ لذا عدت إلى شقتي وتكورت على سريري وأخرجت هاتفي من جديد لساعة أخرى من التمرير المميت، إذ كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يهدئ الأمور. يا للمفارقة!

لم أستطع أن آكل. *أردت* أن آكل - بل *كنت* أتضور جوعًا طوال الوقت، ولا أنفك أطلب وجبات ضخمة، وساخنة، ودهنية من البيتزا أو أطباق المكرونة عبر التوصيل، لكن في اللحظة التي أبدأ فيها بالمضغ، تبدأ أفكاري بالدوران مجددًا حول انهياري المهني الوشيك، ثم لا أستطيع أن أتناول قضمة أخرى دون أن أتقيأ.

لم أستطع النوم. كنت أقضي ليالي مستيقظة حتى تشرق الشمس وأنا أحدث باستمرار تحديثات التغريدات والحسابات لأرى من أعاد نشر أو رد على ماذا، وأتخيل ردودًا وهمية في رأسي، ثم أختلق ردودًا وهمية على ردود الفعل المعاكسة لتلك الردود!

تمنيت لو كانت لديَّ استراتيجية للخروج. تمنيت لو كان هناك اعتذار سحري أو دفاع يمكنني تقديمه، كي يتوقف كل شيء. لكنني كنت أعلم أنه لا فائدة من الانغماس في الفوضى. فأي شيء أكتبه سيصبح دليلًا إضافيًا يستطيع الناس استخدامه ضدي. وكيف سيبدو عليه الانتصار على الإنترنت؟ لا توجد طريقة لمحو تلك الفضيحة، وجعل الإنترنت ينساني. لقد وُصمت إلى الأبد. في كل مرة يبحث فيها شخص عن اسمي على جوجل، أو يذكرني في مؤتمر أدبي، ستلوث العلاقة بهذا الجدل حول السرقة الأدبية الجو كما لو أن رائحة كريهة قد ملأت الهواء!

كنت أعرف بعض الكُتاب الذين تمكنوا من التنقل من فضيحة إلى أخرى، في حين بقيت سمعتهم سليمة تمامًا. وكان معظمهم من ذوي البشرة البيضاء، ومن الرجال. كان إسحاق أسيموف وهارلان أليسون متحرشين! أما ديفيد فوستر والاس فكان يسيء التعامل مع ماري كار، ويضايقها ويتعقبها. ومع ذلك لا يزال الناس يحتفون بهم كعباقرة.

كنت أحيانًا أفكر بحزن أن هذه مجرد مرحلة يجب عليَّ أن أتجاوزها. يبدو أن التعرض للانتقاد على الإنترنت هو طقس عبور يجب على كل كاتب بارز أن يخضع له الآن. العام الماضي، حثت مؤلفة متخصصة في أدب الشباب معجبيها على ترك تقييمات من نجمة واحدة على أولى روايات كاتبة أخرى (وبعدها تبين أن الكاتبة الأخرى سرقت خطيبها). على أية حال، وقَّعت الكاتبتان عقودًا جديدة مع ناشرين مقابل أرقام ضخمة مكونة من ستة أرقام لثلاثياتهم القادمة. وتورطت مارني كيمبال، الكاتبة المفضلة لدى دانييلا، في مشكلة مرة تلو الأخرى، دائمًا بسبب تغريدات حادة وغير قابلة للدفاع عنها، مثل: **الكلاسيكيات أفضل بالتأكيد. وإذا كنت لا تفهمها، فهذا يعني أنك لا تعرف كيف تقرأ.** آسفة. كانت مبيعاتها على ما يرام. ربما تكون دانييلا محقة. لعل الصمت أفضل رد.

فحتى أثينا مرت بفترة من الهجوم الإلكتروني، على الرغم من أنها لم تكن قد ارتكبت أي خطأ. قبل عامين، كانت قد كتبت تغريدة عن تزايد الجرائم العنصرية

ضد الأمريكيين الآسيويين، وكانت تبدو غير مثيرة للجدل. كانت تغريدة مشحونة بالعواطف حول الوضع الراهن. قالت: **لم أشعر قط بهذا القدر من القلق بشأن وجودي في هذا الجسد، ولم أشعر قط بأن هذا البلد ليس بلدي.** بدت مبتذلة ومغرورة قليلًا، ولكن لا بأس؛ كانت قضية قريبة إلى قلبها، ولا يستطيع المرء أن يكره شخصًا يخاف من التعرض للهجوم في الشارع.

ولكن بعد ذلك، سألها حساب مجهول يحمل في سيرته الذاتية رمز العلم الصيني: **إذا كنتِ تهتمين بالآسيويين لهذا الحد، لماذا أنتِ مخطوبة لرجل من ذوي البشرة البيضاء؟**

لا أعرف لماذا ردت أثينا. لا يمكن للمرء أن يقنع متصيدًا عنصريًا بالاستسلام. لكنها ربما كانت تشعر برغبة في الدفاع عن نفسها، أو كانت مستعدة للقتال، لأنها قامت بإعادة تغريد الرد وقالت: **ليس لخطيبي علاقة بمواقفي السياسية. هل من المقبول أن تكرهوا التزاوج بين الأعراق؟ هل تسير الأمور هكذا في القرن الواحد والعشرين؟**

ثم فتحت أبواب الجحيم على مصراعيها. غمرت الرسائل الحاقدة ردودها ورسائلها الخاصة. أظهرت لي بعضًا منها عندما التقينا في المقهى في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، وكانت بغيضة بشكل لا يصدق:

اخرسي واستمتعي بالحياة مع خطيبك ذي البشرة البيضاء!

الأزواج من هذا النوع غير طبيعيين. هذا هو ما يؤدي إلى حالات العنف الجماعي. هل تريدينني أن آتي وأطلق عليكِ النار مثل السفاح إليوت رودجر؟

لن يحبك ذوو البشرة البيضاء أبدًا، توقفي عن المحاولة يا عزيزتي.

ليس من حقك التحدث باسم الآسيويين. فقدتِ هذا الحق عندما سمحتِ لرجل من ذوي البشرة البيضاء أن يخطبك.

بحلول الوقت الذي جعلت فيه حسابها خاصًا، كان ناشطو حقوق الرجال الآسيويين (إيه إم أر إيه إس) قد عثروا بالفعل على حسابها ككاتبة وعنوان بريدها

الإلكتروني. بدأت تتلقى تهديدات بالقتل. بدأت لقطات الشاشة من تلك المواجهة الأولى على تويتر تنتشر على ريديت، وحصلت التغريدات الرئيسية في النهاية على أكثر من ألف منشور، تمثل العديد منها في صور لأثينا وخطيبها آنذاك، جيف، مأخوذة من حساباتهم على إنستجرام، مع تعليقات مثل خائنة للعرق وبعض الآسيويات ليس لديهن ولاء لعرقهن، بل يردن الزواج برجلٍ أبيض البشرة، وكسب المال، وإنجاب طفل أبيض البشرة. لكن، ذات يوم، سيستيقظن ويتعلمن أن تفوق ذوي البشرة البيضاء لن ينقذهم. ادعوا أن تفيق هذه الفتاة قبل فوات الأوان.

اخترق أحدهم موقعها الشخصي، حتى إنه عندما نقرت على الصفحة الرئيسية، وجدت كاريكاتيرًا لامرأة آسيوية ذات عينين ضيقتين، تنحني أمام مجموعة من الرجال ذوي البشرة البيضاء المثيرين للاشمئزاز.

كنت قد كتبت لها: **أنا هنا لمؤازرتكِ**؛ لأن ذلك بدا كأفضل شيء يمكن قوله. يا لوقاحة هؤلاء الناس!

أجابت: **شكرًا**، ثم أضافت: **أعتقد أنني سأكون بخير. إنه أمر مرعب فعلًا. لا أشعر بالأمان في منزلي.**

وقتها، ظننت أنها تبالغ. كانت أثينا جيدة في المبالغة، إذ كانت تُبرز خوفها للحصول على تعاطف، كما كانت تبالغ في إظهار ضعفها لجذب الانتباه في المؤتمرات دائمًا. على أية حال، الإنترنت هو الإنترنت. هل حقًّا كان أحد حثالة ريديت، والذي ربما يعيش في قبو والدته، سيقود مئات الكيلومترات إلى واشنطن ليقتحم شقتها؟ في ذلك الوقت، كان لديَّ هذا التفكير القبيح: لماذا لا تبتعد عن الإنترنت لبعض الوقت وتركز على كونها غنية وجميلة وناجحة؟

لكن الآن أصبحت أعرف تمامًا ما كانت تعنيه أثينا. لا يستطيع المرء الابتعاد عن الإنترنت، ويفقد كل إحساسه بالأمان؛ لأنه في كل لحظة - أثناء نومه، وهو مستيقظ، وعندما يضع هاتفه جانبًا لدقائق قليلة كي يستحم، سيكون هناك العشرات، وربما المئات، وربما *الآلاف* من الغرباء هناك، ينقبون في معلوماته الشخصية، ويحاولون اختراق حياته، ويبحثون عن طرق للسخرية منه أو إذلاله، أو الأسوأ، تهديده. وقتها يندم على كل شيء شاركه عن نفسه: كل صورة، وكل دعابة، وكل تعليق على فيديو في يوتيوب، بل وكل تغريدة عابرة؛ لأن *المتصيدين* سيجدونها. لقد حذفت ما استطعت من آثار رقمية في أول أربع وعشرين ساعة، ولكنهم ظلوا

يجدون طريقهم لإيجاد ما فاتني. سخر شخص ما من مراجعتي المتحمسة لفيلم *ونـدر وومـن* منـذ 2018. قـال: **بالطبـع، هيوارد تحـب روايـات إنقـاذ المـرأة ذات البشرة البيضاء.** نشر شخص ما صورة لي في حفلة التخرج من المدرسة الثانوية: "هذا الفستان هو قصة نشأة شخصية جونيبير سونج الشريرة". نشر شخص ما معلومات عن شركة إعداد الامتحانات التي كنت أعمل بها: **أيها الآباء، إذا كنتم تستخدمون هذه الخدمة، احذروا من جونيبير سونج!** لو لم أكن قد تركت فيريتياس بالفعل بحلول ذلك الوقت، لفقدت وظيفتي!

أتذكر أن كاتبًا قد نشر من قبل: **يجب عليكم الخروج إلى الهواء الطلق، تنفسوا بعض الهواء النقي. لا يمثل تويتر الحياة الحقيقية.**

لكن للأسف كان تويتر هو الحياة الحقيقية؛ إنه أكثر حقيقية من الحياة الحقيقية، لأن ذلك هو المجال الذي توجد فيه اقتصاديات النشر الاجتماعي، إذ لا تمتلك الصناعة بديلًا. في العالم الواقعي، يتحول جميع الكتاب إلى كائنات افتراضية، بلا وجوه، يكتبون الكلمات في عزلة بعضهم عن بعض. لا يمكنك استراق النظر لما يكتبه الآخرون. لا يمكنك معرفة ما إذا كان الجميع فعلًا يعيشون حياةً رائعة كما يزعمون. ولكن على الإنترنت، يمكنك أن تتابع كل القيل والقال، حتى لو لم تكن مهتمًا بما يكفي ليكون لديك مقعد في الغرفة التي يحدث فيها كل شيء. على الإنترنت، يمكنك أن تسب ستيفن كينج. على الإنترنت، يمكنك اكتشاف أن النجم الأدبي الحالي يمثل مشكلة تستوجب إزالة أعماله إلى الأبد. تُبنى السمعة في عالم النشر وتُدمر باستمرار على الإنترنت.

تخيلت حشدًا من الأصوات الغاضبة وأصابع مشيرة، تتجمع عليَّ لتمزق قطعًا من جسدي، كما مزَّقت عروس البحر جسد أورفيوس، حتى لا يبقى سوى السؤال المثير: "هل سمعتم عن جونيبير سونج؟ ثم تزداد الشائعات قبحًا وتشويهًا؛ حتى تتحلل هويتي الافتراضية؛ ثم لا يتبقى شيء سوى البيان، سواء كان مبررًا أم لا، بأن **جونيبير سونج تم محوها.**

الفصل الثاني عشر

أصبح كل ما أريده هو أن أختبئ في شقتي إلى أجل غير مسمى، ولكن، كنت ملتزمة بأولويتين هذا الشهر، تمثلت إحداهما في زيارة إلى المكتبة مع الطلاب في واشنطن العاصمة، والأخرى في مشاركة في ندوة بمهرجان أدبي في فيرجينيا حول كتابة قصص مستوحاة من شرق آسيا. كما كنت أراسل امرأة من السفارة الفرنسية حول زيارة إلى نُصب سي إل سي التذكاري في نوييل- سور- مير الشهر المقبل، لتتزامن مع إصدار النسخة الفرنسية من رواية الجبهة الأخيرة. لكنها توقفت عن الرد على رسائلي الإلكترونية في التوقيت نفسه الذي انتشرت فيه حملة التشويه. لم يزعجني هذا، إذ لم أكن أرغب في قضاء سبع ساعات على متن طائرة وأقابل بتجاهل فرنسيين وقحين. لكن لا المكتبة ولا المهرجان الأدبي قد أرسلا لي أي تحديثات منذ انتشار الأخبار، ما كان يعني بالنسبة لي أنهم ما زالوا يريدون حضوري، أما الإلغاء فقد يُعتبر بمثابة اعتراف بالذنب.

مرت زيارة المكتبة على ما يرام. وقد اتضح أن الطلاب كانوا من الصف الثالث الابتدائي، لا من طلاب المرحلة الثانوية كما توقعت. لن يكونوا قادرين على قراءة الجبهة الأخيرة لسنوات، وبالتأكيد لم يكن لديهم أي اهتمام بالعمال الصينيين خلال الحرب العالمية الأولى. لحسن الحظ، كان هذا يعني أنهم أصغر من أن يهتموا بالضجة المُثارة على تويتر أيضًا. وعلى الرغم من عدم حماسهم

لرؤيتي، فإنهم لم يستقبلوني باشمئزاز، بل جلسوا وهم يتململون بصمت في بهو فرع الصغار من مكتبة إم إل كيه جونيور التذكارية وأنا أقرأ لهم من الفصل الأول على مدى عشرين دقيقة، ثم طرحوا بعض الأسئلة اللطيفة والبسيطة حول ما يعنيه أن تكون كاتبًا ذا مؤلفات منشورة ("هل تزورين المصانع التي تُصنع فيها الكتب؟" "هل تحصلين على ملايين الدولارات؟"). أخبرتهم ببعض الحقائق البديهية حول أهمية القراءة؛ لأنها تفتح أبوابًا لعوالم أخرى، وكيف أنهم قد يرغبون في أن يصبحوا رواة قصص يومًا ما. ثم شكرتني معلمتهم، والتقطنا صورة جماعية، وافترقنا جميعًا دون إصدار أي ضجة.

أما الجلسة النقاشية فكانت بمثابة كارثة.

لقد أثرت غضب الجميع بوصولي متأخرة، حيث أخطأت في قراءة الجدول الزمني - كانت جلستي في قاعة أوك، لا قاعة سيدار، ما اضطرني للركض عبر مركز المؤتمرات بأكمله. كانت القاعة مزدحمة تمامًا عندما وصلت، كما كان باقي أعضاء اللجنة متجمعين في الطرف البعيد من الطاولة، يتحدثون معًا واضعين أيديهم فوق الميكروفونات، ولكنهم صمتوا عندما اقتربت.

قلت وأنا ألهث وأبحث عن مقعدي، بعد أن وصلت متأخرة ما يقرب من عشر دقائق: "آسفة جدًا، هذا المكان مربك جدًا، أليس كذلك؟".

لم يرد أحد، لكن رمقني اثنان منهم بنظرة عابرة، ثم تبادلا النظرات بينهما؛ أما الأخيرة فظلت منشغلة بهاتفها. أبدوا عداءً واضحًا ومستحكمًا.

قالت آني بروش، مديرة الجلسة بمرح: "حسنًا! الآن وقد اجتمعنا جميعًا، لنبدأ. ما رأيكم أن نبدأ بالتعريف بأنفسنا وأحدث ما نشرناه؟".

بدأنا الحديث واحدًا تلو الآخر من اليسار إلى اليمين. كانت هناك ديانا كيو، شاعرة وفنانة بصرية؛ ونور ريشي، كاتبة روايات معاصرة للشباب تعمل أيضًا محامية حقوق مدنية؛ وآيلين زو، كاتبة مشهورة برواياتها التاريخية الرومانسية التي تدور في إنجلترا في العصر الفيكتوري "بعد إجراء تعديل عرقي" (على حد تعبيرها). ثم جاء دوري.

ملت نحو الميكروفون وقلت: "أهلًا، أنا جوني هايورد، وأكتب أيضًا تحت اسم جونيبير سونج. لقد ألفت الجبهة الأخيرة."

قوبل حديثي بنظرات فاترة. لكن على الأقل لم تكن هناك صيحات استهجان. وكان هذا أفضل ما أتطلع إليه.

قالت آني: "أود أن يتحدث الجميع عما ألهمهم لتأليف رواياتهم. لِمَ لا تبدئين يا جونيبير؟".

جفّ حلقي، وتهدج صوتي، واضطررت للسعال، ثم واصلت الحديث. "لقد استوحيت القصة من التاريخ، مثل آيلينج. في الواقع، لقد سمعت لأول مرة عن ال سي إل سي ..."

قاطعتني آيلين: "اسمي يُنطق "آي- لين"".

"أوه، آسفة، آي- لين". شعرت بشيء من الانزعاج. كنت أقلد نطق آني للاسم. مع ذلك لم تقاطعها آيلين.

قالت آيلين: "أعتقد فقط أنه من المهم جدًا أن ننطق الأسماء بشكل صحيح." تبع حديثها قليل من التصفيق. "كنت أخشى أن أخبر الناس بأنهم يخطئون نطق اسمي، لكنني قررت جعل ذلك جزءًا من ممارساتي. من المهم أن نتحدى هيمنة ذوات البشرة البيضاء، كل يوم، وخطوة بخطوة. من المهم أن نطالبهم باحترامنا".

دوى المزيد من التصفيق. ابتعدت عن الميكروفون وأنا في غاية الخجل. حقًا؟ *ممارسات؟*

قالت آني بسلاسة: "بالطبع. آسفة على ذلك يا آي-لين. كان يجب أن أطلب دليلًا على النطق قبل الجلسة".

قلتُ ببطء وبطريقة صحيحة، لأنني شعرت بأنه من الواجب أن أقول شيئًا: "آي-لين، كما لو كنت تقول آيلينج، ولكن في تكساس". حاولت أن أبدو مضحكة، ولكن يبدو أنهم أساءوا فهم أسلوبي بشكل كذلك؛ لأن الحضور اضطربوا بشكل واضح.

لم تقل آي- لين شيئًا. ثم ساد صمت طويل ومحرج، فسألت آني: "ممّ تستلهمين عملكِ يا نور؟".

استمررنا على هذا النحو لفترة. على الأقل، كانت آني تجيد الحفاظ على استمرارية الحديث. وراحت توجه الأسئلة لكل واحد منا بدوره، بدلًا من السماح

للمشـاركين بقيـادة النقاش، مـا أبقانـي فـي نطاقـي وجنبنـي التحـدث مباشـرة إلـى آي-لين طوال السـاعة. كان باقي المشاركين يعلقون باستمرار على إجابات بعضهم بعض ويكملونها بشكل ارتجالي، لكن لم يستجب أحد لما كنت أقوله. بدا أن الجمهور لا يهتـم بـي أيضًـا، وكأننـي كنـت أتحـدث إلى الهـواء. ولكن لا بأس. كنت بحاجة فقط إلـى اجتياز تلك السـاعة.

لا بـد أن آنـي لاحظـت أننـي كنـت أقـدم إجابـات مقتضبـة، لأنهـا التفتـت نحـوي وسـألت: "وجونيبيـر؟ هـل ترغبيـن فـي التوسـع أكثـر حـول مـا يمكـن أن يقدمـه الأدب القصصـي للمجموعـات غيـر الممثلـة بالشـكل الكافـي؟".

"إمممـم، بالتأكيـد". تنحنحـت مـرة أخـرى وقلـت: "نعـم، لـذا، إمـمم، عندمـا أفكـر في سـبب كتابتي لرواية الجبهة الأخيرة، فإنه تخطر ببالي حكاية. ففي أوائل القرن العشرين، كانت كندا شديدة العداء للمهاجرين الصينيين، ففرضت ضريبة قدرها خمسـمائة دولار على كل شـخص صينـي لدخول البلاد. عندما جُلب عمال الـ سـي إل سـي إلـى كنـدا، أُعفـوا مـن هـذه الضريبـة؛ لأنها كانت جزءًا من جهـود الحرب، ولكن كان هذا يعني أيضًا عدم السماح لهم بالنزول من القطارات أثناء رحلتهم، ووضعهم تحت حراسـة مشـددة طوال الوقت الذي قضوه في كندا".

كان الجمهور يتطلع إلـيَّ بانتبـاه حيـن كنـت أقص هـذه الحكايـة، لكـن ربمـا قـرر هـذا الجمهـور ببسـاطة أن يكرهنـي، أو لعلهـم كانـوا يشـعرون بالحـرارة، والتعـب ، والملل من خطاباتي الأخلاقية، إذ ظل النـاس يتحركون بانزعاج، وينظرون حولهم، أو يتحققـون مـن هواتفهـم. لـم ينظـر أحد إلـى وجهي.

لـم يكـن منـي سـوى الاسـتمرار. قلـت: "لقـد لبثـوا فـي تلـك العِربـات لعـدة أيـام في الحر. ولم يتمكنوا من الحصول على علاج طبي، حتى عندما أُغمي على بعضهم بسـبب الجفـاف، كمـا أنهـم لـم يتمكنـوا مـن التحـدث مـع أي شـخص في الخـارج؛ لأن الحكومـة الكنديـة فرضـت تعتيمًـا صحفيًـا كاملًا علـى وجود العمـال الصينيين، ولعل هـذا مثـال جيـد للفكـرة الرئيسـية للكتاب الممثلة في اسـتغلال العمالـة الصينيـة التي اسـتُخدمت، ثـم تـم إخفاؤهـا وتشـويهها كمـا لـو كانـت شـيئًا مخجـلًا".

فجـأة، قاطعتنـي ديانـا كيـو قائلـة: "حقًـا؟ إذًا لديـك مشـكلة مـع العمالـة الآسـيوية غيـر المعترف بهـا؟".

شعرت بصدمة كبيرة من هذا التدخل، فحدقت إليها للحظة دون رد. كانت ديانا كيو نحيلة القوام، ومن الشخصيات ذات النزعة الفنية والنظرات الحادة. كانت عيناها داكنتين، وحاجباها مشذبين بعناية، وكانت تضع أحمر شفاه صارخًا بدا كأنه جرح مفتوح في وجهها! كان مظهرها العصري الجريء يذكّرني قليلًا بأثينا، بل وجعلني هذا التشابه أرتجف.

لمحت وميضًا من طرف عيني. التقط شخص صورة. رفع العديد من الحاضرين هواتفهم. كانوا يسجلون هذا النقاش.

"ما هذا السؤال؟". كنت أعلم أنه لم ينبغي عليَّ تصعيد الأمور، لكن لساني زلف بالغضب ولم يسعني منعه، فأردفت: "أعني، من الواضح أن هذا خطأ؛ هذه هي الفكرة بأكملها..."

قالت ديانا: "وكذلك سرقة كلمات من امرأة ميتة". شهق عدد كبير من الحضور.

قالت آني بطريقة غير مؤثرة: "دعونا نبقِ النقاش ضمن الأسئلة المعدة مسبقًا. ما رأيكِ يا نور..."

رفعت ديانا صوتها قائلة: "على أحدنا أن يطرح ذلك. هناك أدلة قوية الآن على أن جوني هايوارد لم تكتب الجبهة الأخيرة. لقد رأينا جميعًا الادعاءات. يجب ألا نتجاهل ذلك. أنا آسفة، لكنني لن أجلس في هذه اللجنة وأتظاهر بأنها زميلة تستحق نيل احترامي، في حين إرث أثينا في خطر...

قالت آني بصوت أعلى هذه المرة: "من فضلك، ليس هذا مكانًا مناسبًا لهذا النقاش، ويجب أن نحترم جميع أعضاء اللجنة المدعوين".

بدا أن ديانا تريد إضافة المزيد، لكن نور لمست ذراعها، فتراجعت ديانا عن الميكروفون وعقدت يديها.

لم أقل شيئًا. لم أكن أعرف ماذا يمكنني أن أقول. لقد حكمت ديانا والجمهور بالفعل على ذنبي، ولم يكن هناك ما يُقال كي أستعيد احترامهم. لم يسعني سوى الجلوس غارقة في المهانة وقلبي ينبض بشدة.

قالت آني: "حسنًا؟ من فضلكم. هل يمكننا المتابعة؟".

قالت ديانا ببرود: "حسنًا".

تنفست آني الصعداء بوضوح، ثم تابعت بسؤال آيلين عن رأيها في بريد جيرتون.

لكن الأوان كان قد فات. لم يكن هناك سبيل لإصلاح هذا النقاش. واصلنا حتى نهاية الساعة، لكن لم يعد أحد يهتم بأسئلة آني المعدة مسبقًا. ظل الأفراد الذين لم يغادروا القاعة يكتبون بسرعة على هواتفهم. لعلهم كانوا يعيدون سرد الأحداث لمتابعيهم. تظاهرت كل من نور وآيلين بأنهما تجاريان أسئلة آني بشجاعة، كما لو أن أحدًا لا يزال مهتمًا بنظم الكتابة الصينية القديمة. أما ديانا فلم تنطق بكلمة طوال الساعة المتبقية، ولم أفعل كذلك. جلست بلا حراك قدر استطاعتي، ووجنتاي شديدتا الاحمرار، وذقني يرتعش، محاولة بأقصى جهدي منع دموعي من الانهمار. جلست متأكدة أن الحضور قد بدأوا بالفعل في إنشاء صور ساخرة باستخدام صور وجهي المصدوم في اللحظة نفسها.

عندما انتهت الجلسة، جمعت أغراضي وخرجت بسرعة قدر استطاعتي، لكن دون أن أركض. نادتني آني. لعلها كانت ستحاول تقديم اعتذار، لكنني لم أتوقف حتى تجاوزت الناصية. في تلك اللحظة، كان كل ما أردته هو الاختفاء تمامًا عن الأنظار.

مارني: يا إلهي! يا لها من وقحة!

جين: هل هي مريضة؟ أعني، هل تعاني مرضًا عقليًّا؟

مارني: أعني، لا يهم ما تعتقد أنها تعرفه. إن مواجهتك بهذا الشكل علنًا أمر منافٍ للرقي. من الواضح أنها لم تكن تبحث عن حل، بل كانت تريد جذب الانتباه فقط.

جين: صحيح. بالضبط. هذا الغضب الاستعراضي مثير للاشمئزاز. إنها محاولة واضحة لتحقيق مكاسب شخصية. ربما كانت تحاول استغلال هذا لترويج صفقات فنية.

مارني: إذا كنتِ تستطيعين تسمية ذلك فنًّا...

ضحكت وأنا مستلقية في فراشي والغطاء مسحوب حتى ذقني. قلت في نفسي: بارك الله في فتيات إيدن. في أماكن أخرى على الإنترنت، انتشر غضب ديانا بين حشود مبتهجة من كارهي جونيبير سونج، لكن في الوقت الحالي، ظللت سعيدة بمشاهدة جين ومارني تسخران من أعمال ديانا الفنية.

مارني: ربما أنا لا أفهم الفن الأدائي.

مارني: لكنها تقص شعرها في هذا الفيديو فحسب.

مارني: وحتى القَصَّة ليست جيدة.

مارني: وحَلَق أنفها قبيح كذلك.

جين: منذ متى بدأنا نسمي الانهيارات النفسية فنًّا بصريًّا؟ هههههه هذه الفتاة بحاجة إلى المساعدة.

مارني: يا إلهي، لا يجوز أن تقولي ذلك!

مارني: ههههه.

ضحكت بصوت مسموع، ثم غيّرت الشاشة مجددًا إلى موقع ديانا كيو الإلكتروني، حيث كان أحدث معارضها بعنوان "موكبانج" يُبرزها وهي تأكل بيضًا مسلوقًا تم تلوينه ليبدو كوجوه آسيوية لمدة ثلاث عشرة دقيقة متواصلة، وهي جالسة تحدق إلى الكاميرا بتعبير جامد لا يتغير.

كانت فتيات إيدن على حق. فعندما ركزت على وجه ديانا - في عينيها الغاضبتين الخاليتين من الحياة؛ وقطع صفار البيض التي تتساقط من شفتيها الرفيعتين - لم أستطع أن أصدق أنني سمحت لهذه الشخصية التافهة والحاقدة بفنها المبتذل والمبالغ فيه أن تؤثر عليَّ. إنها غيورٌ. كلهم يغارون؛ وهذا هو مصدر الحقد. وربما لعلي تعرضت لبعض الضربات، لكنني لن أسمح لأشخاص مهووسين، يسعون وراء الشهرة عبر الإنترنت مثل ديانا، بأن يدمروا مسيرتي المهنية.

الفصل الثالث عشر

في عطلة نهاية الأسبوع، استقللت المترو إلى الإسكندرية لحضور حفل شواء في الفناء الخلفي مع أختي وزوجها.

لم تكن علاقتي بروري وطيدة، لكن كان بيننا نوع من الألفة السلسة التي تتسم بها علاقة أختين لا تفهم إحداهما ما يجذب الأخرى إلى أسلوب حياتها، وقد توقفتا منذ زمن عن محاولة تغيير وجهة نظر إحداهما الأخرى. كانت روري ترى أنني أعيش غير مستقرة، تخلو من التخطيط للمستقبل، وأُضيّع شهادة مرموقة من جامعة آيفي ليج، وأنني أصبحت أكبر سنًا من أن أطارد حلم النشر الذي لا يجلب سوى الأوهام بدلًا من التركيز على مسيرة مهنية مستقرة مع مزايا وخطة تقاعد. أما أنا، فكنت أرى أن روري، التي درست المحاسبة في جامعة تكساس في أوستن وتعمل بها الآن، تعيش حياة مملة، ونمطية، ومملوءة بالتكرار، ما جعلني أفضل أن أقتلع عينيَّ بيديَّ على أن أعيش مثلها.

تزوجت روري من صديق قابلته بالجامعة يُدعى توم، وهو فني تقنية معلومات، دائمًا ما بدا لي كأنه شخص ممل ومفتقر للحيوية. لم يكن كلاهما يعرف شيئًا عن عالم النشر، إذ كانا، على حد تعبير روري: "ليسا من عشاق الكتب". كانا يستمتعان بالتجول في متاجر المطارات لشراء أحدث روايات جون جريشام ذات الغلاف الورقي، وكانت روري تستعير أحيانًا إحدى روايات جودي بيكولت من مكتبة حيهم

خلال العطلات، لكن بخلاف ذلك، لم يكن لديهما أدنى فكرة عن تقلبات عالمي ولا حتى رغبة في المعرفة. لا أعتقد أن روري تملك حتى حسابًا على تويتر.

لكن كان هذا من حسن حظي في تلك الليلة.

كان كلٌ من روري وتوم يعيشان في الضواحي النائية كي يتمكنا من تحمُّل تكاليف فناء خلفي واسع تعلوه شرفة حيث يقيمان حفلات الشواء العائلية في آخر يوم سبت من كل شهر. كان الطقس ذاك المساء مثاليًا، إذ كان حارًا ورطبًا. بيد أنه كان محملًا بالنسيم، ما جعله غير مزعج. كانت روري تعد خبز الذرة، وبدت رائحته شهية، ما جعلني أراها أول وجبة قد أتمكن من هضمها ذلك الأسبوع دون أن أتقيأها بسبب القلق.

كانا يتشاجران على الشرفة عندما وصلت. على ما يبدو، كان النقاش حول ما إذا كان من العدل أن توبخ إدارة الموارد البشرية زميلة روري في المكتب؛ لأنها قالت لزميلة لها إن شعرها بدا رائعًا في ذلك اليوم.

قال توم: " أعتقد أنه يجب عليك ألا تلمسي الناس من دون إذنهم. فهذه مسألة تتعلق بالأدب، وليست مسألة عرقية".

قالت روري: "يا إلهي! لم تكن تعتدي عليها، بل كانت مجرد مجاملة. ومن الجنون أن نسمِّي تشيلسي عنصرية ... أوه، مرحبًا يا عزيزتي".

عانقتني روري من الجانب بينما مشيت نحوهما. عادةً ما أشعر بالحرج من تصرفات روري كأخت كبرى - لطالما بدا لي أنها مبالغة إلى حدٍّ ما لتعويض المسافة التي كانت بيننا عندما كنا أصغر سنًا- لكن هذا المساء، أذعنت للمستها. قالت: "اشربي كأسًا من العصير، سأذهب لأتفقد الفرن".

قال توم مشيرًا إلى طاولة النزهة لأجلس: "كيف حالك؟"، فجلست أمامه. لقد ترك لحيته تنمو. أصبحت الآن بطول خمسة سنتيمترات تقريبًا، ما أبرز مظهره القوي والمتزن كأحد الحطابين. في كل مرة أرى فيها توم، كنت أتساءل كيف ستكون الحال لو عشت الحياة مثله برضا وقناعة.

قلت وأنا أضع زجاجة العصير على شفتي: "كالمعتاد، ربما يتحسن فيما بعد".

قال توم: "أخبرتني روري بأنك نشرتِ رواية جديدة، صحيح؟ تهانينا!".

أخذت نفسًا عميقًا آملة ألا يكونا قد بحثا عني في الإنترنت مؤخرًا. قلت: "شكرًا".

"عمَّ تدور تلك الرواية؟".

"أوه، عن الحرب العالمية الأولى. تحتوي مثلًا، على سرد لحكايات العمال على الجبهة". كنت دائمًا أشعر بالحرج عند شرح أمر فيلق العمل الصيني في الحرب العالمية الأولى للأشخاص الذين لا يعرفون شيئًا عن الرواية، إذ كان الرد الحتمي دائمًا عبارة عن مجرد تجاعيد في الأنف وعبارة محبطة مثل: *"لم أكن أعرف أن الصينيين شاركوا في الحرب العالمية الأولى"* أو *"لماذا الصينيون؟"*. تُروى على هيئة قصص أو مشاهد صغيرة متفرقة تتجمع لتشكل صورة كاملة، نوعًا ما مثل فيلم دانكيرك، إذ تُقص حكاية أوسع من خلال مزيج من العديد من القصص الصغيرة

أومأ توم، وقال: "هذا رائع، موضوع عظيم لرواية. أظن أن جميع الكتب والأفلام مهووسة بالحرب العالمية الثانية، مثل كابتن أميركا، وجميع تلك الأفلام عن المحرقة، في حين لا نجد الكثير من القصص عن الحرب العالمية الأولى".

من داخل المطبخ، صاحت روري: "فيلم *وندر وومان* عن الحرب العالمية الأولى".

قال توم: "بالطبع. لكن هذا مجرد *وندر وومان*، هذا ليس أدبًا جادًا". ثم التفت إليَّ طالبًا الدعم، وقال:"أليس كذلك؟".

قلت في نفسي: "يا إلهي! هذا هو السبب في أنني لا أتحدث مع العائلة عن النشر. سألت: "كيف حال آلي؟".

آلي هي ابنة أختي البالغة من العمر ثماني سنوات. رأيت حيوانات بلاستيكية مبعثرة في جميع أرجاء الفناء، لكن لم تأتِ الطفلة كعادتها لتنهال عليَّ بقبلات وأنفاسها تنضح برائحة الفول السوداني؛ لذا افترضت أنني أعفيت من واجبات الخالة لهذا المساء. لم أكن ضد الأطفال من حيث المبدأ، لكنني أعتقد أنني كنت سأحب آلي أكثر لو كانت من النوع الخجول المحب للكتب، فإذ ذاك كان يمكنني اصطحابها في جولات تسوق في المكتبات المستقلة بدلًا من أن تكون فتاة عادية تدمن الآيفون ومهووسة بتطبيق تيك توك

قالت روري: "أوه، هي بخير ستبيت مع صديقاتها الليلة بعد حضور حفل. يقرأن شبكة شارلوت في الفصل، وهذا يعني أنها ترفض تناول اللحوم هذا الشهر، بل برجر نباتي فقط".

قلت: "أنا متأكدة أن هذا لن يدوم".

قالت: "ها. أتفق معك".

تناولنا رشفتين من العصير، بعدما استنفدنا مواضيع المحادثة الروتينية. غالبًا ما أشعر بأن التحدث مع روري وتوم يشبه التحدث مع المواطن الأمريكي المتوسط في استطلاعات الرأي، أو مع ملف شخصي فارغ على فيسبوك. ما آراؤك في الأفلام؟ في الموسيقى؟ جربت ذات مرة سؤاله عن العمل، لكن يبدو أنه لا يوجد شيء مثير للاهتمام للحديث عن مهام فني التقنية المعلوماتية.

أو ربما هناك؟ خطرت لي فكرة. سألته: "بالمناسبة يا توم؟ هل يمكنك تتبع عنوان بروتوكول الإنترنت (أي بي) لأي حساب تويتر عشوائي؟".

عبس توم قليلًا، ثم سأل: "لماذا تحتاجين إلى عنوان بروتوكول الإنترنت (أي بي)؟".

قلتُ: "اممم، كان هناك حساب يتربص بي". توقفت للحظة مترددة إزاء ما يمكنني شرحه، أو ما إذا كان بإمكاني حتى توضيح الأمور بطريقة مفهومة لمن ليسوا مطلعين بشكل عميق على مجال النشر. أكملت: " إنه ينشر أكاذيب عني وما إلى ذلك".

قال توم: "ألم تقومي بالإبلاغ عن الحساب إلى إدارة تطبيق تويتر؟".

أجبت: "فعلت ذلك، لكنني لا أظنهم سيفعلون شيئًا حيال الأمر". كان بريت يشجع الناس على الإبلاغ عن الحسابات التي تبث السموم ضدي، لكن تويتر سيئ السمعة في تنفيذ سياساته لمكافحة التحرش، ومن خلال ما رأيته لم يحقق ذلك أي تغيير بالفعل.

قال توم: "أفهم. حسنًا، لا أعتقد أنك ستتمكنين من العثور عليهم باستخدام اسم المستخدم في تويتر".

قلت: "ألا تخزن المواقع الإلكترونية عناوين بروتوكول الإنترنت (أي بي) للزوار؟".

أجاب: "بلى، لكن بيانات تويتر محمية. جميع مواقع التواصل الاجتماعي الرئيسية تحمي بياناتها؛ يجب عليها قانونًا أن تفعل ذلك".

"ألن تتمكن من، مثلًا، اختراقها؟ ألست قرصانًا؟".

ضحك قائلًا: "لست من هذا النوع من القراصنة. وسيجعلني انتهاك البيانات بهذا الشكل ممن تفضحهم الصحف في عناوينها الرئيسية. هذا انتهاك صريح للخصوصية. لا أريد دخول السجن، يا جوني".

"لكن إذا كنتُ أملك وأدير موقعي الإلكتروني الخاص، هل يمكنني رؤية عناوين بروتوكول الإنترنت (أي بي) لأي شخص يزوره؟".

فكر توم في هذا، ثم هز كتفيه قائلًا: "حسنًا، أعتقد ذلك. هناك إضافات (بلاج-إنز) لهذا النوعية من الأمور. يمكنك حتى فعل ذلك على ووردبريس. لكن المشكلة هي أن عنوان بروتوكول الإنترنت (أي بي) لا يوضح الكثير. يمكنك أن تعرفي المدينة التي يعيش فيها الشخص أو حتى الحي. لكنه ليس كما في البرامج التليفزيونية، حيث يتم تحديد موقعهم الدقيق باستخدام الجي بي إس، كما أن الأمر يختلف إذا كانوا يصلون إلى الموقع من هاتفهم المحمول أو من جهاز التوجيه في المنزل..."

قلت: "لكن، إذا جلبت لك العنوان، يمكنك أن تعطيني نطاقًا جغرافيًا عامًا، أليس كذلك؟".

تردد توم، وأجاب: " إنك لا تحاولين فعل أمر غير قانوني، أليس كذلك؟".

أجبتُ: "بالطبع لا. يا إلهي! لن أذهب مثلًا وألقي قنبلة مولوتوف من نافذتهم".

حاولت أن أكون مرحة، لكن تفاصيل هذا السيناريو جعلته يشعر بالانزعاج. كان يعبث بحافة زجاجة العصير التي أمامه. قال: "حسنًا، هل يمكنك أن تخبريني أكثر عما تحتاجين إليه؟ فلو كانوا يلاحقونك بالفعل، لصار الأمر غير آمن".

قلت: "أريد فقط أن أعرف مَن هو هذا الشخص، أو بشكل عام، أين هو، وإذا كان في مكان قريب، كي أتأكد أنه لا يمثل تهديدًا جسديًا، وما إذا كان يجب أن أقلق بشأن ملاحقته لي، أو... "

قالت روري فجأة، فيما كانت توازن صينية من خبز الذرة في يد، ووعاء من قطع البطيخ في اليد الأخرى: "ملاحقة؟ ما الذي يحدث؟". وضعت الطعام على الطاولة، وجلست بجواري على المقعد، ثم عانقتني وهي تقول: "هل كل شيء على ما يرام يا جوني؟".

"لا، نعم، ما هي إلا سخافات. أطلب مساعدة توم في العثور على هذا الشخص الذي كان يتنمر عليَّ في تويتر".

عبست روري، وسألت: "هل يتنمرون عليك؟".

كنت أعرف ما تفكر فيه. لقد تحملت الكثير من التنمر في المدرسة الإعدادية، عندما كانت حياتنا العائلية تنهار. هربت إلى الكتب حينها. قضيت كل ساعات يقظتي في عوالم الخيال، ما جعلني أبدو صامتة وغير اجتماعية. كنت أذهب إلى المدرسة حاملة مجلدات ضخمة من سيد الخواتم أو حكايات سبايدرويك، وأظل منحنية فوقها طوال اليوم غافلة عن كل ما يجري من حولي.

لم يعجب ذلك باقي الأطفال، فقد حول بعض زملائي في الفصل الأمر إلى لعبة، فكانوا يسخرون من ورائي وأنا أقرأ ليروا ما إن كنت سألاحظ. ونشر آخرون شائعة بأنني لا أعرف كيف أتكلم. كما كانوا ينادونني جوني المخبولة وكأن كلمة "مخبولة" لم تنقرض في التسعينيات.

قلت: "لا، ليس الأمر هكذا؛ إنه أقرب إلى... أناس مزعجين على الإنترنت". لم أظن أن روري ستفهم فكرة التصيد الممنهج على الإنترنت. قلت: "صاروا ببساطة يرونني كاتبة مشهورة؛ لذا يعتقدون أنه يمكنهم الإساءة لي بالقول وتهديدي بالقتل وغيرها. كنت فقط أسأل توم إذا كان يمكنه مساعدتي في معرفة من يفعل ذلك، أو على الأقل، أين هم بشكل عام".

نظرت روري إلى زوجها، وسألت: "تستطيع عمل ذلك، أليس كذلك؟ يبدو أن هذا الأمر خطير".

تنهد توم باستسلام قائلًا: "أكرر، لا يمكنني الحصول على عناوين بروتوكول الإنترنت (أي بي) من تويتر ... "

قلت: "سأحصل لك على عنوان بروتوكول الإنترنت (أي بي)، كل ما أحتاج إليه منك هو أن تستخدمه في معرفة كل شيء عنهم".

إذ رأى توم وجهي المتوسل ونظرة روري المُلحة، لم يجد أن لديه خيارًا آخر.

مد يده لزجاجة عصير أخرى، وقال: "بالطبع، سيكون من دواعي سروري مساعدتك".

لم يطرح أي أسئلة أخرى. أخذ توم المعلومات التي أمليتها عليه كما هي، وفعلت روري الشيء عينه. غمرتني مودة نحوهما في تلك اللحظة. لا يوجد في هذه

العائلة خديعة؛ فقط ثقة مملوءة بالحب، وأفضل خبز ذرة مع فلفل كيل تذوقته في حياتي.

عندما عدت إلى المنزل تلك الليلة، جلست على مكتبي لتعلُّم بعض أساسيات تصميم المواقع.

لم يكن الأمر بتلك الصعوبة. كنت قد شاركت في دورة تعليمية عن لغة البرمجة (إتش تي إم إل) لمدة أربعة أسابيع في الجامعة، حين كان لديَّ فكرة غير مكتملة أنه إذا لم أتمكن من أن أغدو كاتبة، فعلى الأقل سأكسب دخلًا ثابتًا كمبرمجة، حتى أدركت أن سوق البرمجة أصبحت أكثر تشبعًا من أن تسع شخصًا لا يتمتع بموهبة فطرية. لم أتمكن من الحصول على وظيفة بالمهارات التي اكتسبتها، لكنني كنت أعرف ما يكفي لأصمم موقعًا إلكترونيًا مقبولًا لا يبدو على الفور كأنه فخ من قرصان روسي.

لم يكن تصميم الموقع بهذا التعقيد، بل كان يجب أن يبدو كمدونة بدائية مصممة في المنزل. قضيت نحو خمس عشرة دقيقة في نسخ، ولصق، وتنسيق بعض من "الأدلة" الأكثر قسوة على سرقتي الأدبية المزعومة على الصفحة الرئيسية. كما تأكدت من إخفاء هذا الموقع عن أي عمليات بحث السيو المتعلقة بتحسين ظهور المواقع في محركات البحث - لم أرد أن يصادف المستخدمون العشوائيون الذين يبحثون عن الفضيحة موقعي الإلكتروني.

في نهاية المطاف، أنشأت حساب تويتر وهميًا، بلا صورة ملف شخصي، ولا صورة خلفية أسميته @لازاروس أثينا. وكان هذا الاسم ليجذب الانتباه.

عندما انتهيت من إعداد كل شيء، أرسلت رسالة خاصة إلى حساب @ شبح___أثينا___ليو أقول فيها:

مرحبًا. لا أعرف مَن أنت، لكن شكرًا لك على كل هذا العمل لكشف جوني هايوارد. لديَّ بعض الأدلة الإضافية موثقة هنا، إذا كنت مهتمًا.

ثم أرسلت له الرابط إلى الفخ الذي صنعته.

لم يرد حساب @شبح_أثينا_ليو على الفور. استلقيت في السرير لمدة عشر دقائق تقريبًا، ورحت أحدِّث تطبيق تويتر، ولكن بدا أن @شبح_أثينا_ليو لم يكن متصلًا على الإطلاق. في الوقت نفسه، وصلتني على حسابي الحقيقي ثلاث رسائل خاصة جديدة من غرباء يحثونني على الانتحار؛ لذا توقفت عن فحص رسائلي في الوقت الحالي.

مع ذلك، لم أستطع التوقف عن تصفح جدولي الزمني للتحقق من بقية المحادثة. هدأت عاصفة الاتهامات، رغم أن بعض المدونين البارزين ظلوا يطالبون بقتلي! (طالبت أديل سباركس - ساتو: لماذا لم ترد @إيدن_بريس على هذه الاتهامات بعد؟ هذا سيئ جدًّا بالنسبة لعلامتك التجارية يا @دانييلا_وودهاوس. إن التجاهل يفصح عن حقيقة اهتمامك بالأصوات المهمَّشة).

ومع ذلك، اتخذ النقاش منحى غير متوقع: بدأت الشائعات تنتشر حول أثينا أيضًا. وفقًا لما فهمته، بدأ الأمر بسلسلة طويلة من التغريدات من حساب آخر جديد مجهول يحمل اسم. @نو_هيروز_نو_جودز. أعلنت أول تغريدة للحساب: "أفعال جوني سونج فعلًا مقيتة، إذا كانت صحيحة. لكن يجب ألا نتعامل مع أثينا ليو وكأنها نموذج للتمثيل الجيد للآسيويين الأمريكيين. التغريدة الأولى في السلسلة[1/؟].

لطالما لم تُرضنا، في المجتمع الأمريكي الصيني، تلك الطريقة التي اختارت بها الكتابة عن التمييز العرقي وتاريخ الصين لسنوات. التغريدة الثانية في السلسلة [2/؟].

تعد معاملة أثينا لحزب الكومينتانج، على سبيل المثال، مثالًا مذهلًا على غسل الدماغ الإمبريالي الغربي. تصوّرا لقوميين كخيار واضح من أجل ديمقراطية الصين، لكنها ظلت تتجاهل الفظائع التي ارتكبها الكومينتانج بعد انتقالهم إلى تايوان. ماذا سيقول السكان الأصليون في تايوان عن هذه الادعاءات؟ التغريدة الثالثة في السلسلة [3/؟].

علاوة على ذلك، في قصتها القصيرة "هروب والدي،" أشارت أثينا إلى المعارضين في ميدان "تيان إن من" كأبطال. ومع ذلك، أصبح العديد من

هؤلاء المعارضين من أنصار الغرب المتحمسين بعد أن هاجروا. التغريدة الرابعة في السلسلة [4/؟].

هل يقتصر دعم أثينا حرية التعبير فقط على مهاجمة جمهورية الصين الشعبية؟ والأكثر من ذلك، يعد العديد من تصريحات أثينا عن تجارب والدها غير متسقة، فتمثيلها لتاريخ عائلتها بالكامل غير متسق في هذا الشأن. التغريدة الخامسة في السلسلة [5/؟].

واستمرت الأمور على هذا النحو لست عشرة تغريدة، انتهت برابط لوثيقة جوجل تحتوي على المزيد من الأدلة على جرائم أثينا. خلُصت @نو___هيروز___نو___جودز الأمر إلى أن أثينا كانت بعيدة عن معظم حركات الشتات الآسيوي الراديكالي. لم تكن أثينا ماركسية حقيقية، بل كانت اشتراكية من الطبقات الراقية في أفضل الأحوال. كذبت أثينا حول تاريخ عائلتها لتجعله يبدو أكثر مأساوية مما كان عليه، من أجل التبسيط، والادعاء بالأصالة، ولفت الانتباه. كانت أثينا، مثل ماكسين هونج كينجستون، دائمًا ما تعرض أسوأ ما في التاريخ والثقافة الصينية لاستدرار التعاطف من جمهورها الأبيض. كانت أثينا خائنة لعرقها.

لم يكن لدى معظم الناس على تويتر أدنى فكرة عما يحدث، إذ لم يكن أحد منهم متبحرًا في التاريخ أو السياسة الصينية بشكل كاف، ولم يقرأوا أعمال أثينا من كثب ليحكموا بحكمة. لكن ما رأوه أمامهم حقًا، وما علق بأذهانهم، هو "أثينا ليو = مزعجة".

ثم بدأت الموجة الثانية من العاصفة، واحتلت أثينا هذه المرة محور المشكلة. لم تهتم معظم الحسابات التي شاركت بالحقيقة، بل كانوا موجودين من أجل الترفيه فحسب. كان هؤلاء الناس يحبون أن يكون لديهم هدف، وكانوا سيمزقون أي شيء تضعه أمامهم.

يا لها من شخصية مقيتة!!!

لطالما كنت أعلم أنها مزيفة.

سعدت بكشف هذه الحقيرة في نهاية المطاف، لطالما شككت في أثينا لسنوات.

انتشر مقطع على تيك توك لشخص يمزق جميع صفحات كتب أثينا ويلقي بها في النار. (أثار هذا مناقشة أخرى حول النازيين وحرق الكتب، لكنني لن أدخلكم في هذا الركن من الإنترنت). نشرت كيمبرلي دينج، اليوتيوبر من جامعة يو سي إل إيه، فيديو مدته ساعة تحلل فيه "الجمل الإشكالية" في كل كتاب من أعمال أثينا. (ذات مرة، وصفت أثينا عين شخص تحبه بأنها "لوزية الشكل"، ما يعزز معايير الجمال الغربية ويجعل النساء الآسيويات مجرد أشياء).

كان هناك شيء مزعج، يكاد يكون *مبهجًا*، في الطريقة التي يمزقون بها سمعتها. وكأنهم كانوا يتحينون هذه الفرصة طوال الوقت، وكأنهم كانوا يعدون هذه الأسهم السامة منذ سنوات. لم أفاجأ، في الواقع. كانت أثينا هدفًا مثاليًا. كانت غاية في الجمال، وناجحة جدًا، ونظيفة على نحو يجعل في أمرها شيئًا لم يكتشفه أحد بعد. كان هذا مصيرها، وكنت متأكدة من أن بعض ردود الفعل مثل هذه ستحدث عاجلًا أم آجلًا، حتى لو لم تكن قد اختنقت حتى الموت بسبب فطيرة.

مارني: رائع! هل رأيتم هذا الأمر عن أثينا ليو؟
جين: نعم، الأمر ... عذرًا، ما معنى مجموعة الهان العرقية المتفوقة؟
مارني: أعتقد أنه يشبه تفوق ذوات البشرة البيضاء، لكنه يتعلق بالمجموعات العرقية الصينية. أعني، عدم إدراجها لأقليات صينية أخرى في أعمالها أمر ملحوظ.
جين: لم أكن أعلم أنك تحبين رواياتها.
مارني: أوه، قرأت واحدة فقط. هاها. لم أتمكن من تجاوز الصفحة الأولى. كانت محاولة مبالغًا فيها للكتابة، إذا كنت تفهمين ما أعني.
مارني: لكن هنا بعض التغريدات التي تشرح الأمر.

شارك شخص ما قصة مشابهة بشكل غريب لذكرياتي مع أثينا في متحف التاريخ الأمريكي: ذهبت إلى فعالية حيث أجرت أثينا مقابلة مع قدامى المحاربين

في حرب كوريا وسجلت كل ما قالوه على جهاز تسجيل صغير، ثم نشرت قصتها "مظلات فوق تشوسون" بعد ستة أشهر. وقد أشيد بها باعتبارها أحد أكثر الأوصاف وفاءً للأسرى في كوريا، لكنني لم أشعر أبدًا بالارتياح حيالها. شعرت كأنها كانت تستخلص الكلمات مباشرة من أفواه المحاربين القدامى، وتكتبها على الورق، وتعرضها على أنها أعمالها الخاصة. لم يكن هناك أي اعتراف أو إشارة إلى الفضل. جعلت الأمر يبدو كأنها ابتكرت كل ذلك بنفسها. لقد احتفظت بهذا لنفسي لسنوات؛ لأنني لم أرغب في أن يظهرني ذلك في صورة مهاجمة لكاتبة آسيوية أخرى. ولكن إذا كنا نتحدث عن الإرث الأدبي، أعتقد أنه من المهم أن أذكر هذا.

أعترف أنني استمتعت قليلًا بهذا. كان من الجيد أن أعلم أن هناك شخصًا آخر يعرف تمامًا كما أعرف أن أثينا كانت في الحقيقة لصة مدعية.

على الرغم من أنه لا يهم ما إذا كانت الحقيقة هي ما يدور حوله الحديث. لم يهتم أحدٌ من الذين نشروا تلك الشائعات بالتحقق من تلك الحقائق أو الإجراءات الواجب اتباعها. كانوا يستخدمون عبارات مثل: "أعتقد أنه من المهم أن تعرف" و "لقد اكتشفت للتو" و"أشارك هذا حتى يكون متابعيَّ على علم". لكن في قرارة أنفسهم، كانوا جميعًا يشعرون بسعادة غامرة وهم يتمرغون في تلك النميمة الساخنة مفعمين بالحماس للفرصة التي أتيحت لهم لتدمير أثينا ليو. كانوا يقولون في أنفسهم: كانت بشرًا على كل حال، وليست روبوتًا لا يخطئ. كانت مثلنا تمامًا. ونحن الآن نجذب متابعين من خلال تدميرها؛ نخلق سلطة أخلاقية لأنفسنا.

وبطريقة منحرفة، أفادني هذا جدًا. كلما تم جر أثينا أكثر في الوحل أصبح هذا كله أكثر إرباكًا للمشهد، ما يقلل من مصداقية السلطة الأخلاقية لمن ينتقدونني. من الواضح أن الخطأ لا يُصلح بخطأ، لكن جمهور الإنترنت سيئ جدًا في الاعتراف بذلك. الآن بعد أن أصبحت القصة أكثر تعقيدًا، لم يعد من المُجدي الهجوم عليَّ بسبب سرقتي من ضحية بريئة ولطيفة، فقد صارت أثينا متعجرفة ومتعالية، وربما عنصرية (ما زالت تلك النقطة محل خلاف)، ومتعصبة من الصينيين الهان، ولصة أيضًا بسبب تمثيلاتها لشخصيات كورية وفيتنامية. كانت أثينا هي الكاذبة، والمرائية، لقد زالت أسطورة أثينا ليو بعد وفاتها.

لم أذكر ذلك أمام بريت أو دانييلا. لقد تجاوزت الأمر؛ أصبحنا جميعًا نعلم كيف تنتهي هذه الأمور. لقد شاهدت هذه الدورة نفسها تحدث مرة مع كاتبة مبتدئة

في العشرينيات من عمرها اتهمت كاتبة أكبر وأقدم منها بالتغرير بها وملاحقتها، ليتهمها الآخرون بالتغرير والملاحقة حتى لكُتّاب أصغر سنًا في المقابل لم يعرف أحد الحقيقة حتى اليوم، لكنها لم تحصل على عقد كتاب آخر منذ سنوات. هكذا كانت طبيعة المعارك على تويتر. تُلقى التهم يمينًا ويسارًا، وتُلوث سمعة الجميع، وحين تهدأ الأمور، يبقى كل شيء كما كان.

تلقيت الرسالة الخاصة التي كنت أنتظرها في تلك الليلة.

قال @شبح___أثينا___ليو: "شكرًا، لقد قمت بالفعل بربط معظم هذه الأشياء. إذا وجدت أي دليل جديد، فأبلغيني من فضلك. فلنحقق العدالة لأثينا".

ركضت إلى مكتبي وفتحت وورد بريس على جهاز الكمبيوتر المحمول. كما كنت آمل، تلقي موقع الويب الخاص بي أول زائر له، والوحيد. نسخت عنوان الـ أي بي المكون من تسعة أرقام وأرسلته إلى توم: ها هو. أي معلومة تصل إليها ستكون رائعة.

لديَّ بعض التخمينات حول مَن قد يكون صاحب الحساب. ربما أديل سباركس - ساتو، وكانت ليلي وو وكيمبرلي دينج مرشحتين أيضًا، أو لعلها ديانا كيو، تلك الفنانة البصرية المجنونة. رغم أنني لم أكن متأكدة مما سأفعله إذا كان أحدهم هو الجاني - تقيم أديل وديانا في نيويورك، وليلي في بوسطن، وعنوان بروتوكول الإنترنت (أي بي) من أيٍّ منهما سيكون ظرفيًا على أفضل تقدير. أرسل لي توم رسالة بعد بضع ساعات.

> أنت محظوظة. لقد جربت عدة خدمات تحديد المواقع الجغرافية لعناوين بروتوكول الإنترنت (أي بي)، وكلها أظهرت المدينة نفسها. لا تعرفين أحدًا في فيرفاكس، أليس كذلك؟

> آسف ... أعتقد أن هذا قد يكون قريبًا جدًا إلى حد ما. ربما يجب عليك التوجه إلى الشرطة إذا كنت تعتقدين أنهم قد يحاولون فعل شيء خطير.

وأيضًا، آسف لأنني لا أستطيع أن أكون أكثر تحديدًا.

عادةً ما يمكنك تحديد موقعك ضمن بضعة أميال، لكنك ستحتاجين إلى القيام ببعض القرصنة المتقدمة لتحديد عنوان واضح.

لكنني لم أكن بحاجة إلى عنوان واضح. كنت أعرف بالضبط مَن هذا الشخص. هناك شخص واحد فقط مشترك بيني وبين أثينا ويعيش في فيرفاكس، ولم أكن لأستبعد أن يكون هو هذا الشخص.

كان قلبي ينبض بسرعة، فتحت تويتر وبحثت عن "جيفري كارلينو" لأرى ماذا كان صديق أثينا السابق يفعل مؤخرًا.

الفصل الرابع عشر

آه، جيف.

من أين يبدأ المرء مع جيف؟

لم أكن مقربة من أثينا عندما تعرف كلٌّ منهما على الآخر. كنت وقتذاك في نيويورك، أواجه صعوبة في سنتي الأولى في برنامج "التعليم من أجل أمريكا" الذي كان ضعيف الأجر ومحدود التحفيز ، ولكنني أعرف تمامًا قصة انفصالهما المدمرة، وهي علاقة فوضوية تجلت تفاصيلها على تويتر وإنستجرام أمام العالم كله. من خلال ما فهمته، التقى جيف وأثينا في مقر إقامة للكتاب في ولاية أوريجون، في وقت كان كلاهما فيه شابًا وصاعدًا في مجاله. كانت أثينا على بعد أشهر قليلة من إطلاق روايتها الأولى؛ وكان جيف قد وقَّع للتو عقده الأول مع دار نشر صغيرة ولكنها مرموقة متخصصة في الأدب. كانت علاقتهما مقدرة منذ البداية؛ كان كلاهما جذابًا ومستقيمًا، وكانا موهبتين على وشك أن يقتحما عالم النشر. أعتقد أن جزءًا من الانجذاب كان يُعزى للسنة الدراسية التي قضاها في بكين (على الرغم من أنه بعد انفصالهما، كانت أثينا تشتكي لي كيف أن "اسم جيف الصيني هو جيه فو، وكان يريدني أن أناديه بذلك عندما نكون وحدنا، أليس هذا غريبًا جدًّا؟ أعني، اسمه جيف!").

بعد الحصول على الإقامة، انتقلت أثينا للعيش في منزل يملكه والدا جيف. كان منزلهما الثاني في فيرفاكس. عرفت ذلك لأنهما خلال الأشهر الستة التالية، كانت منشورات إنستجرام الخاصة بهما مملوءة بالصور المفرطة في البراءة، التي تظهرهما معًا: لقطات وابتسامات لؤلؤية، وبشرة ناعمة وصور بالأبيض والأسود التُقطت في المقاهي، مع تعليقات مثل كاتب في العمل؛ وصور كاملة لجسديهما أثناء التنزه صعودًا وهبوطًا على الساحل الشرقي، وأجسامهما الطويلة والرشيقة مبللة بالعرق. كان هناك وقت بدا فيه أنَّهما سيحظيان بمكانتهما بين مشاهير الأدب من الأزواج، مثل جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار، وآنابيس نين وهنري ميلر، وإف سكوت فيتزجيرالد وزوجته زيلدا لو كانت الأخيرة قد نشرت المزيد من الأعمال.

لكن جيف ... كيف يمكن للمرء أن يقول هذا بلطف؟ لم يكن جيف موهوبًا بذلك القدر، بل ونستطيع مقارنة تاريخ نشر جيف بتاريخي. بدأ قويًا بالعديد من المنشورات الفائزة بالجوائز في مجلات القصص القصيرة المرموقة. لكن روايته الأولى، التي وصفها بأنها "رواية تشويقية تمزج بين الأنواع الأدبية كافة" حول "الروبوتات المتنقلة عبر الأعراق" في مجتمع قريب من المستقبل، فشلت في ترك الأثر المتوقع، بل وصفها أحد المراجعين في *لوكوس* بأنها "استكشاف مشوش وفي النهاية مضلل، وربما خبيث، لتجاوز العرقية ومرونة الهوية العرقية". لم تحقق روايتي الأولى مبيعات جيدة، لكن، على الأقل، لم يقل أي من المراجعين إنني يجب أن "أبقي الفلسفة السطحية وغير المدروسة في مقاهي الطلاب الجامعيين وألا أظهرها على الملأ حيث يمكن للكبار أن يروها".

لقد غضب جيف جدًا من هذه المراجعة تحديدًا، وكتب منشورًا طويلًا ومحرجًا على مدونته حول كيف تم فهمه بشكل خاطئ، وكيف أن المراجع في *لوكوس* لم يكن يمتلك "النطاق الفكري" الكافي لتقدير تعقيد وجذرية نقده العرقي. وكما كان متوقعًا، هاجم مستخدمو تويتر هذا الأمر بشدة. انفصلت أثينا عنه بعد ذلك بفترة قصيرة (وهذا ما استنتجناه -نحن العامة- من حقيقة أن جميع منشوراتها على إنستجرام حول "العمل من المنزل" أصبحت فجأة تُلتقط من موقع جديد).

قد يبدو الانفصال مفاجئًا، لكننا جميعًا كنا نتوقعه. يجب أيضًا أن نذكر أنه قبل فشل روايته الأولى، نشر جيف سلسلة من القصص القصيرة عن فتاة روبوت تُدعى شياو لي، والتي كانت تتحمل العديد من الانتهاكات من عملاء بشريين قبل

أن تدمر نفسها في انفجار أتى على أكثر من نصف بكين الجديدة! زعم جيف أن القصص كانت تحقيقًا لاذعًا في قضايا الاستعمارية، وحقوق الذكاء الاصطناعي، والأبوية الصينية. سأله أحدهم على تويتر كيف قام بالبحث عن العبارات الصينية التي نشرها في النص، فأجاب جيف بلطف أنه كان صديقًا لـ "قاموس ذي شعر طويل". (انتشرت هذه الإجابة على تويتر لعدة أيام). كانت هناك أيضًا مزاعم عن أفعال تحرش في الملاهي، وحساب شبيه بحساب جيف في موقع إباحي وعبارة "مهووس بالنسوة الآسيويات" في خانة السيرة الذاتية، لكننا جميعًا كنا أكثر تهذيبًا من أن نذكر ذلك في الملتقيات الثقافية.

فشلت رواية جيف، وبالطبع فعلت أثينا ما كان يتوقعه الجميع وابتعدت عن تلك الفوضى، وأصبح الخطيبان الشابان الأكثر جاذبية في مجال النشر مجرد كاتبة شابة جذابة وفتى من ذوي البشرة البيضاء كانت مسيرته قد انتهت قبل أن تبدأ.

في تلك اللحظة، كان يجب على جيف أن يضمد جراحه ويتابع حياته من جديد. كان لديه وكيل أدبي قوي، ورواية ثانية قيد النشر، كانت بمثابة فرصة لإنقاذ مسيرته المهنية. لكن حينها، اتخذ وجوده على تويتر منحى شرسًا، فقد بدأ ينشر منشورات طويلة عن تحويله إلى بطل شرير بشكل ظالم، وكيف أن أثينا هي التي شجعته على كتابة تلك التدوينة الأصلية عن لوكوس لكنها لم تقف بجانبه.

شعرت بالإحراج من مشاهدة كل ذلك وهو يحدث. أما أثينا فقد تصرفت بذكاء. لقد عطلت حسابها على تويتر ولم تقل أي شيء حتى تجد جموع الإنترنت شيئًا آخر للانشغال به تحت ستار الاهتمام. استمر جيف في الرد بشكل غير مُجدٍ على الردود اللاذعة حتى انخفض عدد متابعيه إلى أقل من مائة، وعندها عطل هو الآخر حسابه. قام وكيله الأدبي بفسخ التعاقد معه "لأسباب شخصية وخاصة" وظل الجزء الثاني من روايته الأولى قيد التعاقد، لكن بدا غير واضح ما إذا كان هذه الرواية ستنشر يومًا ما، خاصة إذا كان جيف لا يزال يحاول إكمالها.

مَن يعرف حقًا ما حدث؟ يجعلنا تويتر جميعًا قضاة غير مؤهلين ولكننا تواقون لإصدار الأحكام. وحسب من تتحدث معه، يمكن أن يكون جيف إما شخصًا متلاعبًا، ومسيئًا، وخطيرًا، وإما هو ذاته ضحية! أما أثينا، فقد نفضت يدها من الموضوع بلا شائبة، لكن في الغالب لأن الناس لم يستطيعوا تصديق أن أثينا ليو الجميلة

والموهوبة كانت سيئة كما جعلها جيف تبدو، ولأنه دائمًا من الأسهل أن نلقي بكل اللوم على الرجل ذي البشرة البيضاء.

على حد علمي، لم يتحدث جيف وأثينا لبضعة أشهر. فما الذي جعله الآن يستهدفني إذًا؟

بعد بعض التحقيقات الإضافية، أصبحت متأكدة أنه هو المسئول عن كل هذا. قام حسابه بإعادة تغريد كل ما نشره حساب @شبح___أثينا___ليو. كان أحيانًا يضيف تغريدات مع اقتباسات خاصة به: "لا أصدق أن لا أحد يتحدث عن هذا. يجب أن يخجل إيدن، وجونيبير سونج من فعلتهما".

قبل تلك التغريدات، لم يكن قد نشر أي شيء آخر منذ أكثر من شهر: هل ينظر إليكم الناس بغرابة عندما تطلبون الطعام في المطاعم الهندية وتقولون: "أريده حارًا بحق، وليس مجرد حار بمقاييس الأجانب من ذوي البشرة البيضاء؟". (حصلت هذه التغريدة على ثلاثة إعجابات، وجاء الرد التالي من ريتشارد بيرنز08: "أنا أيضًا، أنا أيضًا، متزوج من امرأة تايلاندية منذ ثلاث سنوات، وما زالوا يعتقدون أن هذا الأجنبي لا يستطيع تحمُّل حرارة الطعام الذي تطهوه. أعشق أن أثبت لهم خطأهم!") كان التوقيت مناسبًا جدًا.

كان يجب أن أتصرف بسرعة. كان جيف أحمق، لكنه أحمق غير مستقر نفسيًّا وغير قابل للتوقع. كان من الأفضل أن أوقف هذا في مراحله الأولى. أعتقد أنني يمكنني أن أتصدى له، لكنني وددت أن أعرف جيدًا ما الذي يخطط له.

كنت محتفظة برقم جيف منذ أيام دعوة أثينا لنا ولعدة أشخاص آخرين في معتكَف كتابي على ضفاف نهر البوتوماك. لم نخرج إلى تلك الرحلة أبدًا؛ بدأنا في الجدال حول تكلفة الأكواخ، وما إذا كان من المعيب والرجعي أن نصر على أكواخ مفصولة حسب الجنس أو إذا كان من المحرج مشاركة الأكواخ بين أشخاص لا يعرف بعضهم بعضًا جيدًا، وفجأة بدأ الجميع في تكرار أخطاء في الجدولة واضطروا لإلغاء الرحلة في اللحظة الأخيرة. لكنني حفظت بعناية بيانات الاتصال الخاصة بالجميع، إن كان فقط لتمييزها عن أكواد المنطقة الأخرى.

أرسلت إلى جيف لقطة شاشة لأول تغريدة من @شبح___أثينا___ليو، ثم أضفت: "أعلم".

كان هو من أولئك الأوغاد الذين يتركون إشعارات القراءة مفتوحة، فرآها على الفور. لكنه لم يرد.

راح قلبي يخفق بشدة. كتبت: "غدًا، الساعة 3:30 خارج كوكا في تايسون كورنر: إنها فرصتك الوحيدة. إما أن تأتي وإما سأخبر الجميع أنه أنت".

ثم أغلقت هاتفي، وألقيته على سريري، وصرخت.

وصلت مبكرًا إلى مقهى كوكا، ثم طلبت لاتيه مثلج، لكنني لم أرتشف سوى رشفات صغيرة؛ لم أرد أن أضطر للذهاب إلى الحمام وسط هذا كله. كان الجو حارًا على نحو غير معتاد؛ لذا كانت منطقة الجلوس الخارجية فارغة. اخترت طاولة صغيرة قرب الزاوية، ما منحني رؤية كاملة للباحة ومخارج هروب سهلة في جميع الاتجاهات. لم أعرف لماذا جلست أتفحص جميع المخارج الممكنة كما لو أنني عميلة في الكي جي بي في أراض معادية، لكن ربما يكون هذا وصفًا غير دقيق لوضعنا: شخصان يتبادلان الأكاذيب على الإنترنت ويحاولان تحديد كيفية تدمير سمعة أحدهما الآخر.

شعرت بالصدمة عندما وصل جيف. رأيته قادمًا من عبر الساحة ورأسه منخفض كما لو كان يخشى أن يتعرف عليه أحد. كان يرتدي قبعة بيسبول ونظارات شمسية ضخمة. كان يبدو سخيفًا.

"مرحبًا يا جوني". سحب الكرسي المقابل لي، ثم جلس، وخلع نظارته الشمسية قائلًا: "سعيد لرؤيتك مرة أخرى".

فهمت لماذا كانت أثينا تعشقه في وقت ما. كان جيف، على المستوى السطحي، جذابًا جدًا. كانت صوره ككاتب تظهر دقة خط فكه وعمق عينيه الخضراوين. في الواقع، كانت هذه الملامح واضحة على نحو يجعلها محيرة بعض الشيء. بدا كأنه بطل رومانسي من إحدى روايات المراهقين الغامضة والمثيرة وقد دبت فيه الحياة، بشعره الداكن الفوضوي ولحيته الخشنة.

لكنني قرأت تغريداته؛ لذا أصبح بالنسبة لي أتفه من أن يكون مثيرًا.

تناولت رشفة أخرى من اللاتيه. قررت ألا أسمح له بالتحكم في سير الحديث. لم أكن لأسمح له بأن يظن للحظة أنه أقوى مني. بدأت بأكبر قدر من العدوانية. قلت: "ما هذا الهراء عن سرقة مخطوطة أثينا؟".

استرخى في كرسيه وعقد ذراعيه فوق صدره العريض. (فأدركت لتوي أن هذا ما يقصده الناس عندما يكتبون "صدر عريض، إذ ينطبق هذا الوصف عليه".) فرد قائلًا: "أعتقد أن كلينا يعرف عمَّ أتحدث".

قلت بغضب: "أنا لا أعرف، هذا سخيف". ليس من الصعب استحضار الغضب. لقد جعلني استعلاؤه وبروده أرغب في ضربه.

" لماذا طلبتِ مقابلتي إذًا؟".

أجبت بحدة: "لأن ما تفعله قذر. إنه شيء مقزز، وقلة احترام، ليس بالنسبة لي فحسب ولكن لأثينا كذلك. ولو كنت أي شخص آخر، لقلت لك اغرب عني، لكن بالنظر إلى تاريخك مع أعز صديقاتي، اعتقدت أنه من الأفضل أن أخبرك بذلك شخصيًا".

نظر بسخرية وقال: "حقًا يا جوني؟ هل سنتظاهر؟".

ضربت بيدي على الطاولة المعدنية. كان هذا مبالغًا فيه، لكن راق لي أن أجعله يجفل، فصحت: "أنت من يتظاهر. وسأعطيك فرصة واحدة لتبرير تصرفاتك قبل أن أقاضيك بتهمة التشهير".

تراجعت ثقته للحظة واحدة فحسب. فهل نجحت؟ هل أخفته؟

قال فجأة: "تحدثت وأثينا عن المخطوطة". أحسست بانقباض معدتي.

"أخبرتني عنها قبل أن نفترق. رأيتها تُجري أبحاثًا حول موضوع المخطوطة المتعلق بعمال المهاجرين، والأصوات المهمشة والمنسية في الجبهة. رأيت تلك الصفحات على ويكيبيديا". اقترب إلى الأمام وحدق إلى عينيَّ بنظرة ثاقبة، وتابع: "وبدا لي من المثير للدهشة أنه بعد وفاتها بفترة قصيرة، تخرجين أنتِ بكتاب عن الموضوع نفسه".

قلت ببرود: "هناك الكثيرون ممن يمكنهم كتابة قصص عن الحرب العالمية الأولى. لا يوجد حق ملكية على التاريخ يا جيفري".

"لا تستخفي بي".

"أفترض أنك ستخرج جميع ملفاتك كدليل الآن؟" تمثلت إستراتيجيتي في أن أجعله يكشف أوراقه من البداية. فإذا كان لديه دليل، لانتهيت على أية حال، ورغبت في أن أعرف ذلك على الأقل. ولكن إذا لم يكن لديه شيء، فكنت لأعرف أن هناك مجالًا للهرب.

تقلص وجهه قائلًا: "أعرف ما فعلتِ. أصبحنا جميعًا نعرف. لن تفلتي بكذبتك هذه المرة".

هل يمكن أن أكون قد خمّنت بشكل صحيح؟ هل من الممكن ألا يكون لديه شيء على الإطلاق؟

قررت دفعه قليلًا لأرى ردة فعله فقلت: "أرى أنك لا تزال واهمًا".

تنهد، وقال: "هل أنا من يتوهم؟ على الأقل لست أنا من أركض في كل مكان وأتحدث عن صداقة لم تكن موجودة أبدًا. بالله عليكِ، هل كنتما صديقتين مقربتين منذ أيام الكلية؟ لم تذكرك أثينا ولو لمرة واحدة طوال فترة علاقتنا. لقد رأيتك في مؤتمر من قبل، كما تعلمين. عندما رأيت سيرتك الذاتية في البرنامج – كان مكتوبًا فيها أين درستِ، فسألت أثينا إن كانت تعرفك. أتدرين ماذا قالت؟".

لم أرد أن أسمع ذلك. لم يوجد سبب يجعل هذا الأمر يزعجني إلى هذا الحد، لكنه أزعجني، وبدا واضحًا أن جيف قد لاحظ ذلك؛ لأنه ابتسم كاشفًا عن أنيابه مثل كلب اشتم رائحة الدم. "قالت إنك مجرد زميلة فاشلة من أيام الدراسة، وإنها لا تعرف لماذا كنت مستمرة في محاولات الكتابة، وإن أول ظهور لك كان دون المستوى تمامًا، وإنه من الأفضل لك أن تنسحبي قبل أن يلتهمك هذا المجال تمامًا". ثم ضحك، وأكمل: "أتعلمين كيف كانت أثينا تتظاهر بتعاطفها المبالغ فيه، حين كانت تحاول إقناعنا بأن لديها مشاعر بشرية؟ كانت تقول: *يا للمسكينة، أنا مشفقة عليها بشدة. هيا، لنذهب قبل أن ترانا*".

شعرت برطوبة في عينيَّ، فرمشت بانزعاج وقلت: "من الواضح أنك لم تكن تعرفها كما كنت تظن".

"عزيزتي، كانت كتابًا مفتوحًا بالنسبة لي، وأنتِ كذلك".

شعرت برغبة عارمة في أن أستدير وأغادر، أو حتى أن أمد يدي عبر الطاولة وأصفعه على وجهه المتغطرس القاسي. لكن ذلك لم يكن ليحقق شيئًا مما جئت لأجله.

فلأركز. كنت قريبة جدًا من إنهاء ذلك. كل ما كنت أحتاج إليه هو أن أجعل كل هذا يختفي.

نقرت بأظافري على الطاولة ورمشت بتوتر مصطنع، وقلت: "فلنفترض... لنفترض أنني أخذته".

اتسعت عيناه وهو يقول: "كنت أعلم ذلك، أيتها الكاذبة الحقيرة..."

"حسنًا، توقف، أرجوك". تصنَّعت الذعر رافعة يديَّ كما لو كنت أريه أنني لا أحمل سلاحًا. وسمحت لصوتي بأن يرتجف، وأنا أقول: "ماذا تريد يا جيف؟".

تحول وجهه إلى ابتسامة متعجرفة مجددًا. بدأ يزداد ثقة وقد علم أنه يسيطر على الموقف، فقال: "إذًا، كنتِ تظنين حقًا أنكِ ستفلتين بفعلتك".

توسلت إليه قائلة: "ألا يمكننا فقط أن نَجعل هذا يختفي؟". لم يكن من الصعب أن أتظاهر بالخوف. كل ما احتجت إلى عمله هو أن أتخيل أنني أسير إلى المنزل وحيدة ليلًا، وجيف على الجانب الآخر من الطريق، في غياب جميع الأعراف الاجتماعية المعتادة التي تجعله لا يضربني. كان ضخمًا وقوي البنية، بل كان بإمكانه أن يسحقني، فطرفت بعيني بذعر كي أذكره بذلك. أردته أن يشعر بأنه قد حاصرني. قلت: "أرجوك، إن سربت هذا، فسوف... سوف أفقد كل شيء..."

"أو ربما لن تفقدي شيئًا". مال إلى الأمام ضاغطًا بكفيه على الطاولة، وقال: "ربما يمكننا التوصل إلى اتفاق ما".

جاهدت لأحافظ على ثبات ملامحي، وسألته: "ماذا... ماذا تعني؟".

"لا بد أنك تجنين أموالًا طائلة من تلك الرواية، أليس كذلك؟" تنقلت عيناه بسرعة، متفحصة المكان بحثًا عن مسترق للسمع، وأكمل: "لا تكذبي. لقد رأيت إعلان الدفعة المقدمة. كان مبلغًا من ستة أرقام، أليس كذلك؟ وأعلم أن مبيعاتك قد تجاوزت هذا الحد بالفعل".

ازدردت ريقي بصعوبة. قلت: "أنت... هل تبتزني؟".

قال بابتسامة خبيثة: " أعتقد فحسب أن بإمكاننا ترتيب صفقة مربحة لكلينا، أنت تواصلين بيع كتبك، وأنا أحتفظ بسرك. هذا مكسب للطرفين، أليس كذلك؟ هل نناقش الأجور؟".

يا إلهي. كم هو غبي! هل يسمع الكلمات التي تخرج من فمه؟ تخيلت تسريب مثل ذلك التسجيل في كل مكان على تويتر، والغضب العارم الذي سيتبعه. وبالتأكيد

لن يجني جيف سنتًا واحدًا من الكتابة مرة أخرى بعد ذلك. سيتعين عليه الاختباء. لن يتمكن أبدًا من الظهور علنًا بشخصيته الحقيقية.

لكن من شأن هذا الانفجار أن يصبح فوضويًا، ومن المحتمل أن يطالني الأذى في نطاق تداعياته. كان كل ما كنت أحتاج إليه هو أن أجعل هذا كله يختفي بهدوء.

قلت: "همم... لا". تظاهرت بالتفكير، وزممت شفتيَّ ثم تابعت: "لا، لا أعتقد أنني سأفعل ذلك".

ضيق جيف عينيه، وقال: "ليس لديك الخيار".

"حقًا؟".

"برأيك ماذا سيحدث عندما يكتشف الجميع الحقيقة؟".

هززت كتفي بلا مبالاة، وقلت: "لن يكتشفوا شيئًا؛ لأن هذا غير صحيح. تتفوه بترهات يا جيفري، ونحن نعلم ذلك جيدًا".

"أعلم أنك سرقت الرواية".

"بل لا تعلم. ليس لديك أي دليل، تختلق الأكاذيب فحسب لتحصل على رد فعل". تحسست جيبي حيث استقر هاتفي الآيفون بأمان خلف سحّاب مسجلًا هذه المحادثة بالكامل، وأكملت: "أما ما أملكه أنا بالمقابل، فهو دليل على أنك تحاول ابتزازي للحصول على حصة من العائدات على رواية تزعم أنها مسروقة. لا تفعل هذا من أجل أثينا، بل تحاول امتصاص إرثها واستغلاله. وعندما يُسرّب هذا التسجيل يا جيف، هل تظن أنك ستحصل على أي صفقة نشر أخرى في حياتك؟".

بدا جيف كمن يريد خنقي. اتسعت عيناه على نحو جعلني أرى بياضهما حول بؤبؤيه. وانفرجت شفتيه، ليكشف عن أنيابه. لوهلة، خشيت أن أكون قد تماديت وجعلته يفقد صوابه. فكرت في كل تلك الأفلام عن الرجال ذوي البشرة البيضاء الودودين ظاهريًا الذين يفقدون صوابهم فجأة مثل كريس إيفانز في فيلم أخرجوا السكاكين، وذلك المغتصب في فيلم شابة واعدة. تخيلت أن جيف قد يقفز على الطاولة ويطعنني في الترقوة، أو ربما سيكتم غضبه الآن، ثم يراقبني وأنا أغادر، ويدهسني بسيارته في طريقي إلى المنزل.

لكن لم تكن هذه سينما، بل الحياة الواقعية، ولم يكن "جيفري كارلينو" ذكرًا مهيمنًا جامح الغضب لا يمكن السيطرة عليه.، بل كان مجرد صبي تافه، غير واثق بنفسه، وكان كل ما يمتلكه تهديدات فارغة، ولم يملك أي ورقة رابحة أخرى.

لذلك كنت متأكدة أنه لا يملك العزيمة للمضي قدمًا في ذلك الأمر. انكمش الغضب وتحول إلى هزيمة، وراقبت كتفيه يهويان باستسلام.

قال بغضب: "أنتِ إنسانة بشعة".

قلت: "بل أنا كاتبة رائعة وصديقة جيدة، أما أنت، من ناحية أخرى، فصوتك مسجل وأنت تحاول الاستفادة من كلمات صديقتك السابقة التي تدعي أنها مسروقة".

"الموت لكِ يا حقيرة".

"أوه، اغرب عني". وقفت. ذات مرة، رأيت فيديو لصياد أطلق رصاصة على أسد بين عينيه في اللحظة التي قفز فيها. تساءلت ما إذا كان الصياد قد شعر بما شعرت به في تلك اللحظة: لم أستطع التنفس من فرط السعادة. كنت منتصرة، على شفا الأمان. تساءلت ما إذا كان هو أيضًا قد نظر إلى ضحيته وتأمل كل تلك القوة، وكل تلك الإمكانات المهدورة. قلت: "لا تتصل بي مرة أخرى".

بمجرد أن علمت أن جيف لا يملك أي أوراق في يده، لم أواجه أي صعوبة في صياغة ردي. بعد أن قمت بمراجعة بعض المسودات مع جين ومارني، نشرت بياني الرسمي حول كل هذه الفوضى على موقع الويب الخاص بي ككاتبة، وأرفقته على تويتر. (كنت أفكر في نشر لقطة شاشة من هاتفي لبياني الذي قمت بصياغته في تطبيق الملاحظات، لكن اعتذارات تطبيق الملاحظات أصبحت تبدو للكثيرين مبتذلة وغير موثوقة).

مرحبًا بالجميع،

بالطبع كنت على علم بالاتهامات الأخيرة التي تم تداولها حول تأليف *الجبهة الأخيرة*. أعتذر عن عدم تحدثي في وقت مبكر. أرجو أن تتفهموا أنها كانت فترة عصيبة بالنسبة لي، وأنني ما زلت أواجه صعوبة في التكيف مع الوفاة المأساوية لأعز صديقاتي.

باختصار، هذه الاتهامات غير صحيحة تمامًا. *الجبهة الأخيرة* من إبداعي الخاص. كانت أثينا مصدر إلهام لي للبحث في هذا الفصل المنسي

من التاريخ العالمي؛ لذلك، ليس من شأن ظهور تأثيرها في عملي أن يثير الدهشة.

أفهم أن هذه القضية مملوءة بالتوترات العرقية. يؤلمني أن أرى حججًا تفيد بأن أثينا هي الوحيدة التي يمكنها كتابة *الجبهة الأخيرة*؛ لأن عملها كان يركز على قضايا الشتات الآسيوي. هذا يقلل من كلينا ويقلل من هويتنا ككتّاب.

لا أعرف دوافع الأشخاص الذين يقفون وراء هذه الشائعة، ولكن يمكنني فحسب اعتباره هجومًا مؤذيًا وحقيرًا على علاقتي بشخص أفتقده كثيرًا، وكانت وفاته واحدة من أكثر التجارب الصادمة في حياتي.

لقد أجرى وكيل أعمالي ومحرري تحقيقات مستقلة وخلصوا إلى عدم وجود أي خطأ. لن أتحدث عن هذا الموضوع مرة أخرى.

شكرًا لكم،

جونيبير.

كانت الردود الأولية والتغريدات المقتبسة، بالطبع، قاسية.

كاذبة حقيرة.

هل ألفتِ رواية كانت صديقتك المتوفاة ستعمل عليها؟ يبدو لي أن ذلك مريح للغاية.

هاها، هي ليست حتى جيدة في كتابة الاعتذارات.

يا للقرف! خرجت جوني سونج علينا باعتذارها المزيف، وأراهن أن الأشخاص ذوي البشرة البيضاء سيقفزون للدفاع عنها. أكره هذه الصناعة.

لا نصدق أي كلمة من فمكِ، أيتها العنصرية البشعة.

إذا كانت تلك هي الحقيقة، فلماذا استغرقتِ وقتًا طويلًا لقول أي شيء؟

لكن بعد أن اجتزت الفورة الأولى من الشتائم، أصبح من الواضح أن بياني قد لاقى رد فعل جيدًا، إذ رأيت تحول مقياس الرأي العام من الشك إلى التعاطف في غضون ليلة واحدة.

لقد كانت هذه واحدة من أكثر الحملات وحشية وشراسة التي شاهدتها في حياتي، كما غرد مدون بارز كان محايدًا في هذه الفضيحة حتى تلك اللحظة: عار عليكم جميعًا بسبب الأضرار التي لحقت بجونيبير سونج، وإرث أثينا ليو.

قالت إحدى مدونات الكتب التي تحظى بخمسين ألف متابع على تويتر: متى سنتعلم ألا نُسهم في مشاكل لا نعرف عنها شيئًا؟ لهذا لا يمكننا الحصول على أشياء جيدة.

كما كان هناك تصريح من شياو تشين، والذي تقبلته: هذه الرواية عنصرية جدًّا بحيث بدا أن شخصًا من ذوي البشرة البيضاء فقط يمكنه كتابتها.

بحلول صباح اليوم التالي، اختفى حساب @شبح___أثينا___ليو. وباختفائه اختفت كل المصادر؛ ولم تعد هناك حجة أصلية تدعم الموضوع. أصبحت روابط الاقتباسات لا تعمل؛ ولم تعد التغريدات المقتبسة تقود إلى شيء. كان بعض الناس يثيرون الجلبة منتقدين سرعة القائمين على صناعة النشر في تصديق الشابات من ذوات البشرة البيضاء على حساب الأخريات، ولكن في أماكن أخرى بدا أن الناس يريدون التظاهر بأن كل هذا لم يحدث أبدًا. كنت متأكدة من أنه ظل هناك من يعتقدون أنني فعلت ذلك، لكن لم يوجد دليل ملموس واحد - لم يوجد ما يكفي لتصعيد الأمر إلى إجراءات قانونية. علاوة على ذلك، كانت السيدة ليو هي الشخص الوحيد المخول إليه التصرف نيابة عن إرث أثينا الأدبي. ومن جانبها، لم تصدر أي بيان أو تتواصل معي. لم يكن هناك شيء موثق في هذا السراب، فلم يكن هناك سوى الذاكرة العابرة للعديد من الناس الذين كانوا يصرخون حول لا شيء.

أرسل لي بريت بريدًا إلكترونيًا بأخبار جيدة يوم الاثنين التالي.

> قدمت شركة جرينهاوس بروداكشنز عرضًا بقيمة خمسة عشر ألفًا للحصول على الحقوق. مدة العقد ثمانية عشر شهرًا قابلة للتجديد. ولو جددوا، لحصلتِ على مزيد من المال. سأحاول التفاوض معهم للوصول إلى ثمانية

عشر ألفًا، وأعتقد أنني أستطيع الحصول عليها. سنجعل وكيل الأفلام في شركتنا يراجع العقد للتأكد من وضوح كل شيء، ثم سنرسله إليك للتوقيع. يبدو جيدًا، أليس كذلك؟

كان مبلغ خمسة عشر ألفًا أقل قليلًا مما كنت آمل، بالنظر إلى كل الدعاية، لكن حقيقة أن جرينهاوس قدمت عرضًا يدل على ثقتهم الدائمة بي.

كتبت ردًا: **فقط هكذا؟ ما الذي أخر ردهم إذًا؟**

رد بريت: أوه، إن إيقاع هوليوود بطيء، ثقي بي، يعتبر هذا سريعًا. سأرسل لك الأوراق بنهاية الأسبوع.

عادت الأمور إلى طبيعتها. نشر موقع ديدلاين بيانًا صحفيًا لطيفًا عن صفقة جرينهاوس، وهنأني العديد من الناس على الإنترنت (بدا أن الجميع يظنون أن جاسمين تشانغ هي المخرجة، لكنني لم أصحح المعلومة). انتقلت دورة الأخبار في مجال النشر إلى الفضيحة المثيرة التالية، والتي تتعلق بكاتبة لليافعين أرسلت تهديدات مجهولة بالقتل إلى منافسة لها لأشهر، ثم أخطأت وأرسلت واحدة من بريدها الإلكتروني الحقيقي! (حاولت أن تروج للأمر على أنه مزحة، لكن لم يصدقها أحد، وقد بدأت الكاتبة المتضررة حملة (من فضلك مولني) لجمع أموال لرفع دعوى قضائية للحصول على تعويضات عن الأضرار النفسية).

انخفض معدل تهديدات القتل التي كنت أتلقاها إلى رسالة واحدة أو اثنتين يوميًا، ثم توقفت تمامًا. بدأت أشعر بالأمان لفتح رسائل الغرباء مرة أخرى. في غضون أسبوع، أصبح كل ما أتلقاه في إشعاراتي هو تدفقًا طبيعيًّا من منشورات "تهانينا" وإشارات في أكوام الكتب والمراجعات، والاستفسارات بين الحين والآخر من بعض الأشخاص الذين كانوا يسألون إذا ما كنت سأراجع شخصيًا مخطوطاتهم التي تتكون من خمسمائة صفحة. ضاعت جميع التغريدات السيئة عني في الفضاء الأسود لذاكرة تويتر. بدأت أنام هانئة طوال الليل مرة أخرى. أصبحت أستطيع أن أتناول الطعام دون أن أصاب بالغثيان مجددًا.

أُبرئت ساحتي في محكمة الرأي العام. وطُرد شبح أثينا في الوقت الحالي على الأقل.

الفصل الخامس عشر

ليتني لم أتجاوز تلك المرحلة.

لقد انتهت الضجة أخيرًا، تمامًا كما وعد بريت. لم أعد بحاجة إلى كتم صوت إشعاراتي خوفًا من أن تتسبب في تعطل هاتفي. لم أعد الشخصية الرئيسية على تويتر. لكن هذه هي المشكلة بالضبط؛ كانت شعبيتي تتجه نحو الانحدار.

هكذا كانت دورة حياة كل رواية لا تصبح من الكلاسيكيات. كان قد فات على نشر *الجبهة الأخيرة* ما يقارب العام. لقد تراجعت عن قوائم أفضل الروايات بعد أربعة أشهر. لم تفز الرواية بأي من الجوائز التي رشحت لها، ويُعزى ذلك جزئيًا إلى فضيحة @شبح___أثينا___ليو. بدأت رسائل المعجبين، سواء أكانت إيجابية أو سلبية، في التراجع. توقفت الدعوات من المدارس والمكتبات. لم أسمع أي أخبار من شركة جرينهاوس برودكشنز منذ أن وقعت العقد - وهو أمر شائع فيما بدا؛ إذ تبقى معظم الحقوق التي تم اختيارها دون أن يمسها أحد حتى تنتهي فترة الخيار. توقف الناس عن طلب مقالات الرأي والكتابات مني. وفي الوقت الحاضر، عندما كنت أكتب شيئًا مضحكًا على تويتر، كنت أحصل على خمسين أو ستين إعجابًا كحد أقصى.

لقد جربت أن أكون شخصًا مجهولًا على الإنترنت من قبل، أتمسك بإشارات تويتر الأسبوعية القليلة لرفع هرمون السعادة في جسدي. لكنني لم أدرك أنه حتى

إذا قمت بجذب انتباه عالم الأدب بأسره، فإنه يمكنه أن ينساك في غمضة عين. يذهب القديم ويأتي الجديد المثير الذي يبدو كأنه كاتبة شابة جميلة، تتمتع باللياقة البدنية، تدعى كيمي كاي، والتي أمضت طفولتها تؤدي الألعاب البهلوانية في سيرك متنقل في هاواي، والآن نشرت مذكرات عن قضائها طفولتها في أداء الألعاب البهلوانية في سيرك متنقل في هاواي.

لقد أجريت حساباتي بالفعل، والتي أسفرت عن أنني لن أتضور جوعًا إذا عشت بشكل متواضع، ما يعني البقاء في شقتي الحالية وطلب الطعام الجاهز كل يومين بدلًا من كل يوم، ومن ثم، كنت لأتمكن من العيش للسنوات العشر أو الخمس عشرة المقبلة على أرباحي من *الجبهة الأخيرة* فقط. عادت الطبعة الفاخرة ذات الغلاف المقوى من *الجبهة الأخيرة* مع الطبعة الحادية عشرة. كما صدرت النسخة الورقية مؤخرًا، ما أحدث زيادة لطيفة في المبيعات، فالنسخ الورقية أرخص؛ لذا فهي تُباع بشكل أفضل. لم أكن بحاجة إلى المال، ومن ثم، كان يمكنني الابتعاد عن كل هذا وسأكون بخير تمامًا.

لكن، يا إلهي! أردت العودة إلى دائرة الضوء!

يستمتع المرء بهذه الفيض من الاهتمام عندما ينجح ما يؤلفه، إذ يهيمن على المحادثة الثقافية، ويتمتع بما يشبه اليد الرابحة في الأدب. يريد الجميع إجراء مقابلة معه. الجميع يريد منه أن يكتب مقدمة لما يؤلفونه أو أن يستضيف حدث إطلاقه. يصبح كل ما يقوله مهمًا. إذا أدلى برأي مثير عن عملية الكتابة، أو عن كتب أخرى، أو حتى عن الحياة نفسها، يأخذ الناس كلامه وكأنه الحقيقة المطلقة. إذا أوصى بكتاب على وسائل التواصل الاجتماعي، يقوم الناس فعلًا بالذهاب لشرائه في اليوم نفسه.

لكن وجودك في دائرة الاهتمام لا يدوم أبدًا. لقد رأيت أشخاصًا كانوا من أكثر الكُتاب مبيعًا منذ أقل من ست سنوات يجلسون وحدهم حزانى على طاولات توقيع مهملة، في حين تمتد الطوابير حول الزاوية من أجل زملائهم الأصغر والأكثر إثارة. من الصعب الوصول إلى قمة مثل هذه من المكانة الأدبية الرفيعة بحيث تبقى اسمًا مألوفًا لسنوات، لعقود بعد إصدارك الأخير. لا يحقق ذلك سوى قلة من حائزي جائزة نوبل.. أما البقية منا فيجب عليهم الدوران في حلقة مفرغة محاولين الحفاظ على مكانتهم.

لقد علمت للتو من تويتر أن إيمي تشو الفتاة التي أرشدتها في المجال قد وقعت مع وكيل أدبي سابق لأثينا يُدعى جاريد، وهو سمسار بارز معروف بالصفقات التي تتراوح بين ستة وسبعة أرقام. وباعتباري مرشدتها، كنت سعيدة من أجلها، لكن قلقي كان يتزايد في كل مرة تشارك فيها إيمي أخبارها السارة. كنت أخشى أن تلحق بي، وأن صفقتها المقبلة ربما تشمل مبلغًا مقدمًا أكبر من مقدمي، وأنها قد تبيع حقوق الفيلم لشركة إنتاج قد تبيعها بدورها إلى أستوديو، وأن تفوقني شهرة، وأنه في المرة التالية التي نلتقي فيها في إحدى الفعاليات الأدبية، ستكتفي بتحيتي بنظرة باردة ومتعالية.

تمثلت الطريقة الوحيدة للتقدم في أن أدهش العالم بمشروعي المقبل.

لكن، لم أكن أملك أي فكرة عما قد يكون!

اتصل بريت في أحد الصباحات، على ما يبدو لنتبادل الأخبار. تبادلنا المجاملات لفترة، ثم سأل: "كيف تسير الأمور في عالم الكتابة إذن؟".

كنت أعرف السؤال الحقيقي خلف ذلك، إذ كان الجميع يتزاحمون من أجل نشر فكرتي التالية، وليس فقط لأن صناعة النشر تعاني قصر فترة الانتباه. كان يفكر فيما كانت تفكر فيه دانييلا أيضًا، وهو أنه إذا استطعت إصدار جزء ثان لـ *الجبهة الأخيرة* قريبًا؛ شيء ليس منسوخًا بوضوح أو مرتبطًا بشكل وثيق بأثينا، ولكن لا يزال يحتفظ بتألق جونيبير سونج الغامض، لتمكنّا من التخلص من الشائعات وإلى الأبد.

تنهدت: "لا بد من أن أكون صادقة: ليس لديَّ شيء. لقد نفدت أفكاري. لقد كنت أعبث ببعض المفاهيم في رأسي، لكن لا شيء يثبت".

"حسنًا، لا بأس بذلك". لم أستطع أن أعرف ما إذا كان غاضبًا أم لا. كانت هذه هي المرة الثالثة التي نجري فيها تلك المحادثة، وكنت أعلم أن الوقت يداهمنا. لم يوجد لديَّ موعد نهائي صارم، إذ كنت قد وقعت عقدًا لكتاب واحد مع إيدن، لكن العقد نصّ على أن دانييلا لها الحق في الاطلاع الأول على عملي التالي؛ لذا أراد بريت أن يعرض عليها شيئًا في أقرب وقت، ما دمنا نحظى باهتمامها، وإلا فمن يدري أي ناشرين آخرين قد يرغبون في التعاقد معي؟ قال: "يجب أن تسمحي

للإبداع بأن يتدفق عندما يحين وقته. أعرف ذلك. ولكنَّ لديك رأس مال اجتماعيًا الآن، ومن الأفضل أن تضربي على الحديد عندما يكون ساخنًا ..."

"أعرف، أعرف". ضغطت أصابعي على صدغيَّ. "لا أستطيع أن أفكر في أي شيء يشدني. يجب أن *أهتم* حقًا بشيء. هل تفهم؟ يجب أن يكون له وزن، وأهمية..."

"ليس بالضرورة أن يكون عظيمًا يا جونيبير، إذ لا نسعى للفوز بجائزة بوليتزر، بل لسنا حاجة إلى شيء مثل *الجبهة الأخيرة*". توقف بريت قليلًا ثم أكمل: "يجب أن تنشري شيئًا فقط، كما تعلمين. أي شيء".

"حسنًا يا بريت".

"هل تفهمين ما أقوله؟".

قلت باستهجان: "بوضوح تام".

ودع كل منا الآخر، وأنهى بريت المكالمة. تنهدت وعدت إلى حاسوبي المحمول حيث كنت أحدق إلى مستند الوورد الفارغ نفسه الذي بدا كأنه يتهمني على مدى أسبوعين.

لم تكن المشكلة أن أفكاري نضبت، بل كان لديَّ العديد من الأفكار، كما كان لديَّ متسع من الوقت لتحويل تلك الأفكار إلى مسودات كاملة. فبعد أن هدأت الالتزامات الدعائية لـ *الجبهة الأخيرة*، لم يعد لديَّ أي أعذار تمنعني من الإنتاج. كان بريت محقًا في إلحاحه، فقد ظللت أقدم وعودًا غامضة حول مشاريع قادمة لأكثر من عام، ولم يتحقق شيء.

تمثلت المشكلة في سماعي صوت أثينا كلما جلست للكتابة!

كان من المفترض أن تكون *الجبهة الأخيرة* تعاوننا الأول والأخير، ببحث أثينا وعصفها الذهني، وكتابتي وصقلها. شعرت بتلك الكيمياء الرائعة والغامضة خلال تلك الأسابيع المحمومة، عندما استحضرت صوت كتابتها من القبر ونسقت بينه وبين أسلوبي الخاص. لم أكن معتمدة عليها - بل لم *أحتج* إليها في الكتابة على الإطلاق - لكن التمرين المشترك منحني الثقة في وقت كنت فيه بلا أي ثقة. كما جعل قلمي أكثر تمكنًا وأنا أعلم أنني أكتب على آثار خطواتها.

لكنها الآن، رفضت أن تتركني وحدي بينما أحاول المضي قدمًا. يعترف معظم الكُتاب بأنهم يسمعون "المحرر الداخلي،" وهو الناقد الداخلي الذي يعيب ويعرقل محاولاتهم الخاصة في المسودات الأولى. أما محررتي الداخلية فقد اتخذت شكل أثينا. كانت تراجع وتلغي كل فكرة قصة أحاول تقديمها بتعالٍ. كانت مبتذلة جدًا، ونمطية جدًا، ويغلب عليها طابع ذوي البشرة البيضاء. وكانت أكثر قسوة على مستوى الجمل. كانت تقول: *الإيقاع خاطئ. ذلك التشبيه غير مناسب. هل أنت جادّة؟ فاصلة أخرى طويلة تدل على التردد؟*

لقد حاولت أن أحجبها وأتجاوزها، أن أكتب على الرغم عنها وأغضبها. لكن مع تلك المحاولات، كان صوت ضحكاتها يعلو، وتزداد تهكماتها قسوة، وتشتد شكوكي في ذاتي. مَن أنا لأتخيل أنني يمكنني أن أنجز شيئًا من دونها؟

لقد تماسكت أمام الجمهور، لكن تصرفات جيف على تويتر هزتني أكثر مما أظهرت. "شبح آثينا ليو". يا لغرابة اختيار الاسم! لا شك أنه اُختير ليفاجئ ويستفز، لكنه كان حقيقيًا أكثر مما قصد جيف أو حتى أدرك. لقد ربط شبح أثينا نفسه بي، ويظل يحلق فوق كتفيَّ، ويهمس في أذنيَّ في كل لحظة من يومي.

إنه ضرب من الجنون. في هذه الأيام، بدأت أخشى مجرد التفكير في الكتابة، إذ لم أعد أستطيع الكتابة دون أن أفكر *فيها*. ثم كانت أفكاري تنجرف إلى ما هو أبعد من الكتابة، إلى الذكريات: الليلة الأخيرة، والفطائر، وصوت الحشرجة الذي صدرت عنها وهي تتلوى على الأرضية.

ظننت أنني قد تجاوزت موتها. كنت في حالة نفسية جيدة. *كنت في حالة جيدة. كنت بخير.*

حتى عادت.

لكن أليس هذا ما تفعله الأشباح؟ ألا تعوي، وتئن، وتحول نفسها إلى مشهد من المشاهد؟ أليس هذا ما يفعله شبحها؟ يفعل أي شيء ليذكرك بأنها لا تزال هناك، أي شيء ليمنعك من نسيانها.

يجب أن أعترف: لقد لطخت يدَيَّ مرتين.

في تلك الليلة في شقة أثينا، لم آخذ *الجبهة الأخيرة* فقط، بل أخذت أيضًا مجموعة من الأوراق المبعثرة على مكتبها، بعضها مكتوب باستخدام الآلة الكاتبة، والبعض الآخر مغطى بخط أثينا المتعرج والذي يكاد يكون غير مقروء، مصحوبًا برسوم خطية مجردة لم أتمكن حتى الآن من فهم معناها.

أقسم أنه كان بدافع الفضول فقط. كانت أثينا دائمًا متحفظة جدًا بشأن عمليتها الإبداعية. ووفقًا لوصفها، بدا الأمر كما لو أن الإلهام يسقط القصص مكتملة الجوانب جاهزة للفوز بالجوائز في عقلها مباشرة. كنت فقط أرغب في إلقاء نظرة داخل رأسها لأرى ما إذا كانت أفكارها الأولية تشبه أفكاري.

اتضح أننا نبدأ الكتابة بطرق متشابهة جدًا. كانت تبدأ بكلمات أو عبارات عشوائية، بعضها أصلي، وبعضها الآخر واضح أنه كلمات أغانٍ أو تعديلات طفيفة على خطوط أدبية مشهورة أخرى: *حين وصلت، كان روك قد مات بالفعل؛ الفتى الآتي من العدم؛ كانت ليلة مظلمة ولكنها رائعة؛ إذا ضربتك، فهل ستبدو الصفعة وكأنها قبلة؟*

وضعت أوراقها على مكتبي، وجلست أحدق إليها باحثة عن خيط من الإلهام. لم أستطع إخراج صوت أثينا من رأسي، لكن ربما يمكنني العمل معه. ربما يمكنني إجبار شبحها على العودة إلى الخدمة وإحياء تلك الكيمياء غير المقدسة التي غذت *الجبهة الأخيرة*.

كان هناك عدد قليل من الجمل المكتملة وفقرة واحدة مكتملة فحسب. كانت مكتوبة يدويًا، تبدأ هكذا:

إنها تسير في كوابيسي، وتدلف إلى ممر مظلم لا ينتهي، وكلما ناديت باسمها، لا تلتفت أبدًا. يترك فستانها خطوطًا مبللة على السجاد. تملأ الدماء والخدوش ذراعيها الشاحبتين. علمت أنها قد قتلت الدب، وعلمت أنها قد هربت من الغابة. تحركت الآن متعجلة وأنا أسارع بترك الماضي كما فعل أورفيوس، مقلوبًا، كأنها لو لم تلتفت خلفها، فلن يكون له وجود. لقد نسيت أنني محاصرة هنا، عاجزة عن التحرك، عاجزة عن جعلها تلاحظني. لقد نسيتني تمامًا.

لا أعرف كيف أشرح ما قد يحدث بعد ذلك. فكأن القصة كانت موجودة في قلبي، تنتظر أن تُروى، وصوت أثينا هو التعويذة التي تستدرجها. فجأة، تبددت عقدة الكتابة، وانفتحت أبواب خيالي على مصاريعها.

استطعت رؤية شكل القصة بكاملها: المشهد الافتتاحي، ومواضيعها الأساسية، ونهايتها الصادمة والحتمية على حد سواء. بطلتنا هي فتاة حافية القدمين، ساحرة شابة تطارد أمها الخالدة عبر الأبدية، وتكشف أسرارها فقط لتجمع المزيد من الأجوبة عن نفسها وموطنها. كانت بمثابة استكشاف غير دقيق لمشاعري تجاه أمي: كيف تحولت فجأة بعد وفاة والدي؛ كيف حُبست بالكامل تلك الفتاة المغامرة التي كانت عليها يومًا، التي ربما لم تكن مختلفة عني كثيرًا. كانت تدور حول الرغبة في أن تعرف مَن هم والداك والاحتياج إلى أشياء من والديك لن تحصل عليها أبدًا.

عندما يكون ذهنك حاضرًا، لا تبدو الكتابة كصَنعة مُتعبة، بل بالأحرى وكأنها عملية تذكُّر، وكأنك تخرج شيئًا كان مقيدًا داخلك طوال الوقت وتحوله إلى كتابة. تدفقت القصة مني، فقرة بعد فقرة، حتى رفعت رأسي وأدركت أن الفجر قد اقترب، وأنني قد كتبت ما يقرب من عشرة آلاف كلمة باندفاع محموم.

لم يزعجني شبح أثينا ولو لمرة واحدة. أخيرًا، وصلت إلى مشروع حتى هي لا تستطيع أن تجد فيه شائبة.

رسمت مخططًا لبقية القصة وأعددت جدول عمل لنفسي: بمعدل ألفي كلمة يوميًا، ومع مراعاة الوقت للتعديلات والتصحيحات، سأتمكن من إنهاء هذه الرواية في أقل من شهر. ثم، قبل أن أستغرق في النوم، كتبت عنوانًا في أعلى الوثيقة: *الساحرة الأم*.

لا يستطيع أي شخص بكامل قواه العقلية أن يصف هذا بالسرقة. هذا هو أكثر الأمور تعقيدًا في هذه الفوضى كلها. *الساحرة الأم* هي إبداعي الأصلي. اقتصرت مساهمة أثينا على بضع جمل، ربما بعض الصور الكامنة. لقد كانت المحفز فحسب، لا أكثر. من يدري إلى أين كانت ستأخذ باقي القصة؟ أنا بالتأكيد لا أعرف - وأراهن أنه، أيًا كان ذلك، فإنه لم يكن ليشبه ما سأنشره في النهاية.

ومع ذلك، فهذه القصة هي ما حطمتني.

لكن أولًا، دعني أخبرك عن المرة التي سرقت فيها أثينا مني أفكاري.

لقد أصبحنا صديقتين في بداية عامنا الجامعي الأول. تم تسكيننا معًا في الطابق نفسه في مهجع الطلاب والذي أصبح تلقائيًا دائرتنا الاجتماعية في

الأسابيع الأولى. كنا نتناول جميع وجباتنا معًا، ونذهب للتسوق لأغراض السكن معًا، ونأخذ حافلة بيل إلى تريدر جو لشراء جبنة الفلفل جاك وزبدة البسكويت، ونلتقي في الغرف المشتركة في الليالي المتأخرة، ونتجول في شوارع وسط نيو هافن في ليالي الجمعة مرتديات التنانير القصيرة والقمصان الضيقة، ونترقب كالصقور الضوضاء والأضواء التي تشير إلى وجود حفلة، على أمل أن نعرف أصدقاء مشتركين ويسمح أحدهم لنا بالدخول.

لقد تآلفت وأثينا فورًا بسبب حبنا للرواية نفسها؛ *الأبله* لإليف باتومان. قالت أثينا معبرة بوضوح عن كل ما شعرت به تجاه الرواية: "إنها القصة الجامعية المثالية، إذ تصف بدقة تلك الفجوة بين رغبتنا في أن يعرفنا الآخرون وخوفنا من أن يفهمونا في الوقت عينه، حين لا نكون متأكدين من هويتنا. إنها ليست مجرد ترجمة بين الروسية والإنجليزية، بل عن ترجمة هوية غير مكتملة، لقد أحببتها حقًا". كنا نذهب معًا إلى أمسيات المواهب الحرة في مقاهي الكتب والحفلات التي يقيمها طلاب السنة الأعلى في ندواتنا الأدبية في الشقق. ومن أواخر أغسطس حتى سبتمبر، كنت أقنع نفسي بأنني الفتاة التي ستحظى بصداقة تلك الفتاة الرائعة المميزة.

في أول عطلة نهاية أسبوع من أكتوبر، خرجت مع طالب لطيف في السنة الثانية يدعى أندرو: شخص لاحظته في محاضرات التاريخ العالمي لكنني لم أتمكن من استجماع شجاعتي للتحدث معه حتى التقينا في إحدى حفلات دلتا فاي. كان كل منا يبحث فقط عن شخص يعقد معه صداقة. وما إن دار بيننا حديث مقتضب حتى بدأنا نحكي تفاصيل حياتنا. لا أستطيع تذكر ما إذا كانت صداقة جيدة أم لا، كل ما أتذكره هو أنها كانت مبالغًا فيها، لكنني شعرت بأننا كنا نقوم بما هو متوقع، وكان ذلك في حد ذاته يبدو كأنه إنجاز. قبل أن يجرني أصدقائي إلى المنزل، وضعت رقمي على هاتفه. ولحسن الحظ، أرسل لي رسالة في اليوم التالي، ودعاني إلى بيته في الجمعة التالية لمشاهدة حلقة من *شيرلوك* أثناء حضور زميله في السكن تمرين فرسبي الليلي.

كان ما حدث بعد ذلك عاديًا، ما يجعله غير أهل للوصف. كان ممسكًا بزجاجة مياه فوارة كبيرة. تجرعت منها الكثير وبسرعة في فورة من الإثارة. لم نتمكن من مشاهدة *شيرلوك*. في الصباح التالي، بدا كل شيء طبيعيًا عدا بعض الكدمات

الأرجوانية حول عنقي. كان كل شيء ضبابيًا، فقد نمت وأنا أرتدي عدساتي اللاصقة. وكانت عيناي جافتين، ما جعلني أفتحهما بصعوبة. كان أندرو نائمًا بكامل ملابسه. لم يستفق حتى عندما خرجت من السرير، وكنت في غاية الامتنان لذلك.

وجدت حذائي ذا الكعب العالي، فارتديته وسرت مترنحة في طريق عودتي العودة إلى غرفتي في السكن.

كنت بخير طوال عطلة الأسبوع. لم أخرج مرة أخرى، على الرغم من أن نصف الفتيات اللاتي كنت أعرفهن كن يتزين استعدادًا لأمسية تعريفية في ناد نسائي. بقيت في المهجع، واستمتعت بليلة شاهدت فيها عدة أفلام وتناولت الفيشار مع بعض الفتيات في طابقي، وحاولت قراءة مواد الدورة الدراسية. كان الجو يزداد برودة في الخارج؛ كنت أرتدي القمصان ذات الرقبة العالية والأوشحة لإخفاء الندبات على رقبتي. في غرفتي، حيث لم أتمكن من إخفاء رقبتي العارية عن زميلتي في الغرفة ميشيل، فمازحتني عن عطلة الأسبوع المجنونة التي قضيتها، وكان هذا آخر ما تحدثنا عنه.

لم يرسل لي أندرو أي رسالة نصية منذ مغادرتي غرفته، ولم يزعجني ذلك كثيرًا. لم أعر الأمر كله أي اهتمام، وكنت فخورة بذلك. شعرت بالنضج والإنجاز. لقد ارتبطت بطالب في السنة الثانية. طالب *لطيف* في السنة الثانية. كان عظم هذا الأمر يملؤني بالبهجة. عبرت جسرًا إلى مرحلة البلوغ؛ لقد "ارتبطت" بشخص ما، كما يقول الشباب. وكنت بخير.

لكن في الأسبوع التالي، بدأت أعاني استرجاع الذكريات. كان وجه أندرو يظهر في ذهني خلال المحاضرات: واضحًا، قريبًا، بذقنه الخشن وأنفاسه التي فاحت منها رائحة القرفة. كنت أشعر بعدم القدرة على التنفس ولا التحرك دون أن أشعر بموجات من الدوار. كنت أشطح بخيالي، متصورة أسوأ السيناريوهات الممكنة. هل يمكن أن أكون حاملًا؟ هل أصبت بفيروس نقص المناعة البشرية، أم فيروس الورم الحليمي، أم الهربس، أم الإيدز؟ هل سيتعفن رحمي في داخلي؟ هل يجب أن أذهب إلى عيادة الحرم الجامعي؟ إذا ذهبت إلى عيادة الحرم، هل سيكلفني هذا مئات الدولارات التي لم أكن حتى أمتلكها؟ هل كانت أمي قد ألغت خطة التأمين الطلابي؟ لم أستطع تذكر ذلك. هل سأموت بسبب خطأ غبي ارتكبته، شيء لم أكن حتى مستيقظة أثناء حدوثه؟

لم يرسل لي أندرو أي رسالة حتى الساعة الثانية صباحًا يوم السبت التالي: مرحبًا، هل أنت مستيقظة؟ رأيتها عندما استيقظت للتبول وحذفتها، على أمل أن أجنب نفسي تذكر وجوده.

لكنني لم أستطع إخراج وجهه، ورائحته، ولمسته من ذهني. بدأتُ المواظبة على أخذ دش طويل للغاية، ثلاث أو أربع مرات في اليوم. لم أنفك أرى كوابيس أجده فيها يقيدني فأعجز عن الحركة أو الصراخ. أيقظتني ميشيل وهي تهز كتفي بلطف، وسألتني باعتذار ودبلوماسية إذا ما كان لدي سدادات أذن يمكنها استعارتها؛ لأن لديها جلسة مناقشة الساعة الثامنة صباحًا وكنت أزعج دورة نومها العميقة. كنت أجد نفسي أبكي عشوائيًا في فترات ما بعد الظهر غارقة في كراهية الذات على نحو جعلني أفكر في الانضمام إلى مجموعة دراسة دينية للطلاب، على الرغم من أنني ابتعدت عن ممارسة طقوسي الدينية قليلًا بعد وفاة والدي لأن أحد رجال الدين أخبرني بأن أبي سيذهب إلى الجحيم. فكرت في العودة فقط لأنني كنت أرغب في شيء يمكن أن يساعدني على فهم قناعتي الرجعية، لكن ما زالت مقتنعة تمامًا، بأنني فاسدة على نحو غير قابل للإصلاح، ومستغَلة، وقذرة.

أوقفتني أثينا في أحد الأيام أثناء عودتي من قاعة الطعام وقالت: "مرحبًا يا جونيبير؟". في ذلك الوقت، كانت أثينا الوحيدة التي تستخدم اسمي الكامل، وهو عادة حافظت عليها حتى مرحلة البلوغ، حيث كانت تنادي تاشاس بـ"ناتاشا" وويلز بـ"ويليام"، كما لو أن هذا الإصرار على الشكل الرسمي للعلاقات سيرتقي بالجميع في الحديث. (وكان يفعل.) لمست ذراعي. كانت أصابعها ناعمة وباردة. سألتني: "هل أنت بخير؟".

لعل ذلك كان يُعزى لكتماني كل شيء لفترة طويلة، أو لأنها كانت أول شخص في ييل ينظر إليّ حقًا ويدرك أن هناك خطبًا ما، لكنني انفجرت على الفور في بكاءٍ عالٍ وقبيح.

قالت وهي تدلك ظهري بلطف: "هيا، لنذهب إلى غرفتي".

أمسكت أثينا بيدي وأنا أروي لها كل شيء بين بكاء متقطع. تحدثت معي عن خياراتي، وجعلتني أطلع على قائمة موارد الحرم الجامعي، وساعدتني في اتخاذ قراري إذا ما كنت أرغب في طلب المشورة (نعم) أو الإبلاغ عن أندرو إلى شرطة الحرم الجامعي لمحاولة تقديم بلاغ (لا). رافقتني إلى موعدي الأول مع الدكتورة

جايلي، حيث تم تشخيص حالتي بالاضطراب، وتخلصت من كل تلك المشاعر السلبية الذي كنت أحملها منذ وفاة والدي، وتعلمت آليات التكيف التي ما زلت أستخدمها حتى اليوم. كانت أثينا تترك وجبات جاهزة من الكافيتيريا خارج باب غرفتي عندما تلاحظ أنني لم أذهب إلى العشاء. أرسلت لي صورًا لجراء في أوقات متأخرة من الليل مع تعليق: **أرجو أن تحلمي بشيء لطيف كهذا!**

وعلى مدى أسبوعين، كانت أثينا ليو صديقتي المقربة. كنت أظنها طيبة جدًا وأننا سنظل صديقتين إلى الأبد.

لكن صداقات السنة الأولى لا تدوم. بحلول الفصل الدراسي الثاني، كنت أتحرك في دوائري الخاصة، وكانت هي في دوائرها الخاصة. كنا نبتسم ونلوح عندما تصادف إحدانا الأخرى في قاعة الطعام. كنا نترك إعجابًا بمنشوراتنا على فيسبوك. لكننا لم نعد نتحدث لساعات على أرضيات غرفنا، أو نتبادل القصص عن الكُتاب الذين كنا نأمل في لقائهم والفضائح الأدبية التي قرأنا عنها على تويتر. لم نعد نرسل الرسائل النصية لبعضنا بعضًا أثناء الدروس. قلت في نفسي: لعل ضخامة السر الذي شاركته معها قد قضت على صداقة حقيقية في مهدها. للحميمية مستويات مناسبة. لا يمكنك أن تقولي لصديقة: "أعتقد أنني تعرضت للاعتداء، لكنني لست متأكدة" إلا بعد مرور ثلاثة أشهر على الأقل على صداقتكما.

تجاوزنا جميعًا الأمر. نسيت أندرو، أو على الأقل دفنته عميقًا في طيات ذهني بحيث لم يظهر مرة أخرى إلا في جلسات العلاج بعد سنوات عديدة، إذ يتمتع دماغ الفتاة في السنة الأولى بقدرة مدهشة على النسيان الانتقائي؛ أعتقد أن هذا رد فعل للبقاء على قيد الحياة. كونت صداقات جديدة وأقرب، ولم يكن أي من أصدقائي الجدد ليعرف ما حدث. تلاشت الندبات على رقبتي. استقرت حياتي في ييل، وتوقفت عن الذهاب إلى الحفلات التي كنت أتصرف فيها بحماقة، وانغمست في دراستي.

لكن بعد ذلك، نُشرَت أول قصة قصيرة لأثينا في إحدى المجلات الأدبية البديلة في ييل، وهي مجلة مبتذلة بعنوان *أوروبوروس*. كان هذا أمرًا جللا، إذ لا يُنشر لطلاب السنة الأولى في *أوروبوروس* على حد علمي، وقررنا جميعًا شراء نسخ لدعمها. أخذت نسختي المطبوعة إلى غرفتي لقراءتها. شعرت بشيء من الغيرة – لقد قدمت قصتي الخاصة منذ شهور وقد رُفضت بشكل قاطع في غضون يوم واحد

- لكنني أردت أن أبدو كصديقة داعمة؛ لذا قررت أن أقرأ ما يكفي لأكتشف بعض السطور الذكية، ثم أذكرها لأثينا في المرة التالية التي أراها فيها.

فتحت المجلة على الصفحة الثانية عشرة، قصة أثينا، ووجدت كلماتي الخاصة تحدق إليَّ!

لكنها لم تكن *كلماتي* تمامًا، بل مشاعري فحسب، كل أفكاري المشوشة والمربكة، مُصاغة بأسلوب نقي وبسيط لكن متطور. لم أكن أتمتع في ذلك الوقت بالبلاغة التي تمكنني من التعبير عن مشاعري بتلك الطريقة.

روت الشخصية الرئيسية: *والأسوأ من ذلك كان أنني لم أعرف، لم أستطع حقًا أن أتأكد إذا ما كنت قد تعرضت للاعتداء، إذا ما كنت أريده، إذا كان قد حدث شيء على الإطلاق، إذا كنت سعيدة لأنه لم يحدث شيء، أو إذا كنت أرغب في أن يحدث شيء فقط لكي أتمكن من جعله يبدو أكثر أهمية مما كان عليه. لم أجد أي ذكرى، ولا بقايا خجل، ولا ألم. كل شيء قد تلاشى. ولم أعرف ماذا أفعل مع هذا الخواء.*

قرأت القصة من البداية إلى النهاية مرارًا وتكرارًا. وفي كل مرة كنت أكتشف المزيد والمزيد من التشابهات، وأتعرف على تفاصيل شخصية تم تغييرها إما بتراخ مذهل أو عدم اكتراث. كان اسم الشاب أنطوني، واسم الفتاة جيليان. كانا يشربان عصير الليمون بالفراولة، وقد تعرفا في قسم الفلسفة القديمة نفسه، ثم دعاها لمشاهدته فيلم *الهوبيت*.

قلت لأثينا على العشاء: "أعجبتني قصتك" وقد ثبتت عيني عليها متحدية إياها لإنكار ذلك ولسان حالي يقول *أعرف ما فعلته*.

التقت عيناها بعيني، وابتسمت لي ابتسامة مهذبة، خالية من أي شيء – مثل التي كانت ستقدمها لاحقًا بانتظام للمعجبين على طاولات التوقيع. قالت: "شكرًا يا جونيبير. لطيف منك أن تقولي ذلك".

لم نتحدث مرة أخرى عن تلك القصة، أو عما حدث مع أندرو.

لعلها كانت مجرد مصادفة. كنا فتيات صغيرات وهشات في السنة الأولى في جامعة كبيرة حيث تحدث مثل هذه الأشياء. لم تكن قصتي مميزة، بل كانت عادية تمامًا. ليس كل فتاة لديها قصة اعتداء. ولكن تقريبًا كل فتاة لديها قصة بها عبارات: "لست متأكدة، لم أكن مرتاحة، لكن لا أستطيع أن أسميه اعتداء".

لكنني، مع ذلك، لم أستطع تجاهل التشابه بين العبارات التي استخدمتها عند وصف ألمي والعبارات التي استخدمتها أثينا في قصتها. لم أستطع أن أفصل أسلوب أثينا الأدبي عن ذكرى عينيها البنيتين الوديعتين، المرتجفتين بتعاطف بينما كنت أخبرها بكل شيء مظلم وقبيح في قلبي بين نشيج مختنق.

لقد سرقت قصتي. كنت مقتنعة بذلك. لقد سرقت كلماتي من فمي. لقد فعلت الشيء نفسه مع كل من تعاملت معهم طوال مسيرتها، وبصراحة، إذا كان من المفترض أن أشعر بالندم على انتقامي، فسحقًا لذلك الشعور.

لاقت *الساحرة الأم* استقبالًا معتدلًا - الكثير من الإشادة النقدية، ولكن مبيعات متواضعة. كنا نتوقع ذلك، إذ كانت رواية قصيرة، لا رواية كاملة. لم أستطع التفكير في طريقة لتطويلها لأكثر من أربعين ألف كلمة. ويعد سوق تلك النوعية من الكتب دائمًا أصغر. قمت بجولة في ثلاث مدن في المكتبات في واشنطن، وبوسطن، ونيويورك، حيث من الأسهل تجميع جمهور من عشاق الكتب في أي يوم جمعة. حظيت هذه الجولات بحضور جيد. لم يطرح أحد أسئلة قاسية حول مؤهلاتي العرقية، ولم يذكر أحد فضيحة السرقة الأدبية.

جاء الاستقبال النقدي جيدا على نحو فاجأني بعض الشيء. فمن *كيركوس*، جاءت مراجعة مميزة بنجمة: "قصة هادئة ومؤثرة عن الخيانة والبراءة المفقودة". ومن *مكتبة جورنال*، جاءت مراجعة مميزة بنجمة كذلك: "تُثبت جونيبير سونج قدرتها على معالجة المواضيع الناضجة في سياقات بعيدة تمامًا عن الحرب العالمية الأولى". وجاء أعظم إنجاز لنا في *نيويورك تايمز* التي كنت أعلم أن دانييلا بذلت جهدًا للحصول عليه: "إذا كانت هناك أي شكوك في أن جونيبير سونج لا تنتج أعمالها الخاصة، فقد قطعت *الساحرة الأم* دابر تلك المخاوف تمامًا: هذه الفتاة كاتبة بارعة".

كان هناك شيء غير مريح بشأن كل هذا الهدوء. بدت الأمور هادئة جدًا وخانقة مثل الهدوء الذي يسبق العاصفة. لكنني كنت في غاية الارتياح، وجاهزة للتصديق أنني ربما تركت كل المتاعب خلفي. بدأت بالفعل أفكر في العقد التالي، وفي خيارات الفيلم المحتملة للحقوق الحالية. ربما لم تكن *الساحرة الأم* مادة

للأفلام الضخمة، ولكن يمكن إنتاج مسلسل تلفزيوني هادئ ومرموق لها على غرار *أكاذيب كبيرة صغيرة* أو *حرائق صغيرة في كل مكان*. يجب أن يتصل أحدهم بريس ويذرسبون للإنتاج. يجب أن يتم التعاقد مع إيمي آدامز للعب دور الأم. يجب أن يتم التعاقد مع آنا كيندريك للعب دوري.

سمحت لنفسي بالاسترخاء وملأت رأسي بالأحلام. بعد كل هذا الوقت، توقفت عن سماع شبح أثينا في كل مرة أجلس فيها للكتابة.

لكن كان يجب أن أعرف أن ذلك لن يدوم.

الفصل السادس عشر

بعد أسبوعين من إصدار الساحرة الأم، نشرت أديل سباركس - ساتو منشورًا على مدونتها بعنوان: "الساحرة الأم مسروقة أيضًا، وقد نفد صبري تمامًا من جوني هايوارد".

لمحت التنبيه من جوجل وأنا على وشك الدخول إلى الحمام، فجلست على الفراش وأمسكت بالمنشفة حولي بإحكام ثم نقرت الرابط.

> مثل كثير منكم، شعرت بالفضول عندما أعلنت دار نشر إيدن أن جوني هايوارد، التي تكتب تحت اسم جونيبير سونج، ستصدر رواية قصيرة مستقلة، فبعد الاتهامات التي طالت الجبهة الأخيرة، شككت في قدرتها على كتابة عمل بالجودة نفسها، خصوصًا الآن بعد أن لم تعد هناك أي أعمال متبقية لأثينا لتسرق منها، أو هذا ما كنا نعتقده جميعًا. لم أصدق عيني عندما قرأت الصفحة الأولى.
>
> تبدأ رواية الساحرة الأم بجمل مطابقة تمامًا لإحدى القصص التي عرضتها أثينا ليو في ورشة عمل جمعية الكُتاب الأمريكيين الآسيويين الصيفية عام 2018. ليس مثل هذا التشابه من قبيل المصادفة. وإليكم الدليل.

أرفقت أديل أسفل المنشور لقطات شاشة من مستندات جوجل وصورًا لمخططات قصص مطبوعة تتضمن تعليقات مكتوبة بخط اليد، بالإضافة إلى العديد من التواريخ والشهادات الداعمة التي تجعل من المستحيل أن تكون هذه الاتهامات ملفقة.

في حال ظنَّ أحد أن هذا مجرد خدعة مُتقنة، فقد تواصلتُ مع ثمانية من المشاركين في ورشة العمل تلك السنة. لا يمتلك أحد نسخًا مطبوعة من أعمال ذلك الصيف، لكنهم جميعًا أكدوا تذكُّرهم لعمل أثينا. وقد أرفقوا أسماءهم بهذا التقرير على سبيل التأييد. إن لم تصدقوا شهادتي، ففكروا في أهمية شهاداتنا مجتمعة.

كان الجدل حول ملكية الجبهة الأخيرة مملوءًا بالتوتر ومقلقًا للكثيرين في مجتمع الشتات الآسيوي، فالعديد منا، وأنا منهم، لم نرغب في تصديق أن شخصًا ما قد يفعل شيئًا بهذا القدر من الخسة أو الأنانية. وكان الكثير منا على استعداد لتصديق جوني.

لكن بهذه الأدلة، لم يعد هناك شك بشأن نوايا هايوارد. هايوارد ووكيلها بريت آدامز وفريقها في دار نشر إيدن لديهم الآن خيار لاتخاذ موقف حول المساءلة، والشفافية، والتزامهم المزعوم بالعدالة.

أما الباقون فسيراقبون.

وضعت هاتفي جانبًا. كانت المياه تجري منذ نحو عشر دقائق، لكنني لم أستطع استجماع قوة الإرادة لإغلاقها. كل ما استطعت فعله هو الجلوس على حافة فراشي، والتنفس ببطء فيما كان العالم يضيق من حولي حتى أصبح كالنقطة.

عندما رأيت لأول مرة تغريدات جيف تحت حساب @شبح___أثينا___ليو، انغمست في نوبة قلق استمرت لساعات. هذه المرة، بدا رد فعلي مختلفًا بشكل غريب. شعرت كأنني مغمورة تحت الماء. بدا كل شيء معيبًا ومشوهًا. شعرت على نحو ما بأنني أكثر هدوءًا وأكثر خوفًا في الوقت نفسه. ربما لأن هذه المرة، لم يكن

ثمة شك فيما سيحدث بعد ذلك. هذه المرة، لم يكن هناك منفذ لدحض الحقيقة، ولم يكن ليتغير شيئًا سواء أحاولت السيطرة على الرأي العام أم لا. لم أكن بحاجة لأن أتساءل عما يفكر فيه أصدقائي وزملائي عني، أو عما إذا كانوا سيصدقون نفيي. كان كل شيء واضحًا ومكتوبًا وموثقًا. ما سيحدث لاحقًا سيحدث، بغض النظر عما قد أقوله أو أفعله.

ضبطت هاتفي على وضع "عدم الإزعاج". أدخلت جهاز الآيباد في أحد الأدراج ثم أغلقت حاسوبي المحمول. التقطت زجاجة مياه فوارة من فوق ثلاجتي- كانت هدية من دانييلا بمناسبة وجودي لثلاثة أشهر متتالية في قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعًا - وجلست أمام الأريكة أشاهد حلقات قديمة من مسلسل الأصدقاء، وأشرب مباشرة من الزجاجة حتى غلبني النوم.

ليقم الإنترنت بعمله أثناء غيابي. عندما أواجه الفوضى، فالأفضل أن أستقبلها دفعة واحدة.

استيقظت في صباح اليوم التالي لأكتشف أنني فقدت ألف متابع. كان العدد قيد النقصان، وأخذ يتضاءل شيئًا فشيئًا أمام عيني. هذه المرة، لم أحتج إلى البحث عن اسمي لمتابعة النقاش. كان كل شيء واضحًا، منتشرًا على صفحتي الرئيسية وفي إشعاراتي.

كنت أعلم ذلك عن جونيبير سونج.

جوني هايوارد تضرب من جديد!

ألن تتوقف هذه السافلة أبدًا؟

استيقظوا أيها الناشرون، لقد عادت الساحرة البيضاء الشريرة!

في المرة السابقة، أبقيت حساباتي على وسائل التواصل الاجتماعي نشطة - جزئيًا لكي أتابع ما يُقال، وجزئيًا لأنني خشيت أن يُعتبر تعطيلها اعترافًا بالذنب.

هذه المرة، أصبح ذنبي أمرًا محسومًا، فصار كل ما بإمكاني التفكير فيه هو التحكم في الأضرار، ويعني ذلك إدارة التهديدات الموجهة إلى سلامتي الشخصية. حذفت حسابي على تويتر، وجعلت حسابي على إنستجرام خاصًا. أوقفت الإشعارات من بريدي الإلكتروني المتاح للعامة. كنت لأتلقى تهديدات بالقتل، ولكن على الأقل، بهذه الطريقة، لم أكن لأعرف فور وصولها.

قام شخص ما بتعديل صفحتي على ويكيبيديا لتُقرأ: "جونيبير سونج هايوارد "روائية"، وسارقة نصوص متسلسلة، وعنصرية مريعة". تمت إزالة هذا السطر خلال ساعة - ويبدو أنه لويكيبيديا متطلبات حد أدنى من اللياقة. بيد أن قسم "السرقات الأدبية" في سيرتي الذاتية بقي كما يلي:

"في مارس 2020، نشرت الناقدة الأدبية أديل سباركس-ساتو مقالًا زعمت فيه أن الفقرة الأولى من رواية هايوارد القصيرة، الساحرة الأم، هي نسخة مطابقة حرفيًا للفقرة الأولى من قصة غير منشورة بعنوان هي للروائية الراحلة أثينا ليو. أضيفت هذه المزاعم إلى شكوك طويلة الأمد بأن هايوارد سرقت أيضًا رواية الجبهة الأخيرة من ليو، على الرغم من عدم وجود دليل قاطع يثبت صحة ذلك. أصدرت دانييلا وودهاوس، محررة هايوارد، بيانًا موجزًا قالت فيه إن دار نشر إيدن على علم بهذه المزاعم وتقوم بالتحقيق في الأمر".

رَنَّ هاتفي ست مرات في ذلك اليوم. كانت جميع المكالمات من بريت. لم أرد. سأجيب حين أتأكد من قدرتي على سماع خبر طردي دون أن أجهش بالبكاء.

في الوقت الحالي، شعرت بنوع من المتعة المنحرفة وأنا أشاهد كل شيء يتداعى.

على مدار الأسبوع التالي، انهارت جميع علاقاتي في عالم النشر، إذ طُلِب مني مغادرة مجموعتين مهنيتين على فيسبوك وثلاث مجموعات على تطبيق سلاك كنت قد انضممت إليها خلال العام الماضي. تجاهلني أصدقائي المزعومون من الكُتاب كلهم بلا استثناء، حتى أولئك الذين أعلنوا قبل بضعة أشهر أنهم يقفون في صفي ضد الغوغاء!

لم يبق لي أحد ألجأ إليه سوى فتيات إيدن.

كتبت في رسالة نصية: يا إلهي، يحدث الأمر مجددًا. وعندما لم يرد أحد، وهو أمر غير معتاد، ذلك أن جين مدمنة على هاتفها - تابعت بعد بضع ساعات برسالة: أمر بوقت عصيب للغاية الآن، هل يمكن أن تكون إحداكن متاحة للحديث؟

تجاهلنني لثلاثة أيام. أخيرًا كتبت مارني: مرحبًا، جوني. آسفة؛ كنت مشغولة جدًا خلال الأيام القليلة الماضية. كنت أنقل منزلي.

أما جين، فلم ترد على الإطلاق.

كان من المفترض أن موعد جلستي الشهرية مع المتدربة الخاصة بي، إيمي تشو، يوم الجمعة. ولكن في ظهر يوم الخميس، تلقيت بريدًا إلكترونيًا من منسق برنامج التوجيه قال فيه:

> مرحبًا جونيبير، لا تعتقد إيمي أن الاستمرار في علاقة التوجيه معك فكرة جيدة، وقد طلبت منا تمرير هذه الرسالة إليك. شكرًا على كل ما قدمته لإيمي ولبرنامجنا.

يا لوقاحتها! كان بإمكان إيمي على الأقل أن تستجمع شجاعتها لتقول ذلك لي وجهًا لوجه. ربما كان هذا غير حكيم، لكنني رددت على منسق البرنامج: شكرًا لإخباري. هل تعرف ما إذا كان لدى إيمي أي ملاحظات على أسلوبي في التوجيه حتى أتمكن من أخذها في الاعتبار مستقبلًا؟

ما أردت معرفته حقًا هو ما إذا كانت إيمي تتحدث عني بالسوء. لم أكن أتوقع ردًا، لكن الرد وصل إلى بريدي الإلكتروني في وقت لاحق من تلك الليلة: تشعر إيمي أن لديكما تصورات شديدة الاختلاف عن كيفية عمل هذه الصناعة. كما تطلب منك عدم التواصل معها بأي شكل سواء أكان مباشرًا أو غير مباشر بعد الآن.

في يوم الجمعة، أجبرت نفسي على النهوض من الفراش وتهيأت قدر استطاعتي لاجتماع الفيديو مع فريقي في إيدن. أخيرًا رددت على إحدى مكالمات بريت في الليلة السابقة، بعد أن أرسلت لي روري رسالة نصية تسألني ما إذا كنت على قيد الحياة: أرسل لي وكيلك بريدًا إلكترونيًا. قال إنك لا تردين عليه، وكان قلقًا عليك. ما الذي يحدث؟ هل كل شيء على ما يرام؟

قال لي بريت عندما رددت عليه: "تريد دانييلا تريد التحدث إليك بأسرع وقت ممكن، لقد حددنا اجتماع زووم غدًا الساعة الثانية". بدا متعبًا، ولم يسألني حتى إذا كانت المزاعم صحيحة.

كان بريت متصلًا الآن، وكان جميع موظفي إيدن على الشاشة نفسها جلوسًا حول طاولة المؤتمر: دانييلا، وجيسيكا، وإميلي، ورجل ذو شعر أحمر لم أكن قد رأيته من قبل. لم يبتسم أحد، بل حتى لم يلوح لي أحد بالتحية عندما انضممت إلى المكالمة.

"مرحبًا يا جوني. أنا هنا مع جيسيكا وإميلي، وتود بيرن من القسم القانوني". كان صوت دانييلا باردًا ومنخفضًا، ما جعلني أعرف أنها غاضبة.

قال بريت بفتور: "وأنا هنا أيضًا".

قلت بصوت ضعيف: "مرحبًا يا تود". لم يخبرني أحد بأنهم أحضروا لي محاميًا. اكتفى تود بالإيماء لي. حينئذ أدركت أن تود لم يكن موجودًا ليساندني، بل ليساندهم.

سألت محاوِلة التماسك بالبدء في حديث غير مهم: "أين كانديس؟".

قالت دانييلا: "أوه، كانديس لم تعد هنا، لقد غادرت منذ فترة".

"أوه". انتظرت، لكن دانييلا لم تذكر أي تفاصيل. حاولت ألا أفكر كثيرًا في الأمر، إذ يأتي مساعدو التحرير ويذهبون طوال الوقت، فهم موظفون مبتدئون يتقاضون أجورًا منخفضة في أغلى مدينة في العالم، كما يعانون سوء المعاملة، ويتم تجاهلهم، ويعملون بجد في ظل فرص ضئيلة للتقدم. يتطلب الأمر عزيمة خارقة للاستمرار في النشر. لعل كانديس لم تتحمل. أكملت: "هذا مؤسف".

تنحنحت دانييلا: "لنبدأ مباشرة فيما أتينا للتحدث عنه، أليس كذلك؟ جوني، إذا كان هناك شيء يجب أن نعرفه، عليك أن تخبرينا به الآن".

لسعني أنفي. ولدهشتي، أدركت أنني على وشك الانخراط في البكاء.

قلت: "لم أفعلها، أقسم بالله. ليست سرقة أدبية، فكل شيء من إبداعي الخاص، خاصة الساحرة الأم".

قاطعني تود: "خاصة؟ ماذا تعنين؟".

قلت بسرعة: "أعني أن الجبهة الأخيرة كانت مستوحاة من محادثات مع أثينا، لكنها ميتة الآن، بالطبع، وليست موجودة لأتحدث معها أثناء كتابة الساحرة الأم؛ لذا فإن أسلوب الكتابة لا يشبه أسلوبها كثيرًا ..."

قالت جيسيكا: "ليس هذا ما تدعيه أديل سباركس-ساتووو". نطقت اسم عائلة أديل كما لو كانت تقرأ مكونًا غريبًا من قائمة تسوق "يبدو أنها خرجت إلى العلن ببعض الأدلة التي تبدو قاطعة..."

صرخت: "دائمًا ما تتحدث أديل عن خرافات. آسفة. لا - أعني، أتفهم موقفها؛ أقدر سبب حرصها على إرث أثينا. ومع ذلك، نعم، لقد استوحيت تلك الجملة من سطر كتبته أثينا مرة. رأيت - ممم، كانت هي من أطلعتني عليها في دفتر ملاحظاتها. لكن القصة أصلية تمامًا، فهي مستوحاة من علاقتي مع والدتي، في الواقع، أعني، مثلًا، يمكنك الاتصال بها حتى..."

قالت دانييلا: "لا أعتقد أن ذلك سيكون ضروريًا، ماذا عن الجبهة الأخيرة إذًا؟ هل هي أصلية تمامًا؟".

تهدج صوتي: "تعرفونني يا رفاق".

قالت دانييلا: "يمكنك أن تخبرينا، فنحن في فريقك. نحتاج إلى معرفة أي شيء أو أي نوع من التعاون يثبت أنكِ لست المؤلف الوحيد، ما زال يمكننا إنجاح الأمر. ربما نستطيع إعداد اتفاقية تقاسم حقوق الملكية مع تركة أثينا، ثم إصدار بيان صحفي عن التأليف المشترك حيث تشرحين أنك شعرت بأنك بحاجة لتحقيق العدالة لعمل صديقتك، وأنك لم تنوِ خداع أي شخص. ثم ربما يمكننا إنشاء مؤسسة باسم أثينا."

كانت تتحدث كما لو كانت متأكدة من أنني مذنبة.

قاطعتهم: "مهلًا. لا، انظروا، أقسم بالله - إنها ملكي، هذا المشروع لي. كتبت كل كلمة بنفسي". كان هذا صحيحًا تمامًا، فأنا من صنعت الجبهة الأخيرة. كانت نسخة أثينا غير قابلة للنشر على الإطلاق. لقد رأى هذا الكتاب النور بفضلي.

سأل تود: "هل لديكِ إثبات على ذلك؟ مسودات مبكرة، أو بريد إلكتروني بتاريخ قديم، أعني نوعًا من التوثيق يمكننا التحقق منه؟".

"حسنًا، لا، لأنني لست من النوع الذي يرسل الأشياء إلى بريدي الخاص".

تدخل بريت: "هل هناك أي دليل على أنه تم سرقته؟ أعني، هل نفترض أن جوني مذنبة حتى تثبت براءتها؟ هذا أمر سخيف. ألم تصدروا كتابًا عن إصلاح العدالة الجنائية؟".

قالت دانييلا: "نحن لا نضطهد جوني، بل نحاول حمايتها، فحسب من أجل سمعتها وسمعة إيدن ..."

ضغط بريت: "إذًا، هل نحن مهددون بدعوى قضائية؟ هل رفعت عائلة أثينا دعوى قضائية بوقف النشر، أم أن كل ما يحدث الآن مجرد تدابير احترازية؟".

اعترف تود: "إنها تدابير احترازية، حاليًا، يمكن احتواء قضية حقوق الطبع والنشر بسهولة. أقرباء أثينا - الممثلون في باتريشيا ليو والدتها- لم يعربوا عن رغبتهم في رفع دعوى قضائية للحصول على التعويضات من أجل الضرر، وأما عن الساحرة الأم فإذا حذفنا أو أعدنا كتابة الفقرة الافتتاحية، فلن نواجه مشكلة في باقي العمل..."

شعرت ببصيص أمل. كان قرار السيدة ليو بعدم مقاضاتي خبرًا جديدًا بالنسبة لي. كنت أعتقد أنني سأجد نفسي مطالبة بدفع آلاف الدولارات. "إذًا، الوضع بخير، أليس كذلك؟".

تنحنحت دانييلا: "حسنًا، لا تزال هناك مشكلة تتعلق بالتصور العام. يجب أن نكون واضحين بشأن الرواية التي سنعتمدها. هذا ما نحاول القيام به هنا: التأكد من صحة جميع التفاصيل حتى نكون متفقين. لذا، إذا كان بإمكان جوني أن تعيد روايتها الدقيقة حول كيفية كتابتها لـ الجبهة الأخيرة والساحرة الأم بهدف التوضيح ..."

" الجبهة الأخيرة هي عمل أصلي غير مقتبس، من تأليفي بالكامل، مستوحى من محادثاتي مع أثينا". حاولت الحافظ على ثبات صوتي. لكني كنت مرعوبة. مع ذلك شعرت بأن الأرض أصبحت أكثر صلابة تحت قدميَّ، خاصة بعدما تأكدت أن الناشر لن يتخلى عني. كانوا يحاولون مساعدتي. كان كل ما عليَّ عمله هو تقديم القصة بالصيغة المناسبة، كي ينجح الأمر. تابعت: "تستمد الساحرة الأم الفقرة الأولى من إحدى مسودات أثينا غير المنشورة، لكنها بخلاف ذلك، عمل أصلي بالكامل لي أيضًا. أكتب أعمالي بنفسي، صدقوني".

سادت لحظة صمت. تبادلت دانييلا وتود النظرات وقد بدا عليهما الاهتمام.

قال تود: "حسنًا، إذًا، سنحتاج هذا مكتوبًا، بالطبع، لكن إذا كان هذا كل ما فعلته، يمكننا احتواء الأمر بسهولة".

سأل بريت: "هل يمكننا تفادي كل هذه الضجة؟".

تردد تود وأجاب: "هذا في الواقع سؤال يخص قسم الدعاية"...

قلت: "ربما أستطيع إصدار بيان، أو ربما أجري مقابلة، لتوضيح كل شيء. معظم ما يحدث هو مجرد سوء تفاهم - ربما لو فعلت ذلك فحسب..."

قالت دانييلا بحزم: "أعتقد أن أفضل شيء بالنسبة لك الآن هو التركيز على عملك المقبل. ستصدر إيدن بيانًا نيابة عنك، وسنرسله لك للموافقة عليه هذا المساء".

تدخلت إميلي قائلة: "نشعر جميعًا بأنه من الأفضل في هذه الأثناء أن تبقي نفسكِ بعيدًا عن وسائل التواصل الاجتماعي. ولكن إذا كنتِ ترغبين في إعلان مشروع جديد أو شيء تعملين عليه حاليًا ..."

فهمت ما كانت تعنيه. كان عليَّ أن أصمت، وأبتعد عن الأضواء، وأثبت أنني قادرة على تأليف كتبي بنفسي. ويفضل أن يكون شيئًا ليست له علاقة بأثينا ليو اللعينة.

قالت دانييلا محاولة تأكيد أهمية الأمر: " علام تعملين الآن؟ بريت، أعلم أنه ليس هناك عقد بيننا، ولكن لدينا الحق في الاطلاع أولًا، فإذا كان هناك أي شيء يمكنكِ مشاركته معنا ..."

أجبت بصوت أجش: "أحاول أن أنتج شيئًا جديدًا. كان كل ما حدث محبطًا جدًّا، لذلك كنت مشوشة ..."

قاطعني بريت: "لكن سيكون لديها شيء جديد قريبًا، سأتواصل معها عندما يكون لديها شيء جديد. هل يبدو هذا جيدًا للجميع؟ ستصلح جوني الفقرة الأولى بأسرع ما يمكن، وسأعاود التواصل معكم الأسبوع المقبل عندما يكون لدينا عرض أو ما شابه؟".

هز تود كتفيه، إذ انتهى دوره في هذا الأمر. أومأت دانييلا برأسها بالموافقة. تبادلنا جميعًا بعض كلمات المجاملة المتعلقة بمدى أهمية التواصل وتوضيح كل شيء شخصيًا، ثم أنهت دانييلا الاجتماع على زووم.

اتصل بي بريت بعد ذلك مباشرة لمتابعة الأمر.

سألته ببؤس: "هل يكرهونني؟ هل سئمت دانييلا مني؟".

"لا، لا، اهدئي قليلًا. ليس الوضع بالسوء الذي يبدو عليه، ويعد أي نوع من الجدل جيدًا للتسويق المجاني. نتوقع أن نجد زيادة في عائداتك في فترة الدفع المقبلة".

"ماذا؟ حقًا؟".

"حسنًا - إليكِ الأمر. لم نرد أن نخبرك بذلك عبر زووم، لكن يبدو أن تلك الجلبة قد جذبت الكثير من المعلقين اليمينيين. ودعينا نتكلم بصراحة، ربما ليسوا أشخاصًا تريدين لاسمك الارتباط بهم. لكنهم يحوِّلون هذه القضية إلى مسألة حرب ثقافية، ودائمًا ما يجذب ذلك الانتباه؛ لذا فإن المبيعات... تزداد. ومن الجميل دائمًا أن تكون المبيعات في ارتفاع".

لم أستطع أن أصدق ذلك. كان هذا هو أول خبر سار أسمعه طوال الأسبوع، فسألته: "كم نسبة الزيادة بالضبط؟".

"بما يكفي للحصول على مكافأة".

بدا وقتًا غريبًا للاحتفال، وقد يكون هذا غير مناسب على الإطلاق، لكن في عقلي، وضعت ملاحظة ذهنية لأشتري أخيرًا تلك الأريكة التي كنت أتمنى شراءها من أيكيا. ستكون جميلة بجانب رفوف الكتب.

صدرت عني ضحكة هستيرية: "لقد بدا كأن دانييلا تريد قتلي. أعني، كانت غاضبة للغاية..."

قال بريت: "أوه، لا دانييلا لا تهتم حقًا، بل يجب عليها أن تقوم بعملها، كما تفهمين. ولكن في النهاية، ما يهم حقًا هو التدفق النقدي. ستقف إيدن معك، إذ تجلبين الكثير من المال لهم، ما لا يجعلهم يتراجعون الآن. هل تشعرين بتحسن؟".

تنفست بعمق: "نعم، أشعر بتحسن كبير، رائع! حسنًا".

" هل ستعملين على شيء جديد إذًا؟".

"أعتقد أنني يجب أن أفعل ذلك، أليس كذلك؟".

ضحك بريت: "سيكون ذلك جيدًا. اكتبي بعض الأفكار لتعرضيها على دانييلا الأسبوع المقبل. لستِ مضطرة لكتابة مشروع كامل. قدمي بعض الأفكار فحسب كي تعرف أنكِ ما زلتِ قادرة على الكتابة، لكن ليس عن فتاة صينية، اتفقنا؟".

ضحكت: "ها ها ها"، وأغلقت الهاتف.

دق هاتفي مرة أخرى في تلك الليلة بعد أن طلبتُ بعض البيتزا للعشاء. ضغطت على زر الرد الأخضر معتقدةً أنه سائق التوصيل. قلت: "مرحبًا؟".

"جوني؟" ثم ساد الصمت للحظات قبل أن تقول: "أنا باتريشيا ليو، والدة أثينا".

يا إلهي!. شعرت برغبة في إغلاق الهاتف وإلقائه في الغرفة. لكن ذلك كان ليجعل الأمور أسوأ، فستعلم وقتها أنني أخشى التحدث معها، ستفترض أشياء حول السبب، وسأظل طوال الليل في حالة من الذعر مما كانت ستقوله لي. كان من الأفضل أن أواجه الأمر الآن وأنتهي منه. إذا كانت قد غيَّرت رأيها بشأن رفع دعوى تعويضات، يجب أن يعرف بريت وفريق إيدن بذلك. لم أستطع كبح صوتي الذي كان يرتجف. قلت: "مرحبًا يا سيدة ليو".

"مرحبًا". بدا صوتها مكتومًا وناحبًا. تساءلتُ إذا كانت تبكي. "أتصل لأن... حسنًا، لا توجد طريقة سهلة لقول هذا".

"سيدة ليو، أعتقد أنني أعرف..."

"اتصلت بي امرأة تُدعى أديل سباركس- ساتو هذا الصباح. كانت تريد أن تعرف ما إذا كانت دفاتر ملاحظات مسودة أثينا بحوزتي، وإذا كان بإمكانها الاطلاع عليها".

لم تفصِّل أكثر، ما اضطرني للسؤال: "حسنًا؟".

"حسنًا، كانت تلمح إلى أنك قد سرقتِ الجبهة الأخيرة من أثينا. وأرادت الاطلاع على دفاتر ملاحظات أثينا لترى إذا كان هناك أي دليل على أن أثينا كانت تعمل على هذا المشروع".

ضغطت بيدي على جبيني. قُضي الأمر. كنت أظن أنها تتصل بشأن الساحرة الأم، لكن كان هذا أسوأ بكثير. قلت: "سيدة ليو، لا أعرف ماذا أقول".

"لقد رفضت بالطبع". توقف قلبي لوهلة. تابعت السيدة ليو: "لا أحب التواصل مع الغرباء -على أية حال، قلت لها أن تعطيني بعض الوقت للتفكير في الأمر. وقررت أن أتحدث إليك أولاً". سكتت مرة أخرى. كنت أعلم ما الذي تريد أن تسأله؛ لم تكن

على نحو يكفي لتقول ذلك. تخيلتها تقف في مطبخها، وأظافرها تغرز في راحة يدها، وتحاول أن تنطق بصوت عالٍ وتصرخ باحتمالية أن آخر شخص رأى ابنتها على قيد الحياة ربما قد سرق أيضًا عملها العظيم. "جوني... " ارتجف صوتها. سمعتها تلتقط أنفاسها. "كما تعلمين يا جوني، لا أرغب حقًا في فتح تلك الدفاتر".

وكان السؤال التالي، غير المعلن: هل يجب أن أفتحها؟

صدقًا، في تلك اللحظة، أردت أن أعترف.

لقد كانت هذه هي اللحظة الأفضل، الوقت المناسب، للاعتراف بالحقيقة. فكرت في آخر حديث دار بيننا قبل عامين، حينما زرت منزلها. قالت لي السيدة ليو فيما كنت أنهض للمغادرة: "كم كنت أتمنى أن أتمكن من قراءة آخر رواية لها، فنادرًا ما كانت أثينا تفتح قلبها لي. لم تتشابه قراءة أعمالها مع معرفة أفكارها، لكنها كانت على الأقل جزءًا منها قررت أن تسمح لي برؤيته". لقد سلبت ذلك منها. لقد حرمت أمًا من آخر كلمات ابنتها. إذا أخبرتها بالحقيقة الآن، ستحصل السيدة ليو على تلك الكلمات مرة أخرى. سترى الجهد الذي شغل السنوات الأخيرة من حياة أثينا.

لكن لم يسعني أن أنهار الآن!

لقد كان هذا هو مفتاح الحفاظ على عقلي طوال تلك الفترة: التمسك بالموقف والحفاظ على براءتي. فإزاء كل ذلك، لم أضعف مرة واحدة، ولم أعترف بالسرقة لأي شخص. والآن، أصبح من السهل عليَّ أن أصدق الكذبة الممثلة في كون جهودي هي التي جعلت الجبهة الأخيرة تنجح كل ذلك النجاح، وأنها في نهاية المطاف روايتي. لقد شكلت الحقيقة بطريقة يمكنني من خلالها التعايش معها بسلام. إذا أخبرت السيدة ليو بعكس ذلك، فسينهار كل شيء. كنت لأدق المسمار الأخير في نعشي بنفسي. وربما كان العالم ينهار من حولي بغض النظر عن ذلك، لكنني لم أكن لأدع كل شيء يفلت من يدي إذا كان هناك حتى أقل أمل في إنقاذه.

أخذت نفسًا عميقًا: "سيدة ليو. لقد عملت بجد شديد على الجبهة الأخيرة. دمي وعرقي في ذلك الكتاب".

"أفهم ذلك".

"لقد كانت ابنتك كاتبة استثنائية. وأنا أيضًا كذلك. وأعتقد أن تجاهل أي من هاتين الحقيقتين يؤذي إرثها، ومستقبلي". كنت ماهرة بالكلمات. كنت أعرف

كيف أكذب دون أن أكذب، وكنت أعلم، على مستوى ما، أن السيدة ليو قد فهمت ما أقوله حقًا. كنت متأكدة من أنها تعرف، إذا أعطت إذنًا لأديل سباركس- ساتو، ماذا سيجدون في دفاتر ملاحظات أثينا.

لكنها كانت أيضًا مرعوبة مما يكمن داخل تلك الملاحظات. أصبح هذا أكثر وضوحًا الآن من أي وقت مضى. كنت أتحدث إلى أم، وعندما يتعلق الأمر بالحقيقة، فإنها تفضل ألا تواجه ما تخفيه روح ابنتها. لم يكن هناك أم تريد أن تعرف عن طفلتها بهذا القدر. وها هي شروط اتفاقنا: ستحتفظ بأسراري، ما دامت لن تضطر أبدًا لمواجهة أسرار أثينا.

قالت السيدة ليو: "حسنًا، شكرًا لكِ يا جوني".

قبل أن تنهي السيدة ليو المكالمة، فوجئت بلساني ينفلت قائلًا: "سيدة ليو، بالنسبة لـ *الساحرة الأم* ... " وهنا توقفت عن الكلام. لم أكن متأكدة مما أريد قوله، أو إذا كان من الحكمة قول أي شيء على الإطلاق. قال لي تود إن السيدة ليو لن تقاضيني بسبب الأضرار، لكنني كرهت أن تظل هذه المسألة مثقلة كاهلي إلى هذا الحد. أردت تأكيدًا من فم السيدة ليو نفسها أن هذه المشكلة ستنتهي. "أعني، لا أعرف ما إذا كنت قد سمعت، لكنني سأعيد كتابة الفقرة الافتتاحية..."

تنهدت: "أوه. جوني. أنا لا يهمني ذلك".

قلت: "حقًا هو عمل أصلي. لقد نسخت - أو بمعنى أدق اقتبست - الفقرة الأولى. لا أعرف كيف، أعتقد أننا كنا نتبادل المقاطع، وانتهى الأمر في مفكرتي بطريقة ما، ومنذ ذلك الحين نسيت - ولكن على أي حال، بقية القصة ... "

قالت السيدة ليو بشيء من القسوة: "أعرف يا جوني. لم تكن أثينا لتكتب شيئًا كهذا".

قبل أن أتمكن من سؤالها عما تعنيه، أنهت المكالمة.

الفصل السابع عشر

قبيل نهاية الشهر، استقرت الأمور حيث اتخذت جميع الأطراف المعنية قراراتها، وغدوت مكروهة على الإنترنت، ومصدر عار وإحراج لصناعة النشر، وعلاقتي مع الناشر على حافة الهاوية.

على الأقل، لم أكن مفلسة. ووفقًا لمعظم المقاييس الخارجية، كنت ناجحة. كنتُ أشغل تلك المساحة الغريبة حيث تكرهني النسبة الصغيرة من قراء الكتب الذين يكونون في اتصال دائم بالإنترنت، في حين ظل بقية المشترين الأمريكيين للكتب مهتمين برواياتي. لم يزل القرَّاء يشترون كتبي من رفوف العروض في متاجر "تارجت"و"بوكس-إيه-ميليون". وعلى الرغم من التماس تداولتاه أديل سباركس-ساتو وديانا كيو لإجبار إيدن على سحب جميع رواياتي من الرفوف حتى يتم إجراء تحقيق من طرف ثالث (وهو طلب وهمي)، لم تنخفض مبيعاتي.

في الواقع، ازدادت المبيعات على النقيض مما يحدث. كان بريت محقًا بشأن خلق الفضائح تسويقًا مجانيًا. قال في آخر رسائله الإلكترونية: سأخبرك هذا بشكل غير رسمي حتى وصول بيان الأرباح، لكن مبيعاتك هذا الشهر تقريبًا بلغت ضعف ما كانت عليه في الفترة نفسها من العام الماضي!

لم يتطلب الأمر سوى القليل من الاستكشاف في الزوايا الأكثر ظلامًا على الإنترنت لمعرفة ما يجري. جعلني دعاة حرية التعبير من أقصى اليمين قضيتهم

الشـهيرة. أصبحـت أنـا ووجهـي الجميـل ذو الملامـح الأنجلوساكسـونية الضحيـة المثاليـة لحشـد إلغـاء الثقافـة مـن اليسـار الفاشـي. (يبـدو أن أقصـى اليميـن يهتـم كثيـرًا بالإجـراءات القانونيـة، ولكـن فقـط عندمـا يكـون المتهـم قـد ارتكـب فعلـة مثـل الاعتـداء الجنسـي أو السـرقة الأدبيـة ذات الدوافـع العنصريـة). حـث مذيـع مشـهور فـي قنـاة فوكـس نيـوز ملاييـن مـن مشـاهديه علـى دعمـي كـي لا تقـوم إيـدن باسـتبعادي مـن قائمتهـا، مـا خلـق وضعًـا غريبًـا، إذ بـدأ الآلاف مـن المعنييـن بالسياسـة فـي شـراء كتـاب يتنـاول معانـاة العمـال الصينييـن. مـررت لـي مسـئولة العلاقـات العامـة طلبًـا لإجـراء مقابلـة مـع إحـدى ممثـلات يوتيـوب الشـهيرات، لكننـي رفضـت عندمـا اكتشـفت أن معظـم فيديوهاتهـا التـي حققـت انتشـارًا واسـعًا تحمـل عناويـن مثـل: شـاهدني وأنـا أخفـي مسدسًـا فـي محاضـرة اقتصـاد، هاهاهـا وليبراليـة حساسـة تُفحَـم بالحقائـق حـول الإجهـاض.

حسـنًا، نعـم، أعلـم كيـف يبـدو هـذا سـيئًا، فمثـل تايلـور سـويفت، لـم تكـن لـديَّ أي نيـة لأن أصبـح دميـة باربـي للعنصرييـن مـن ذوي البشـرة البيضـاء. كان واضحًـا أننـي لسـت مـن مؤيـدي الحـزب الجمهـوري، بـل الديمقراطـي، ولكـن لـو كانـت الفئـة الأخيـرة تقبـل أمـوالًا، فهـل مـن الخطـأ أن أقبلهـا؟ أليـس مـن الأفضـل أن نسـتغل العنصرييـن ونأخـذ أموالهـم كلمـا أتيحـت لنـا الفرصـة؟

هاكـم كيـف اسـتقرت الأمـور. فقـدت سـمعتي، لكننـي لـم أنـدثر تمامًـا، وظللـت أتمتـع بدخـل ثابـت فـي المسـتقبل المنظـور. كان مـن الممكـن أن تصبـح الأمـور أسـوأ. ربمـا أضعـت كل فرصـي فـي عالـم النشـر، لكـن هـذا لـم يعـنِ أن حياتـي قـد انتهـت. كنـت أمتلـك مدخـرات أكثـر مـن معظـم الأشـخاص فـي مثـل عمـري. ربمـا حـان الوقـت للتوقـف والأمـور لا تـزال فـي صالحـي.

علـى مـدى الأسـابيع التاليـة، رحـت أفكـر فـي اعتـزال الكتابـة تمامًـا. ربمـا كانـت والدتـي محقـة طـوال الوقـت؛ ربمـا لـم تكـن مهنـة طويلـة الأمـد مثـل تلـك مقـدَّرة لـي. ربمـا يجـب أن أتعامـل مـع الجبهـة الأخيـرة كمنصـة انطـلاق لتأسـيس نفسـي فـي وظيفـة أخـرى، فقـد أصبـح لـديَّ مـا يكفـي مـن المـال لدفـع تكاليـف أي درجـة دراسـات عليـا مهنيـة، ومعـدل تراكمـي مرتفـع بمـا يكفـي مـن إحـدى جامعـات آيفـي ليـج لدخـول معظـم برامـج القانـون أو الأعمـال فـي أفضـل عشـر جامعـات. ربمـا سـأدرس لاختبـار القبـول فـي

كلية الحقوق (إل إس إيه تي)، وربما سألتحق ببعض برامج التأهيل عبر الإنترنت في التحليل الكمي ثم أدخل مجال الاستشارات.

كان أمرًا جذابًا، يجعل احتمال الحصول على وظيفة مستقرة بساعات عمل وفوائد محددة بوضوح ذلك أن كونك من ذوي البشرة البيضاء لا يجعلك مملًا ومكرّرًا، بل على العكس، فإنك تكون شخصًا عاديًا ومطلوبًا بشدة، فلا مزيد من التصفح الهستيري، ولا مزيد من المنافسات الفارغة، ولا مزيد من إعادة قراءة رسائل البريد الإلكتروني ألف مرة لمحاولة معرفة ما إذا كان مدير التسويق يكرهك أم لا.

لكن لم أستطع أن أترك الشيء الوحيد الذي يمنح حياتي معنى.

كانت الكتابة هي أقرب شيء واقعي إلى السحر الحقيقي، إذ كانت تعني خلق شيء من العدم، فتح آفاق جديدة. تمنحك الكتابة القوة لتشكيل عالمك الخاص عندما يصبح العالم الحقيقي مؤلمًا للغاية. سيكون التوقف عن الكتابة بمثابة موت لي. لن أتمكن أبدًا من دخول مكتبة دون لمس أغلفة الكتب بشوق، والتفكير في العملية التحريرية الطويلة التي أوصلت هذه العناوين إلى الرفوف، واسترجاع ذكرياتي الخاصة. وسأقضي بقية حياتي تأكلني الغيرة في كل مرة تحصل فيها فتاة، مثل إيمي تشو، على عقد كتاب، أو أسمع عن شاب واعد يعيش الحياة التي كان ينبغي أن أعيشها.

شكلت الكتابة جوهر هويتي منذ أن كنت طفلة. بعد وفاة والدي، وبعد أن انطوت والدتي على نفسها، وبعد أن قررت روري أن تمضي في حياتها بعيدًا عني، لقد منحتني الكتابة سببًا للبقاء على قيد الحياة. وبقدر ما تجعلني بائسة، سأتمسك بذلك السحر ما دمت حية.

كانت المشكلة التي تواجهني تتمثل في عدم امتلاكي أي أفكار جديدة أرسلها لدانييلا. كما أن لا شيء من أفكاري القديمة أضحى صالحًا. استخرجت بعض المسودات من المشاريع السابقة من الصندوق المجازي، لكن جميع حبكاتها أصبحت بالنسبة لي مملة، أو تقليدية، أو سخيفة تمامًا:

كوميديا رومانسية موجهة للمراهقين عن فتاة تقع في حب شاب مات منذ مائة عام. (كل ما فيها أجواء دون حبكة، وهي مستوحاة بشكل كبير من إعجابي بتمثال ناثان هيل في الحرم الجامعي أيام دراستي الجامعية).

عاشقان يتجسدان مرة بعد أخرى في النسخة نفسها من قصتهما المأساوية عبر القرون، حتى يتمكنا من كسر الدورة. (الفكرة رائعة، لكنها مرهقة جدًا للبحث في فترات تاريخية متعددة. أعني، ما الشيء اللطيف في أجواء القرن الثامن عشر؟)

فتاة يقتلها خطيبها السابق وتعود كروح تحاول إنقاذ ضحيته التالية، لكنها تفشل باستمرار. في النهاية، تشكل الفتيات المقتولات فريقًا من الأشباح وينجحن في إدخاله السجن. (حسنًا، هذه الفكرة تحمل شيئًا من الأمل، لكن "نتفليكس" أطلقت للتو نسخة حديثة من قصة اللحية الزرقاء، ولا أريد أن أُتَّهم بالسرقة الأدبية مجددًا).

تصفحت ويكيبيديا والموسوعة البريطانية، بحثًا عن معلومات تاريخية واعدة يمكن التوسع فيها. ربما أكتب عن الناجين الصينيين المفقودين من سفينة تيتانيك. أو لعلي أكتب عن المتسولين في جبل الذهب، أو عن وحدة شرطة نيويورك لمكافحة العصابات الآسيوية، التي أطلق عليها اسم فرقة اليشب، أليس هذا اسمًا رائعًا لإحدى الروايات أو ربما أكتب عن المافيا الصينية. ألف باتريك رادن كيف رواية واقعية مذهلة عن زعيمة تهريب صينية عملت في مدينة نيويورك لسنوات. ماذا لو قدمت نسخة خيالية عن حياتها؟

لكن لماذا الهوس بالصين؟ لماذا أحصر نفسي؟ أليس من المفترض أن أتمكن من الكتابة بالقدر نفسه عن المهاجرين الروس أو اللاجئين الأفارقة؟ لم أرغب يومًا في أن أحصر علامتي الروائية في الصين. حدث ذلك مصادفة فحسب. أعتقد أن أحد أجدادي أو أجداد أجدادي قد يكون من أهل الشرق الأوسط؛ يمكنني الاتصال بإحدى عماتي للسؤال واستخدام ذلك كجسر للتاريخ وأساطير الشرق الأوسط. وكنت أعلم بالتأكيد أن والدتي تحدثت من قبل عن وجود بعض التراث الشيروكي في عائلتنا لعل هذا يستحق البحث، وربما توجد قصة عن اكتشاف روابط لم أكن أعرف حتى بوجودها.

بصراحة، كان العمل المطلوب من أجل الكتابة الجديدة يخيفني، وبما أنني كنت قد أنجزت كل هذا البحث بالفعل من أجل الجبهة الأخيرة، فإن القصص المستوحاة من الصين بدت أسهل قليلًا، إذ كان لديَّ معرفة كبيرة بالتاريخ والنقاط السياسية الحالية ذات الصلة. كما أنني كنت بالفعل أتحدث لغة المصطلحات اللازمة. كان كل ما أحتاج إليه هو فكرة رئيسية.

التقيت مرة بشاعرة كانت تحمل دفترًا صغيرًا في كل مكان تذهب إليه وتدون ملاحظة لاذعة واحدة على الأقل عن كل لقاء مرّت به خلال اليوم. كان شعر عاملة المقهى أرجوانيًا باهتًا. أطالت المرأة على الطاولة المجاورة نطقها كلمة "نعم " وكأنها تحاول كسب الوقت. نطق الحارس اسم الرئيس بفتور وكأن عملة نحاسية صدئة انحشرت في حلقه!

قالت الشاعرة: " لا أبتكر بقدر ما أجمع ما حولي، فالعالم غني بالفعل. كل ما أفعله هو تقطير الفوضى البشرية إلى تجربة قراءة مركزة".

جربت الشيء نفسه في أحد الأيام أثناء قضاء بعض المشاوير في واشنطن العاصمة. سجلت بعض الملاحظات عن المغسلة - *كانت مزدحمة، وصاحبها كان إما* يونانيًا أو روسيًا، فهل يُعتبر من العنصرية أنني لم أتمكن من التمييز بينهما؟ - وكذلك عن متجر تريدر جو في شارع كيه - في كل مرة كانت تزوره، بدت الرفوف مليئة بالوعود العضوية، لكنها في النهاية كانت تغادر دائمًا بالحقيبة نفسها المليئة بكعك الزنجبيل والمكرونة الفيتوتشيني المخصصة للميكروويف. شعرت بأنني باحثة ومراقبة بارعة وأنا أدون ملاحظاتي عند طاولة الحساب، لكن عندما عدت إلى المنزل، لم أتمكن من العثور على أي إلهام بين ما كتبته. كان كل شيء يبدو باهتًا. لا أحد يريد أن يقرأ عن سياسات الطعام الخاصة بتريدر مينج.

كنت بحاجة إلى مزيد من التعمق. كنت بحاجة إلى الكتابة عن أشياء لا يراها ذوو البشرة البيضاء يوميًا.

في ظهر اليوم التالي، استقللت الخط الأخضر متجهةً إلى الحي الصيني، ورغم أنني عشت في واشنطن العاصمة لما يقرب من خمس سنوات، لم أزره من قبل. شعرت ببعض التوجس، فقد قرأت على موقع ريديت أن الحي الصيني في واشنطن يسجل أعلى معدلات الجريمة في المدينة، وعندما خرجت من محطة المترو، بدا المكان بأكمله في حالة من الفوضى والإهمال تبعث على القلق. مشيت ويدي مدسوسة في جيبي، وأصابعي محكمة حول هاتفي ومحفظتي، متمنية لو أنني أحضرت معي رذاذ الفلفل.

وبخت نفسي: توقفي عن التصرف كفتاة متوترة من ذوات البشرة البيضاء، هناك أشخاص حقيقيون يعيشون هنا، إنها ليست ساحة حرب. لن أتمكن من معرفة قصصهم إذا تصرفتُ كأنني سائحة متوترة.

تجولت بجانب دار العبادة والتقطت صورة لقوس الصداقة الذي رحب بي في الحي الصيني بدرجات زاهية من اللون الفيروزي والذهبي. لم أفهم ما تعنيه الأحرف الموجودة على اللافتة الوسطى؛ كان يجب أن أبحث عن معناها لاحقًا.

بخلاف ذلك، لم يبدُ أن الحي الصيني يقدم الكثير في المجال الثقافي. مررت بجانب مقهى ستاربكس، ومطعم روبي تيوزداي، ومتجر ريتا، ومتجر بيد باث آند بيوند. كانت أسماء تلك المتاجر جميعها مكتوبة بالصينية بخط ذهبي أو أحمر فخم، لكنها من الداخل كانت تحتوي على المنتجات نفسها التي تجدها في أي مكان آخر. الغريب أنني لم أرَ الكثير من الصينيين في المنطقة. كنت قد قرأت مقالًا منذ فترة يزعم أن الحي الصيني في واشنطن العاصمة قد تعرض لعملية تحسين حضري عنيفة على حساب السكان الأصليين، لكني لم أكن أتوقع أن يبدو مشابهًا لأي شارع آخر في العاصمة.

شعرت بجوع شديد، فدخلت إلى أول مطعم بسيط رأيته. كان مطعمًا يُدعى فطائر مستر شين. كان اسمه الإنجليزي صعب الرؤية بين اللافتات الصينية وقصاصات تريب أدفايزر التي ملأت نافذة العرض. كان المكان يبدو متواضعًا بعض الشيء. الطاولات متشققة، والنوافذ مغطاة بطبقة دهنية. ولكن، أليست هذه سمات المطاعم الصينية الأصيلة؟ أتذكر أنني قرأت هذا على تويتر ذات مرة. إذا كان المطعم الصيني لا يبذل أي جهد في تحسين مظهره، فهذه علامة على أن الطعام مذهل، أو أن المالكين لا يهتمون إطلاقًا.

كنت الشخص الوحيد في المكان، ولم يكن هذا بالضرورة علامة سيئة. نظرت إلى ساعتي فوجدتها تشير إلى الرابعة بعد الظهر، وهو وقت متأخر لتناول الغداء ومبكر لتناول العشاء. وضعت النادلة أمامي كوب ماء متسخًا وقائمة بلاستيكية بأنواع الطعام في صمت، ثم ابتعدت دون أن تنبس ببنت شفة.

بدوت غبية وأنا ألقي نظرة حولي. كان من الواضح أنني اقتحمت فترة استراحة الموظفين بين الوجبات، وشعرت بالحرج حين أدركت ذلك. لم أجد شيئًا أرغب في تناوله، إذ كانت القائمة مكونة بالكامل من أنواع مختلفة من فطائر الحساء. لم أعرف ما فطائر الحساء، لكنها بدت مقززة. انبعثت روائح كريهة قوية من أبواب المطبخ تشبه رائحة حاويات القمامة، وقد طالت أنفي لتقتل شهيتي.

ظهرت النادلة فجأة بجانبي ممسكة بقلم ودفتر ملاحظات، وسألت: "هل أنتِ مستعدة للطلب؟".

"أوه - آسفة، نعم". توقفت للحظة، ثم أشرت إلى أول شيء رأيته في القائمة. أعتقد أنه كان سيبدو من الوقاحة أن أغادر في تلك اللحظة. "هل يمكنني طلب فطائر اللحم والكراث؟".

"ست أم اثنتي عشرة قطعة؟".

"ست".

"مسلوقة أم مقلية؟".

"ممم - مسلوقة؟".

"حسنًا". أخذت قائمتي وعادت إلى المطبخ دون أن تضيف كلمة أخرى.

قلت في نفسي: يا لوقاحتها! ثم تذكرت أن الخدمة السيئة تعد واحدة من علامات الطعام الصيني الجيد، حسب تلك التغريدة التي قرأتها. بالتأكيد سوف تكون فطيرة الحساء مذهلة.

حاولت التركيز على الجوانب الإيجابية، علّي أتمكن من استخراج بعض الإمكانيات السردية الجيدة هنا إذا أوليت اهتمامًا. ربما تكون هذه قصة مؤثرة عن مطعم في الحي الصيني على وشك الإغلاق، حتى تترك ابنة المالك وظيفتها المملة في الشركة لتنقذ أعمال العائلة بمساعدة المجتمع، ووسائل التواصل الاجتماعي، وتنين سحري يتكلم! ربما يمكنني أن أكتب عن تلك النادلة الوقحة خلفية درامية متعاطفة وأحدث تحولًا في الشخصية، أو ربما لا. كلما فكرت أكثر، بدا لي أن القصة تشبه مزيجًا من حبكتي الفأر الطباخ ومولان.

حذرت نفسي: توقفي عن النظر من خلال عدسة الغربيين. لن أتمكن من اختلاق قصص عن هؤلاء الناس دون أن أعرف شيئًا عنهم. يجب أن أتحدث مع السكان المحليين، وأعقد صداقات، وأفهم من أين يأتون، وأتعرف على التفاصيل الغريبة التي لا يمكن أن يعرفها سوى الأمريكيين من أصل صيني.

كان الشخص الوحيد الآخر في المكان رجلًا في منتصف العمر يمسح الطاولات خلفي، أعتقد أنها قد تكون بداية جيدة..

تنحنحت ولوّحت له ليقترب.

"ما اسمك؟" بدا صوتي مصطنعًا ومبتهجًا، وحاولت أن أعدل تعابير وجهي لتصبح أكثر حيادية أو، على الأقل، أقل إثارة للقلق. لقد أخذت درسًا في الصحافة الاستقصائية في المدرسة الثانوية، وأتذكر بعض النصائح: إقامة علاقة ودية، والاستماع والمراقبة باهتمام، والحفاظ على التواصل البصري المباشر، وطرح أسئلة واضحة ومفتوحة. ليتني تذكرت أن أبدأ بتسجيل الصوت على الآيفون. كان من المفترض أن أدوّن الاقتباسات أثناء حديثنا، لكنني لم أرغب في إخراج قلمي ودفتر ملاحظاتي تحسبًا لعدم إثارة رهبته.

"عذرًا يا سيدتي". وضع المنشفة جانبًا وتوجه نحوي، وقال: "هل ثمة مشكلة؟".

"أوه لا، لا، فقط أردت أن أتحدث معك قليلًا إذا كان لديك وقت".

انقبضت ملامحي حين خرجت الكلمات من فمي. لماذا بدا هذا غير مريح؟ شعرت كأنني أفعل شيئًا غير لائق، كما لو أنني أتحدث دون إذن مع طفل شخص آخر. لكن هذا أمر سخيف. ما الذي يجعل الحديث الودي خاطئًا؟

وقف النادل هناك فقط، ينظر إليَّ بترقب، فقلت فجأة: "هل تحب الحياة في الحي الصيني؟".

هز كتفيه وقال: "الحي الصيني في واشنطن؟ ليس حيًا صينيًا حقًا. لعله محاكاة لحي صيني. في الواقع، أعيش في ماريلاند".

كانت لغته الإنجليزية أفضل بكثير مما توقعت. لكن لهجته كانت ثقيلة، فكيف يستخدم متحدث جديد للإنجليزية كلمة مثل "محاكاة"؟ تساءلت للحظة إذا كانت هذه اللهجة مصطنعة لإظهار الأصالة للعملاء من ذوي البشرة البيضاء، وتساءلت أيضًا ما إذا كان أحد أولئك الأساتذة أو الأطباء الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة لأنهم أساءوا إلى حكومتهم في بلادهم. يمكن أن يكون ذلك منعطفًا مثيرًا في القصة. سألته: "منذ متى وأنت تعمل هنا؟".

توقف لحظة للتفكير، ثم قال: "أوه، ربما منذ تسع سنوات، أو عشر. كانت زوجتي تريد الذهاب إلى كاليفورنيا، لكنني أردت أن أكون قريبًا من ابنتنا. ربما ننتقل عندما تتخرج".

قلت: "أوه، رائع! هل تدرس ابنتك في جامعة جوزج تاون؟".

"في جامعة جورج واشنطن. تدرس الاقتصاد". التقط المنشفة ودار نصف دورة نحو الطاولات الأخرى. لم أرد أن أخسر اهتمامه، فقلت فجأة: " كيف تجد العمل في هذا المطعم إذًا؟ هل لديك أي قصص مثيرة للاهتمام عن، ممم، العمل في هذا المطعم؟".

"عذرًا، كيف يمكنني مساعدتك؟".

خرجت النادلة من المطبخ. ألقت نظرة بيننا بتركيز، ثم قالت للرجل الأكبر سنًا شيئًا سريعًا وبأسلوب قاس باللغة الصينية. بدا ردّه غير مبال. لعله كان يقول شيئًا مثل خذي الأمور ببساطة، لكن نبرتها أصبحت أعلى وأكثر إلحاحًا. أخيرًا، هز كتفيه، وألقى بالمنشفة على الطاولة وعاد إلى خلف أبواب المطبخ.

توجهت النادلة نحوي، وهي تقول: "إذا كانت هناك مشكلة، فأنا هنا للمساعدة".

لوحت بيدي اعتذارًا: "أوه، لا، الأمر على ما يرام، كنت أحاول الدردشة معه فحسب. آسفة، أدركت أنه ربما يكون مشغولاً".

"نعم، كلنا مشغولون للغاية. أنا آسفة لأن المكان هادئ هنا بعض الشيء، لكن للأسف علينا أن نترك موظفي الانتظار يقومون بعملهم".

درت بعينيّ في أنحاء المكان. كنت الزبون الوحيد هناك، كيف يمكن أن يكونوا مرهقين ومشغولين إلى هذا الحد؟ قلت بأكبر قدر ممكن من اللامبالاة: "حسنًا".

لكنها لم تذهب، وسألت: "هل لديك أي أسئلة أخرى؟" كان صوتها يرتجف. كانت *خائفة*. أدركت فجأة كيف تبدو هذه الصورة. لا بد أنها ظنت أنني شرطة أو من آي سي إي، وأنني أحاول القبض على الرجل العجوز. رفعت يدي أمامي لأثبت أنني لا أحمل سلاحًا أو شارة. قلت: "يا إلهي، لا، الأمر ليس كما فهمت..."

"فما الأمر إذًا؟". تفحّصتني من قمة رأسي إلى أخمص قدميّ، ثم أمالت رأسها، وقالت: "انتظري، ألست أنت تلك الكاتبة؟".

توقف قلبي لحظة. لم يتعرف عليَّ أحد من قبل في مكان ليس متجر كتب أو فعالية تتعلق بالكتب. شعرت بلحظة من الفخر، وكان جزء مني يعتقد أنها على وشك طلب توقيعي. "أنا - ممم، نعم، أنا جونيبير... "

"أنتِ تلك الفتاة التي سرقت أعمال أثينا ليو". صارت ملامح وجهها قاسية فجأة وهي تكمل: "كنت أعرف - رأيت صورتك على الإنترنت. جونيبير سونج، أليس كذلك؟ أو هايوارد، أو أيًا كان. ماذا تريدين؟".

قلت بقلة حيلة: "كنت أحاول الدردشة فحسب. أقسم لك، أنا لست هنا لأ ..."

قالت باقتضاب: "لا يهمني. لا أعرف ما الذي تحاولين فعله هنا، لكننا لا نريد أن نكون جزءًا منه. في الواقع، أنا مضطرة لطلب المغادرة منك".

ربما ليس لها الحق في طردي، إذ لم أسبب اضطرابًا عامًا، ولم أفعل شيئًا غير قانوني. كان كل ما فعلته هو إجراء محادثة عابرة مع النادل. فكرت في الثبات على موقفي، وتأكيد حقوقي كزبون، والإصرار على أن يتصلوا بالشرطة إذا أرادوا إجباري على المغادرة. لكنني فضلت ألا أصبح حديثًا في الأخبار لسبب آخر. تخيلت العنوان على يوتيوب: "بيضاء في الحي الصيني تصر على أنها ليست من آي سي إي".

نهضت واقفة: "حسنًا، لا تحضروا فطائر الحساء إذًا".

سألت النادلة: "هل أنت متأكدة؟ ليس لدينا إمكانية رد النقود. حسابك ثمانية دولارات وخمسة وتسعين سنتًا، بالإضافة إلى الضرائب".

شعرت بغضب شديد وراح عقلي يحاول إيجاد رد سريع، لكنني لم أستطع التفكير في شيء غير خال من العنف أو العنصرية. لكني أخرجت ورقة من فئة العشرين دولارًا من محفظتي، وأعدت حقيبتي على كتفي، وتجاوزتها نحو الباب متظاهرة بعدم سماع ضحكات الاستهزاء وراء ظهري أثناء خروجي غاضبة.

بدأ بريت في إزعاجي بعد شهر من انقطاعي الإبداعي. يمكنني أن أقول إنه كان يحاول منحي المساحة التي أحتاج إليها - كانت جميع رسائله الإلكترونية حتى الآن كانت هادئة ومكتوبة بعناية - ولكن بدا واضحًا أن صبره بدأ ينفد.

قالت آخر رسالة له: "أريد أن أطرح عليك فرصة جديدة. اتصلي بي عندما يناسبك الوقت".

تذمرت ثم تناولت هاتفي.

رد على المكالمة من أول رنين: "جوني! سعيد بسماع صوتك. كيف حالك؟".

"على ما يرام. توقفت رسائل الكراهية إلى حد كبير. لم أعد أتلقى تهديدات بالقتل".

"حسنًا، هذا جيد. قلت لكِ إن الأمر سيمر". ثم توقف للحظة، وأكمل: "وبالنسبة لما ناقشناه آخر مرة ..."

وجدت أنه من الأفضل أن أقولها مباشرة: "لا يوجد شيء، ليس لديَّ أي فكرة، ولا حتى فكرة واحدة. لا أعرف من أين أبدأ. آسفة، أعلم أن هذا ليس ما كنت تريد سماعه".

شعرت بوخزة من الذنب. لم يكن الأمر متعلقًا بالمال بالنسبة لبريت، لكن سمعته المهنية كانت على المحك؛ فلم يكن يريد أن يفقد كامل مصداقيته مع فريق التحرير في إيدن بإحضار أكثر عملائه إحراجًا. لكنني لم أستطع خداعه بأمل كاذب، في حين لم يكن هناك أي أمل.

استعددت لرد فعل بريت بمدى خيبة أمله، لكنه سأل بسرعة: "ماذا عن العمل على أفكار مسجلة بحقوق ملكية فكرية؟".

كتمت ضحكة ساخرة. كان العمل في حقوق الملكية الفكرية للكتّاب المتوسطين، أو هذا ما كان يُقال لي دائمًا. كان عملًا رخيصًا، بعقود عمل مؤقتة لأولئك الذين لم يستطيعوا بيع مشاريعهم الأصلية. سألت: "ماذا تقصد بالضبط؟".

"كل ما أعنيه هو أنه إذا كنتِ تجدين صعوبة في ابتكار فكرتك الخاصة، فماذا عن الكتابة استنادًا إلى مخطط؟".

"ماذا، مثل رواية عن الأبطال الخارقين؟ لا شكرًا يا بريت، ما زلتُ أتمسك بمعاييري... "

"الأمر فحسب - لقد مر وقت طويل، يا جوني، وقد بدأ صبر الناس ينفد".

قلت بتعالٍ: "تستغرق دونا تارت عقدًا كاملًا بين رواياتها".

"حسنًا". لم يقل بريت ما هو واضح: أنني لا أمت لدونا تارت بصلة، بل قال بهدوء: "الظروف مختلفة".

تنهدت: "ما المشروع المتاح حاليًا في حقوق الملكية الفكرية؟ مارفل؟ ديزني؟". ربما يمكنني العمل على رواية من عالم حرب النجوم، ربما. أعني، يبدو الأمر صعبًا جدًا، وسيتعين عليَّ أن أعود إلى ماضيَّ المهووس بالأشياء كي أهتم بأي

شخصية ثانوية قد يلقونها في طريقي، لكن يمكنني إنجاح الأمر على الأقل على نحو كاف لإيهام المعجبين العاديين غير المميزين الذين يشترون تلك الكتب.

"في الواقع، لن يكون ذلك في إطار سلسلة موجودة بالفعل. هل سمعتِ عن سنو جلوب؟".

طرق اسم سنو جلوب في ذهني. رأيت تلك الكلمة تتنقل عبر تويتر - ربما تابع حسابي مؤخرًا - لكن بخلاف ذلك، لم أستطع ربط الاسم بشيء مهم. سألته: "هل هم من شركات تجميع الكتب؟ مثل الناشرين الذين يحمِّلون المؤلفين تكاليف النشر؟".

"حسنًا، يعمل هؤلاء في كل شيء. المؤسسون لديهم علاقات مع دور النشر والأستوديوهات السينمائية. يعملون مع المحررين لتطوير أفكار تناسب احتياجات السوق الحالية، ثم يعملون مع الكتاب لتحويلها إلى واقع، ما يزيل عنصر عناء التكهن بما يبحث عنه المحررون في دور النشر الكبيرة. وستحصلين على مرونة إبداعية كبيرة حقًا لتتعاملي مع الفكرة وتجعليها فكرتك الخاصة".

"لكنني لن أمتلك حقوق النشر، أليس كذلك؟". لم أكن أعرف الكثير عن حقوق الملكية الفكرية، لكن من خلال ما قرأته على الإنترنت، عادةً ما يكون الأمر غير مناسب للكاتب. فعلى عكس الأعمال الأصلية التي تمتلك فيها حقوق النشر وتتلقى العوائد، عادة ما يُدفع للكتاب العاملين في حقوق الملكية الفكرية أجرًا ثابتًا مقدمًا. على سبيل المثال، قد تبيع رواية استنادًا إلى لعبة فيديو شهيرة عشرات الآلاف من النسخ. لكن حتى إذا كانت رواية حققت مبيعات ضخمة، قد لا يحصل الكاتب المأجور إلا على عشرة آلاف دولار قد تلقاها مقدمًا. ليس هذا أجرًا رائعًا لستة إلى ثمانية أشهر من العمل. أكملت: "وأيضًا، لا يهتم الناس بأعمال حقوق الملكية الفكرية، أليس كذلك؟ مثلًا، *ليست* أعمالًا أدبية *جادة* بالنسبة لهم؟".

قال بريت: "العديد من العناوين المحبوبة هي أعمال حقوق ملكية فكرية، ليس الأمر شائعًا فحسب.. وبالمناسبة، لن يكون ذلك تغييرًا دائمًا في مسيرتك المهنية، بل مجرد شيء يساعدك على تجاوز هذه الفترة الصعبة. يبدو أنه قد يكون من الأفضل لك لو عملت على... هيكل موجود مسبقًا".

ضايقتني الطريقة التي فسر بها سبب عرضه. كأنه نكتة بيننا، كأنه يعرف الحقيقة عن *الجبهة الأخيرة*. كأنه يغمز لي وهو يقول: لتفهمي يا جونيبير. نحن نعلم أنك تستطيعين العمل بطريقة غير إبداعية، هيا لنجد لكِ روتينًا جديدًا.

كان من الإنصاف أن أقول إنها لم تكن أسوأ فكرة في العالم. لكن كبريائي آلمتني عند التفكير في الأمر. لقد دخلت السباق على بعض من أرقى الجوائز الأدبية في البلاد، ولم أستطع أن أتخيل أنني أنتقل من ذلك إلى العمل المؤقت. قلت: "أفترض أن الأجر سيكون بشعًا".

"حسنًا، إنهم مستعدون للتفاوض، وبخاصة من أجل كاتبة بارزة مثلك. لكن نعم، لن تكون العوائد بارتفاع ما اعتدت عليه".

"إذن ما الجدوى؟".

"حسنًا، سيكون لديك عمل جديد؛ لذا سيكون لديك شيء جديد لتتحدثي عنه. شيء لتنشيط الحوار".

أحسنت يا بريت. ما تقوله صحيح مائة بالمائة. لم أستطع إلا أن أسأل: "وما الفكرة الأساسية؟".

لن يتمكن من إخباري فورًا. كان يجب عليَّ التوقيع على اتفاقية عدم الإفصاح وعدم الإفشاء أولًا، ولكن لحسن الحظ كانت لديه اتفاقية جاهزة، وكل ما كان عليه فعله هو إرسال رابط دوكيو.ساين لي. أثناء قيامه بترتيب ذلك، بحثت عن سنو جلوب وتصفحت موقعهم الإلكتروني. وجدت أن جميع المؤسسين عبارة عن شابات أنيقات من ذوات البشرة البيضاء، من النوع الذي أراه يتجول في أرجاء الفعاليات الخاصة بصناعة النشر طوال الوقت. في صفحة "المشاريع الحالية" في موقعهم، رأيت صفقات إنتاج مدرجة مع أمازون، وهولو، ونتفليكس. في الواقع، كنت قد سمعت عن بعض عناوينهم - كان بريت على حق، لم يكن لديَّ أي فكرة عن عدد المشاريع الشهيرة التي كانت في الواقع نتاج مشاريع حقوق ملكية فكرية. ربما لا يكون هذا سيئًا جدًا. ربما سيكون من الأسهل أن أترك شخصًا آخر يقرر ما تريده السوق كي أتمكن من التركيز على ما أجيد القيام به، وهو الكتابة بشكل جميل.

"حسنًا". تم الانتهاء من توقيع اتفاقية عدم الإفشاء؛ وعاد بريت إلى المكالمة. "حسنًا، إنهم فعلًا مهتمون بالاستفادة من خبرتك في القضايا الاجتماعية الصينية، مفهوم؟".

شعرت بلسعة من القلق: "مفهوم..."

"وتعرفين شيئًا عن سياسة الطفل الواحد، أليس كذلك؟".

"آه، تلك التي أجبروا فيها النساء على الإجهاض؟".

"لا، أعني سياسة التحكم في السكان في الصين التي قُدمت عام 1978". كان يقرأ هذا من ويكيبيديا. علمت ذلك؛ لأنني قد فتحت صفحة ويكيبيديا نفسها.

"هذا ما قلته، مع ذلك. أنهم كانوا يُجبرون النساء على الإجهاض". بحثت بسرعة عن كلمة "إجهاض" للتحقق مما إذا كنت على صواب، وكنت كذلك، نوعًا ما. "هل يريدون رواية عن *ذلك*؟".

"حسنًا، يريدون نوعًا من التحديث العصري على هذه الفكرة؛ لذا، المشكلة في سياسة الطفل الواحد هي أن هناك عددًا كبيرًا جدًا من الرجال في الصين، أليس كذلك؟ بسبب الإجهاض الانتقائي. كان الآباء يفضلون إنجاب الأولاد؛ لأنها ثقافة أبوية، وهكذا، أصبح العدد الموجود من النساء قليلًا جدًا. وبالتالي، تعذر على الرجال الصينيين العثور على زوجات، أو إنجاب الأطفال. هل فهمت الأمر حتى الآن؟".

"ممم، بالطبع".

"هنا تأتي نقطة التحوّل المظلمة. تخيّلي عالمًا مشابهًا لرواية *حكاية الجارية*. التي تُربى فيها النساء في مؤسسات، يُولَدنَ ويُربّينَ ليصبحن صانعات أطفال، ويتم بيعهنَّ لأزواجهنَّ كعبيد في المنازل". ضحك بريت بعصبية، وأكمل: "تعليق حاد جدًا، أليس كذلك؟ يمكنك حتى تناول الموضوعات بشكل متوسع لجعلها نقدًا خفيًا للأبوية الغربية، إذا أردت. الأمر يعود إليك. فكما قلت، كان لديك الكثير من المرونة للإبداع واللعب بالمفهوم. ما رأيك؟".

صمت لفترة طويلة. ثم، لأنه كان يجب على أحدنا أن يقولها بصوت عالٍ، قلت: "بريت، هذا غباء. لا أحد في كامل عقله سيرغب في العمل على هذا".

(كنت مخطئة في الواقع، فبعد أسبوعين من هذه المحادثة، تصفحت تويتر لتصطدم عيناي بالإعلان التالي: "سيمون آند شوستر بالتعاون مع شركة *سنو جلوب*، متحمسون لتوقيعهم مع الكاتبة الشهيرة هايدي *ستيل لنشر* رواية آخر امرأة في الصين، وهي رواية رومانسية مثيرة تدور في عالم ديستوبي مستوحى من سياسة الطفل الواحد!").

قال بريت: "أعني، أعتقد حقًا أن هذا قد ينجح. إنه مفهوم رائع. سيجذب جمهور النسويات. هذه هي سوق نادي الكتاب الخاص بك. وهناك إمكانيات كبيرة للسينما هنا - أنا متأكد من أن الشبكات ستبحث عن أعمالك التالية بمجرد أن ينتهي مسلسل قصة الجارية."

قلت: "لكن فكرة *القصة* - أعني، هذا يخلط العديد من الأشياء المختلفة... هل هم جادون؟ سياسة الطفل الواحد تلتقي بقصة الجارية؟ ألا يقلقهم أننا سوف نسيء إلى جميع الصين؟".

أجاب: "حسنًا، ستُنشر الروايات في الغرب، يا جوني. فمن يهتم حقًا؟".

كان بإمكاني تخيل أديل سباركس-ساتو وشياو تشين يشحذان مخالبهما. لم أكن على دراية كاملة بالسياسة الصينية، ولكن حتى أنا كان يمكنني أن أرى الأخطار المحيقة بهذا الأمر. إذا كتبت هذا، فسيتم تمزيقي بسبب كراهيتي لجمهورية الصين الشعبية، أو الشعب الصيني، أو الرجال، أو كلهم معًا.

قلت: "بالطبع لا، هذا لن يمهد بداية جيدة. أليست لديهم أي أفكار أخرى؟ لست ضد العمل مع سنو جلوب بحد ذاتها، ولكنني حقًا أكره هذه الفكرة فحسب".

قال بريت: "حسنًا، لديهم، لكنهم يكيفون أفكارهم لتناسب الكتاب ذوي... الخلفيات المناسبة. يسعون لتفعيل تغيير كبير يستهدف التنوع هذا العام".

قلت بسخرية: "من المدهش أنهم يريدونني إذًا".

قال بريت: "هيا، على الأقل اطلعي على المعالجة. لقد أرسلتها الآن. وقد كانت لكِ بدايتك في الخيال التأملي؛ لذا لديك قاعدة جماهيرية مسبقة بالفعل..."

لم أكن متأكدة إذا كان بريت يفهم أن الأشخاص الذين يهتمون بالواقعية السحرية ليسوا مهتمين على الإطلاق بالخيال العلمي المستقبلي القريب من هذا النوع. قلت: "حسنًا، لكن عليك أن تعترف بأن مدينة فاسدة تقع في بكين هي بعيدة جدًا عن مجال كتاباتي".

قال بريت: "قبل بضع سنوات، كنت سأقول إن مشروعًا مثل الجبهة الأخيرة بعيد عن مجالك أيضًا. لم يفت الأوان أبدًا لتوسيع آفاقك. فكري في الأمر فحسب، يا جوني. فقد ينقذ هذا مسيرتك المهنية".

"لا، لن يفعل". لم أكن متأكدة مما إذا كنت أريد أن أضحك أم أبكي. "لا يا بريت، أنا متأكدة أن هذا النوع من الأشياء هو الذي سينهي المسيرات المهنية".

قال بريت: "جوني، هيا. قد لا نحصل على فرصة كهذه مرة أخرى".

قلت: "اتصل بي إذا، مثلًا، إذا حصلنا على عرض من لوكاس فيلم"، ثم أضفت: "لكن أنا آسفة، بريت. حتى أنا لن أنحدر لهذا المستوى أبدًا".

الفصل الثامن عشر

في شهر يوليو، حزمت حقائبي وسافرت بالطائرة إلى الشمال لتدريس ورشة الكتابة للشباب الأمريكيين الآسيويين في ماساتشوستس. كانت هذه الورشة هي البرنامج الوحيد الذي دعاني لتكرار تجربتي معه خلال الموسم، ومن المحتمل أن يكون السبب الوحيد في ذلك هو أنني ظللت أدفع منحة سنوية غبية باسم أثينا (تمول جماعة الكتاب الأمريكيين الآسيويين الورشة وتستضيفها. وكانت بيجي تشان هي منسقة كلا الحدثين). وفيما عدا ذلك، فقد توقفت ارتباطاتي الأخرى المنتظمة منذ أن انتشرت مدوَّنة أديل سباركس- ساتو. في الصيف الماضي، كنت مشغولة بشكل أسبوعي بمحاضرات رئيسية ودعوات للمشاركة كضيفة شرفية؛ أما هذا الصيف، فلم يكن هناك شيء على جدولي بين شهري مايو وأغسطس.

فكرت جديًا في إلغاء مشاركتي في ورشة الكتابة، لكن لم يكن باستطاعتي مواجهة صيف طويل وممل وحدي. بدا أن أي تشتيت سيكون أفضل من الجلوس في شقتي طوال اليوم برفقة محاولات فاشلة لكتابة كلمة واحدة! علاوة على ذلك، كنت آمل أن يكون هذا مفيدًا لي. يعد التدريس مهنة نبيلة، وهذه حقيقة غير قابلة للتشكيك، وحتى إن لم يدعمني ذلك في نظر الجمهور، فقد يبني على الأقل ثقة بيني وبين مجموعة من الطلاب الذين لم يقرروا بعد أنني من أعداء الناس، وربما قد يجعل الكتابة ممتعة مرة أخرى.

كُلفت بقيادة جلسة نقدية يومية لمدة أربع ساعات مع الفئة المختارة: جميعهم من طلاب المرحلة الثانوية الذين اخترتهم بناءً على تميز عينات كتاباتهم؛ لذلك كان من الرائع أن ألتقي بهم شخصيًا. استطعت التعرف على الشخصيات المؤثرة في المجموعة. كانت هناك كريستينا يي، الفتاة الصغيرة ذات المظهر القوطي، التي تحدد عينيها بكحل أسود بارز جدًا والتي احتوت عينتها الكتابية على الكثير من الرعب الجسدي وبعض الأنياب؛ كما كان هناك جونسون تشين، الذي جاء مصففًا شعره باستخدام الجل واعتمر معطفًا يشبه أسلوب الثمانينيات مثل أحد مُغني البوب الكوري، وعينته الكتابية التي كانت تركز على التأمل الداخلي جعلتني أعتقد أنه كان قبيحًا للغاية، لكنه في الواقع اتضح أنه كتلة من الجاذبية. وأتت سكايلار زهاو الطالبة الطويلة النحيلة في السنة الأخيرة التي، خلال التعريفات، أعلنت نواياها بأن تصبح مثل أثينا ليو لجيلها.

كان الطلاب يتعاملون بتكاسل وكأنهم لا يهتمون برأي الآخرين بهم، لكنني لاحظت بوضوح مدى رغبتهم في إثارة إعجابي. رأيت أنهم ذوو عقلية نمطية التي تتسم بها المواهب الناشئة، إذ كانوا يعرفون أنهم جيدون أو يتمتعون بالقدرة على أن يكونوا جيدين، لكنهم يتوقون لأن يعترف أحد بهذا، ولديهم رهبة هائلة من الرفض. أتذكر جيدًا كيف كان هذا المزيج من المشاعر داخلي: الطموح الجامح والفخر المتزايد بأن أعمالي قد تكون بالفعل رائعة مصحوبًا بعدم الأمان الفائق. كانت الشخصيات الناتجة عن تلك العقليات مزعجة بشدة، لكنني تعاطفت مع هؤلاء الطلاب. كانوا يشبهون نسختي السابقة تمامًا، النسخة التي كنت عليها قبل عشر سنوات؛ لذلك كنت أعرف أن أي تعليق لاذع في هذه اللحظة كان ليدمر ثقتهم بأنفسهم بلا رجعة، في حين كانت الكلمات التشجيعية المناسبة لتساعدهم على التألق.

في هذا الصيف، قررت أنني سأحاول أن أكون مصدر الدعم والتشجيع لهم، وأنني سأتجاهل بقية العالم. لقد قررت أن أتوقف عن التحقق من تويتر، وأن أتوقف عن تصفح ريديت، وأتوقف كذلك عن القلق بشأن إنتاجي الأدبي الخاص. نويت أن أركز على دعمهم وهو الشيء الذي ربما أنجح فيه.

مرت فترة التعارف وتعريف الذات بشكل جيد. استخدمت الأساليب نفسها التي تعلمتها على مدار سنوات من دروس الكتابة الإبداعية: ما كتابك المفضل؟

(أجابت سكايلار زهاو: "الصوت والصدى"، وهو أول أعمال أثينا. بينما ردت كريستينا، بدقتها مرفوعًا كما لو كانت تتحدَّى: "لوليتا"، للكاتب "نابوكوف؟"). وكان سؤالي التالي: ما الكتاب الذي قد تستطيع جعله مثاليًا بإعادة كتابة نهايته؟ (قال جونسون: "آنا كارنينا، حيث سأمنع آنا من قتل نفسها".) بعد ذلك تعاونا على بناء قصة قصيرة بأن تناوبنا، يضيف أحدنا جملة على جملة من يسبقه، ثم قمنا بتعديل القصة بسرعة في أقل من خمس دقائق. خلق كل منا تفسيرًا مختلفًا للجملة الحوارية نفسها: "*لم أقل إننا يجب أن نقتله!*".

بنهاية الساعة، جلسنا جميعًا نضحك ونلقي النكات، فلم نعد خائفين بعضنا من بعض. أنهيت الجلسة بتنظيم فقرة أسئلة وأجوبة حول صناعة النشر. كانوا جميعًا متحمسين لمعرفة كيف يبدو تقديم العروض لوكلاء الأدب، وكيف يُباع كتاب في مزاد للناشرين، وأيضًا كيف يبدو العمل مع محرر حقيقي. دقّت الساعة الرابعة، فكلفتهم ببعض الواجبات المنزلية، مثل إعادة كتابة مقطع من أعمال ديكنز من دون استخدام الظروف أو الصفات، ثم وضعوا الحواسيب المحمولة في حقائبهم مبتسمين وهم يستعدون للرحيل. تم إعداد هذه النسخة بواسطة فريق: مكتبة ضاد الإلكترونية

قالوا لي أثناء مغادرتهم: "شكرًا يا جوني، أنتِ الأفضل". ابتسمت وأومأت برأسي لكل واحد منهم وهم يغادرون، شعرت وكأنني مرشدة حكيمة وطيبة.

في تلك الليلة، تناولت بعض السلطة الخضراء بسرعة في قاعة الطعام، ثم توجهت إلى أقرب مقهى وبدأت في كتابة بعض الأفكار لأعمال جديدة: فقرات وصفية، وهياكل تجريبية، وبعض الأجزاء الحوارية الحاسمة. كتبت كل ما خطر ببالي. لقد جعلني الحماس أكتب بسرعة، ما أصاب يدي بتشنجات، كنت أشعر باندفاع من الطاقة الإبداعية. لقد جعل طلابي القصص والروايات تبدو غنية، ومرنة، ومملوءة بالاحتمالات اللانهائية. ربما في النهاية اتضح أن تروس عقلي لم تصدأ بطريقة لا أملَ في إصلاحها، ولعلي كنت بحاجة لتذكر شعور الإبداع الجيد.

بعد ساعة من الكتابة، عدلت من جلستي، ورحت أراجع عملي، وأمسح الصفحات بعيني بحثًا عن أي شيء يمكنني التوسع به وتحويله إلى مخطط، لكن عند النظرة الثانية، لم تبدُ هذه الأفكار جديدة أو مثيرة كما كانت في البداية. في

الواقع، وجدتها وكأنها نسخ معدلة قليلًا من عينات كتابة طلابي، فمثلًا، هناك فتاة لا تستطيع نيل رضا والدتها مهما كانت درجاتها في المدرسة، أو فتى يكره والده الذي يعيش بعيدًا ولا يتواصل معه حتى يكتشف صدمة حربية كانت قد غيرت ماضي والده، وشقيقان يسافران إلى تايوان للمرة الأولى في حياتهما ويجدان إرثهما، رغم أنهما لم يستطيعا نطق أي شيء بلغة البلد بشكل صحيح كما لم يحبّا طعامها.

أغلقت دفتري باشمئزاز. قلت في نفسي: هل أصبح هذا كل ما يمكنني تقديمه الآن؟ أفكار مسروقة من أطفال صغار؟

لكنني أردفت: *لا بأس، اهدئي*. بالنظر إلى النصف الممتلئ من الكوب رأيت أنني بدأت أدير تروس مخي وأعود إلى الإبداع. لقد اشتعلت شرارة لم أشعر بها منذ وقت طويل؛ لذلك يجب أن أصبر وأتأنى على نفسي، وأعطي تلك الشرارة الوقت والمساحة للنمو.

في طريقي إلى السكن الجامعي، لمحت طلابي من خلال نافذة أحد المقاهي العديدة التي تقدم الشاي بالقرب من الحرم الجامعي. كانوا اثني عشر شخصًا متجمعين حول طاولة مصممة لستة أشخاص وقد سحبوا العديد من الكراسي بحيث يحصل كل منهم على مساحة صغيرة فقط من الطاولة. بدا أنهم مرتاحون تمامًا معًا وقد انحنوا على حواسيبهم المحمولة ودفاترهم. كانوا يكتبون. لعلهم كانوا يعملون على واجبي المنزلي. شاهدتهم وهم يعرضون على بعضهم مقتطفات من أعمالهم، ويضحكون من صيغ الكلام الطريفة، ويومئون بتقدير أثناء أخذهم أدوار القراءة بصوت عالٍ.

يا إلهي، كم افتقدت ذلك!

لقد مر وقت طويل على آخر مرة فكرت في تجربة الكتابة فيها كنشاط جماعي، فجميع الكُتاب ذوي الأعمال المنشورة الذين أعرفهم يتسمون بالحذر الشديد بشأن جداولهم الكتابية، ودفعاتهم المبدئية، وأرقام مبيعاتهم، كما يكرهون الكشف عن معلومات حول مساراتهم المهنية، خوفًا من أن يتفوق عليهم شخص آخر، ويكرهون أكثر مشاركة تفاصيل أعمالهم التي قيد التنفيذ، ويرتعدون خوفًا من أن يسرق أحدهم أفكارهم وينشرها قبلهم. كان عالمًا شديد الاختلاف عن أيام دراستي الجامعية، عندما كنت وأثينا نتجمع حول طاولة مكتبة في وقت متأخر من الليل مع

زملائنا لنتحدث عن الاستعارات، وتطوير الشخصيات، والتطورات الدرامية حتى لم يعد باستطاعتي التمييز بين نهاية قصصي وبداية قصصهم.

لعل ثمن النجاح المهني يتمثل في الابتعاد عن الزملاء الحاقدين، فربما، بمجرد أن تصبح الكتابة مسألة تقدم فردي، يصبح من المستحيل أن تشاركها مع أي شخص آخر.

وقفت بجانب نافذة أحد المقاهى ربما أطول مما ينبغي، أراقب بحزن طلابي وهم يمازحون بعضهم بعضًا. نظرت واحدة منهم - سكايلار - للأعلى فلمحتني، لكنني أومأت برأسي وأسرعت نحو السكن الجامعي.

في صباح اليوم التالي، تأخرت على الصف بضع دقائق. كان الطابور في مقهى ستاربكس داخل الحرم الجامعي يتحرك بوتيرة بطيئة للغاية، واكتشفت السبب عندما وصلت إلى منضدة الحساب، حيث جلست فتاة ذات شعر وردي وثقوب في أنفها تحاول جاهدة لمدة خمس دقائق تقريبًا لإدخال طلبي البسيط جدًّا إلى الحاسوب. وعندما وصلت إلى الصف، وجدت جميع طلابي متزاحمين حول حاسوب سكايلار، وهم يضحكون، ولم يلاحظوني وأنا أدخل.

قالت سكايلار: "انظروا، هناك مقارنة جملة بجملة بين الفقرات الأولى من القصتين".

تقدمت كريستينا للأمام، وصاحت: "*أتمزحين!*".

"وهناك مقارنة باستخدام المعالجة اللغوية الطبيعية - انظروا هنا".

عرفت دون أن أسأل. لقد عثروا على تقرير مدونة أديل سباركس- ساتو.

قال جونسون: "إنهم يعتقدون أن كل شيء في *الجبهة الأخيرة* مسروق أيضًا، انظروا، الفقرة التي تليها. هناك اقتباس من حديث لمساعدة تحرير سابقة في إيدن؛ تقول إنها لطالما شعرت بأن الأمر مشبوهًا من البداية ..."

"هل تعتقد أنها أخذت المخطوطة من شقتها؟ أعني، في الليلة التي ماتت فيها؟".

قالت سكايلار بذعر مفاجئ: "يا إلهي! هذا تصرف شيطاني".

"هل تعتقد أنها قتلتها؟".

"يا إلهي،! لا ت..."

تنحنحت: "صباح الخير".

ارتفعت رءوسهم بسرعة، والتفتوا وقد بدا كأنهم مجموعة من الأرانب المفزوعة. أغلقت سكايلار حاسوبها المحمول بقوة. مشيت بابتهاج إلى الغرفة الأمامية حاملة كوب ستاربكس في يدي، أحاول جاهدة أن أمنع نفسي من الارتجاف.

"كيف حال الجميع؟". لا أعرف لماذا قمت بهذا التصرف اللامبالي. لقد كانوا جميعًا يعرفون أنني سمعتهم، حيث احمرت وجوههم جميعًا من فرط الخجل؛ ولم ينظر أحد منهم بعيني بعدها. كانت سكايلار جالسة ويدها فوق فمها، تتبادل نظرات مرعوبة مع فتاة تدعى سيليست.

أومأت إلى جونسون: "هل الأمر بهذا السوء؟ كيف قضيت أمسيتك يا جونسون؟ كيف سار الواجب؟".

تمتم بشيء عن إسهاب ديكنز، ما منحني وقتًا لاتخاذ قراري بشأن كيفية التعامل مع الوضع. كان أمامي الطريق الصادق، وهو أن أشرح لهم تفاصيل الجدل، وأقول لهم الشيء نفسه الذي أخبرت به المحررين، وأتركهم يقررون بأنفسهم. سيكون درسًا عمليًا في الاقتصاد الاجتماعي للنشر، وفي كيفية مساهمة وسائل التواصل الاجتماعي في التشويه وتضخيم الحقيقة. وربما سيغادرون بعدها وهم يكنون لي المزيد من الاحترام.

أو يمكنني جعلهم يندمون على ما قالوه.

"سكايلار؟" خرج صوتي وكأنه صياح أكثر مما كنت أنوي. قفزت سكايلار كما لو أن أحدهم أطلق عليها النيران. قلت: "قصتك هي التي سننقدها اليوم، أليس كذلك؟".

"أنا... آه، نعم".

"وأين نسخك المطبوعة؟".

وقالت سكايلر بارتباك: "لقد أرسلتها بالبريد الإلكتروني للجميع".

طلبت في إرشادات ورشة العمل أن يجلب مناقشو القصص نسخًا مطبوعة من قصصهم إلى الصف؛ لكننا أصبحنا نستخدم الحواسيب المحمولة منذ العام الماضي، وأعلم أنه لم يكن من العدل أن ألوم سكايلار على ذلك، ولكنها كانت أول ملاحظة تمكنت من التفكير فيها. "لقد أوضحت توقعاتي بوضوح في النشرات.

ربما لا تعتقدين أن القوانين تنطبق عليك يا سكايلار، ولكن هذا الموقف لن يجعلك ناجحة في مجال النشر. استمري في التفكير أنك الاستثناء، وستنتهي بك الحال مثل أولئك الأشخاص الذين يطاردون المحررين في الحمامات ويدفعون مخطوطاتهم تحت أبواب غرف الفنادق؛ لأنهم لا يعتقدون أن إرشادات الصناعة تنطبق عليهم".

جعل هذا البعض يهمس ضاحكًا، أما وجه سكايلار فقد شحب وامتقع.

"هل ستقومين بمطاردة المحررين في الحمامات يا سكايلار؟".

قالت بصوت عالٍ متهكم: "لا، بالطبع لا". كانت تحاول أن تحتفظ بهدوئها، لكنني سمعت اهتزازًا في صوتها.

"جيد. إذًا، اطبعي مخطوطتك في المرة المقبلة. وهذا ينطبق على الجميع". أخذت رشفة طويلة ومُرضية من مشروبي المفضل المنعش برائحة الكركديه والتوت. كانت ركبتي ترتجف، لكن هذا الانتقاد اللفظي منحني شعورًا مفاجئًا بالثقة الساخرة والغاضبة. "حسنًا، دعونا نبدأ. ريكسي، ما رأيك في قصة سكايلار؟".

ازدرد ريكسي ريقه، وقال: "ممم، أنا... أعجبتني".

"على أي أساس؟".

"حسنًا، وجدتها ممتعة".

"(ممتعة) هي كلمة يستخدمها الناس عندما لا يستطيعون التفكير في شيء أفضل ليقولوه. كن محددًا يا ريكسي".

ظل هذا هو أسلوبي لبقية الصباح. كنت أعتقد أن المعلمين القساة هم نوع خاص من الوحوش، لكن تبين أن القسوة تأتي بشكل طبيعي. أيضًا، إنها ممتعة. فالمراهقون، في نهاية المطاف، هم عبارة عن هويات غير مكتملة مع عقول غير ناضجة. بغض النظر عن مقدار ذكائهم، إلا إنهم لا يعرفون الكثير عن أي شيء، ومن السهل إحراجهم بسبب تعليقاتهم المرتجلة.

حصلت سكايلار على النصيب الأكبر من الانتقاد. من الناحية الفنية، لم تكن قصتها سيئة، وقد كانت تدور حول جريمة قتل في الحي الصيني في سان فرانسيسكو حيث لا يتعاون أي من الشهود مع الشرطة؛ لأن لديهم أسرارهم الخاصة وقوانين شرف مجتمعية.. كانت الصياغة محكمة والفكرة مثيرة للاهتمام، بل كان هناك تحول ذكي في النهاية يجعلك تعيد تقييم كل كلمة نطقتها الشخصيات من قبل.

إنها مثيرة للإعجاب بالنسبة لطالبة في المدرسة الثانوية. ومع ذلك، ظهرت عدم خبرتها. كان تقديم سكايلار للأحداث ضعيفًا في بعض الأجزاء، علاوة على استخدامها العديد من المصادفات المصطنعة لدفع القصة للأمام، كما أنها لم تفهم بعد كيف توازن بين الحوار المتوتر والحوار المُبالغ فيه.

كان بإمكاني تصحيح هذه الأخطاء برفق من خلال تشجيع سكايلار على التفكير في الحلول بنفسها.

أكملت: "ثم، ظهر محام فجأة من العدم". نقرت على الصفحة، وقاطعتها: "هل ينمو المحامون على الأشجار يا سكايلار؟ لعل لديهم حاسة خارقة لرصد الخلافات الزوجية".

ثم: "هل هناك علاقة محرَّمة بين كلوي وكريستوفر، أم أن هذا هو مجرد الطريقة التي اخترت بها تصوير تفاعلاتهما الأخوية؟".

ثم: "هل يعرف كل شخص صيني في هذا الحي الآخر، أم أن ذلك كان ملائمًا فقط للقصة؟".

ثم: "أتساءل ما إذا كان لديك أي تصوير لمشهد توتر حميمي أفضل من جعلها تقضم فراولة حرفيًا".

ثم: "(أطلقت نفسًا لم تكن تعرف أنها كانت تحبسه) *حقًا*؟".

في النهاية، أقنعت معظم الصف أن قصة سكايلار بشعة - سواء اتفقوا مع ذلك فعلًا، أو كانوا فقط خائفين من استثارتي، فلم يعد هذا مهمًا. لقد أحبطتها، وسخرت من كتابتها وأسلوبها، ونلت منها تمامًا. كانت صورها الاستعارية غير أصلية، وحوارها يفتقر إلى الحيوية (حتى إنني في مشهد معين جعلت حتى جونسون وسيلستي يمثلان ما كتبته لمجرد تسليط الضوء على مدى غرابة الحوارات المكتوبة عند قراءتها بصوت عالٍ)، كما كانت مفاجآت حبكتها كلها مأخوذة من مصادر ثقافية مشهورة يمكن التعرف عليها بسهولة، علاوة على إفراطها في استخدام الشرطة الطويلة والفواصل المنقوطة بشكل لافت للنظر. بنهاية جلستنا، كانت سكايلار على وشك البكاء. حتى إنها توقفت عن الإيماء، أو العبوس، أو الاستجابة لأي جزء من الانتقاد على الإطلاق. لقد جلست سكايلار تحدق إلى النافذة فحسب وشفتها السفلية ترتعش، وأصابعها تتحرك حول الصفحة العلوية من دفترها لتفتيتها إلى قطع صغيرة.

لقد فزت. صحيح أنه كان انتصارًا بائسًا، ولكنه كان أفضل من الجلوس بلا حيلة والمعاناة من نظراتهم الساخرة.

استمر بداخلي ذلك الشعور الغامر بالسعادة الخبيثة طوال ما تبقى من الصباح. أنهيت فقرة النقد، وبلغتهم بالواجبات، وجلست أراقبهم وهم يخرجون من الصف في صمت ووجوم.

لقد جعلت الأمور أسوأ. الآن سيتعين عليَّ الجلوس أمامهم بوجوههم المملوءة بالاستياء والتعالي لمدة أسبوع ونصف أسبوع آخر. كنت متأكدة أنهم سيشتكون مني بلا توقف من وراء ظهري حتى تنتهي هذا الورشة. بل كنت متأكدة أنهم سينضمون إلى جموع كارهي جونيبير سونج على الإنترنت، ولكنني على الأقل جعلت من نفسي مصدر رعب لا نكتة أو مادة للسخرية بينهم، وحتى الآن، شعرت بأن ذلك الوضع يناسبني أكثر.

بمجرد مغادرتهم للصف، أخرجت هاتفي وبحثت على جوجل "كانديس لي جونيبير سونج أثينا ليو". كانت كلمات جونسون قد ظلت عالقة في ذهني طوال الصباح: *هناك اقتباس من حديث لمساعدة تحرير سابقة في إيدن؛ تقول إنها لطالما شعرت بأن الأمر مشبوه من البداية.*

ملأ الخوف قلبي وتسارعت أنفاسي خلال تحميل النتائج. ماذا قالت كانديس عني؟

لكن المقال المعني - وكان مقالًا آخر مزعجًا من أديل سباركس-ساتو - لم يحتو على شيء جديد. لم تقدم كانديس أي دليل دامغ، ولا حتى إثباتات جديدة من الأدلة التي تم تحليلها كثيرًا بالفعل من قبل الإنترنت، بل مجرد اقتباس غامض لا يعني شيئًا على الإطلاق.

أغلقت المقال وتصفحت حساباتها على وسائل التواصل الاجتماعي. كان إنستجرام كانديس يتمتع بالخصوصية؛ ولم يكن حسابها على تويتر نشطًا منذ مارس الماضي. أما لينكد إن، فعرفت منه أنها أعلنت عن أنها تولت مؤخرًا وظيفة جديدة مساعدة تحرير في دار نشر صغيرة مقرها في أوريجون. بدأ خوفي يتبدد، إذ لم تكن هناك أي تطورات جديدة؛ لذا قررت أن الإنكار الحذر سيظل خطًّا دفاعيًّا، وأن اقتباس كانديس ما هو إلا مجرد اتهام غامض من شخص غيور كان يعمل في مجال النشر من قبل.

وأيضًا، ما أمر *المقر في أوريجون*؟ لم أستطع منع نفسي من القليل من البحث على جوجل. عرفت أن صاحب الشركة الجديدة التي تعمل بها لكانديس يعمل على إصدار نحو عشرة أعمال أدبية سنويًا، لم أسمع عن أيٍّ منها، ولم يصل أي منها حتى إلى مائة مراجعة على موقع جودريدز. كما أن نصف تلك الكتب لم تكن حتى روايات حقيقية، بل *كتيبات*. لن يتمكنوا من بيع ما يكفي من النسخ للبقاء في السوق. قد تكون تعمل في مطبعة فاخرة أيضًا إلى جانب ذلك. كانت تراجعًا كبيرًا مقارنة بوظيفتها السابقة في إيدن، ما جعلني أشك في أنها تكسب راتبًا لدوام كامل.

على الأقل هناك بعض العدالة الكونية في هذا العالم. كان ذلك بمثابة نصر صغير جدًا، لكنه كان الشيء الوحيد الذي ساعدني على تهدئة الغضب الذي كان في صدري.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، اتصلت بي بيجي تشان.

قالت: "اشتكى عدة طلاب من سلوكك في ورشة العمل اليوم، وقد ساورني القلق بشأن بعض التقارير يا جوني..."

قاطعتها: "لقد كانت ورشة عمل ساخنة، إن سكايلار زهاو كاتبة موهوبة، لكنها لا تعرف كيف تتقبل النقد. أتساءل ما إذا كانت هذه هي المرة الأولى التي تواجه فيها حقيقة أن كتابتها ليست بالتميز الذي تظنه".

"ألم تقولي شيئًا غير لائق للطلاب؟".

"لا أذكر أنني قلت شيئًا خارج نطاق اللياقة".

"قال بعض الطلاب إنه بدا وكأنك تتنمرين على سكايلار. جوني، نطبق سياسة صارمة ضد التنمر في هذه الورشة. هناك أشياء مما يمكننا قولها للكبار لا يمكننا قولها لطلاب المدارس الثانوية. إنهم حساسون..."

قاطعتها ثانية: "أوه، إنهم حساسون بالتأكيد".

"إذا كان لديك وقت يا جوني، أود أن تأتي إلى المكتب..."

"في الواقع يا بيجي ... ". توقفت، ثم تنهدت. خطرت لي بعض التفسيرات المحتملة. إن سكايلار حساسة للغاية، أعلم أنها تختلق الأمور، وأنها هي من استفزتني في المقام الأول، وهي من جعلت الصف ينقلب ضدي. ولكن بعد أن تأملت الموقف بأسره، بدا لي الأمر مثيرًا للشفقة، وأنني لا أحتاج للدخول في معركة كلامية مع فتاة في السابعة عشرة من عمرها، فأنا أكبر من ذلك.

قلت فجأة قبل أن أكمل تفكير: "أعتقد أنني سأضطر لترك الصف. آسفة، ربما لم تكن هذه هي الأخبار التي كنتِ تتوقعينها، لكن أمي - لقد سمعت للتو أنها ليست بخير..."

"أوه يا جوني. أنا حقًا حزينة لسماع ذلك".

" ... كانت قد طلبت مني زيارتها، لكنني ظللت أؤجل زيارتها بسبب العمل، ثم قلت في نفسي، حسنًا، *لن تكون دائمًا موجودة* ..." توقفت مندهشة من كذبي الوقح، فلم تكن مريضة على الإطلاق. كانت بخير. رغم ذلك أكملت: "لذا ربما هو الضغط الناتج عن تلك الوضعية هو ما أثر على سلوكي، ومن أجل ذلك أعتذر حقًا..."

"أتفهم ذلك". لم تبدُ بيجي متشككة على الإطلاق، بل وأيضًا بدت متحمسة قليلًا. ربما كانت تأمل في قرارة نفسها أن أستقيل من نفسي.

شجعتها على المتابعة: "أنا آسفة لترك الصف..."

"أوه، سنجد للأمر حلًا، لا تقلقي. هناك بعض الكتاب المحليين في المنطقة، فقط سنحتاج إلى إيجاد بديل لصف الغد؛ لذا قد أطلب من راشيل من المكتب أن تحل محل...". سكتت مدركة ما تقوله، ثم تابعت: "على أية حال، سنتعامل مع ذلك. سنقول للصف إن لديك حالة طارئة في العائلة. أنا متأكدة أنهم سيشعرون بالإحباط، لكنهم سيتفهمون".

"شكرًا يا بيجي، لقد أرحتني للغاية. أنا آسفة على الإزعاج".

"اعتني بنفسك يا جوني. آسفة مرة أخرى".

أنهيت المكالمة، ثم ألقيت بنفسي على سريري وتنهَّدت بارتياح.

كان ذلك مرهقًا، لكن على الأقل أصبحت الآن حرة. قرأت ذات مرة أن الآسيويين مهذبون جدًا لأن لديهم هذا المفهوم الثقافي الممثل في السماح للآخرين بالحفاظ على ماء الوجه. قد يكونون يقيِّمونك بشكل سلبي في داخلهم، لكن على الأقل، ظاهريًا سيتركونك تذهب بكرامتك.

الفصل التاسع عشر

اتضح لي أنه يجب عليَّ الذهاب لرؤية والدتي.

كانت والدتي تعيش في ضاحية خارج فيلادلفيا، قريبة بما يكفي من بوسطن بحيث يمكنني أن أستقل قطار أمتراك وأكون هناك بحلول وقت الغداء في اليوم التالي. اضطررت للبحث في هاتفي عن عنوان شارعها، فلم أزر منزل فيلادلفيا منذ سنوات، ولم أعد أرى والدتي إلا في تجمعات المناسبات السنوية في منزل روري. كنت متأكدة من أن قرار هذه الزيارة المفاجئة جاء نتيجة للشعور بالضعف المقترن بالخوف والنكوص إلى الطفولة، كما أنني كنت متأكدة، أنه بعد العناق والحنان الأولي، كنت سأندم على ذهابي إلى هناك. فعندما تتحول محادثات "لقد اشتقت إليك" و"تبدين رائعة!" إلى التعليقات المتسلطة والاستعلائية نفسها التي أدت إلى مشاجرات حادة في الماضي، سأستقل القطار وأعود بسرعة إلى واشنطن.

لكن في الوقت الحالي، كل ما أردته هو أن أكون بالقرب من شخص لا يكرهني بشكل مطلق. كانت والدتي في انتظاري على الشرفة الأمامية عندما توقفت بسيارتي. كنت قد اتصلت بها قبل بضع ساعات لأطلب منها أن أذهب إليها وأمكث عندها لبعض الوقت. وافقت دون أن تسأل حتى عما يجري، ما جعلني أتساءل عن

مدى درايتها بما يحدث، وما إذا كانت قد شاهدت من يسبونني في كل مكان على الإنترنت.

"مرحبًا يا جوني". غمرتني بعناق. وبمجرد أن لمستني دمعت عيناي. لم يكن أحدًا قد عانقني منذ زمن طويل. سألتني: "هل كل شيء على ما يرام؟".

"نعم، بالطبع كنت أدرس ورشة عمل في بوسطن، وقد انتهت للتو؛ لذلك فكرت في زيارتك قبل أن أعود إلى المنزل".

"على الرحب والسعة". أدارت أمي ظهرها، وتبعتها إلى داخل المنزل. لم تسأل كيف كانت الورشة. كان عدم اهتمامها الصريح بأي شيء يتعلق بالكتابة يؤلمني عندما كنت أصغر سنًا، لكن اليوم، أصبح ذلك مريحًا. "انتبهي لخطواتك - آسفة على الفوضى".

كان الطريق إلى المطبخ مغطى بصناديق كرتونية نصف فارغة؛ وبطاطين، وصحف مجمعة، ومناشف متناثرة على البلاط. سألت: "ما الذي يحدث؟".

"كنت فقط أجمع بعض الأشياء لتخزينها - انتبهي لتلك المزهريات. لقد قال وكيل العقارات إن البيت سيبدو أفضل دون كل هذه الأشياء".

تجنبت مجموعة من القطط الخزفية البيضاء، وسألتها: "هل ستبيعين المنزل؟".

قالت أمي: "لقد كنت أعده للبيع منذ فترة. سأعود إلى ملبورن؛ لأنني أريد أن أكون أقرب إلى بناتي. ستنهي شيريل صفقة شراء شقة لي هذا الأسبوع - الشقة بها الكثير من غرف الضيوف، يمكنك الزيارة. ألم تخبرك روري؟".

لا، لم تخبرني. كنت أعلم أن أمي ترغب في العودة إلى فلوريدا منذ وفاة والدي، وأن فيلادلفيا كانت مجرد حل وسط لأن جدي وجدتي كانا يعيشان بالقرب منها، لكنني لم أكن قد ربطت ذلك بالاحتمال الحقيقي المتمثل في أن يمتلك شخص آخر هذا دوننا هذا المكان.

أظن أن روري لم تشعر يومًا بارتباط عميق بهذا المنزل. أنا من كنت مولعة بأشجار الجميز في الفناء الخلفي، وبالاختباء بين جذورها ونسج القصص لفترة طويلة، ثم قررت روري أنه حان الوقت للعودة إلى العالم الواقعي.

"هل أفرغت غرفتي؟".

قالت أمي: "لقد بدأت للتو. كنت سأضع معظم أشيائك في التخزين، لكن لماذا لا تذهبين لتري إذا كان هناك شيء تودين أخذه؟ أعطني بعض الوقت لأكمل جمع هذا الخزف، ثم نلتقي هنا لتناول العشاء".

"أنا...أوه، بالطبع، حسنًا". توقفت على الدرج قبل أن أصعد. كنت أنتظر أن تسألني أمي عما يحدث معي، أن تشعر بعاطفة كأم أنني لست على ما يرام تمامًا. لكنني وجدتها قد عادت بالفعل إلى تلك القطط الخزفية الغبية.

كانت دفاتري هناك حيث تركتها تمامًا: مكدسة في أعلى رفوف الكتب، كل خمسة في صف... كان اسمي مكتوبًا على كل منها، والسنة الدراسية، ورقم هاتفي، وعرض مكافأة قدرها عشرة دولارات إذا أعيدت إلى صاحبها. لم توجد دفاتر موليكسين بينها، إذ كانت دفاتري دائمًا من النوع المسطر المستخدم في الكلية، والمبقعة بالأبيض والأسود التي كنا نشتريها مقابل تسعة وتسعين سنتًا من وول مارت أثناء شراء الآباء مستلزمات العودة إلى المدرسة. كانت بمثابة عوالمي الخيالية!

سحبت الدفاتر ووضعتها على الأرض. كنت أعيش حياتي بالكامل من خلال هذه الدفاتر، كانت مملوءة بالرسومات التي كنت أخطها بدلًا من الاستماع أثناء الدروس؛ ورسومات كاملة كنت أرسمها بعد المدرسة؛ مشاهد نصف مكتملة أو أفكار قصص أو حتى أجزاء من حوارات جاءتني على مدار اليوم. لم يتحقق أي شيء في هذه العوالم الحالمة ليصبح منتجًا كاملًا، فحينئذ لم أكن أتمتع بالانضباط ولا المهارات الحرفية لكتابة رواية كاملة، بل كانت أقرب إلى طيف من الإبداع المتسارع، وأبواب نصف مكتملة لعوالم أخرى، عوالم كنت أعيش فيها لساعات عندما لم أرغب في أن أنعزل في عالمي الخاص.

قلبت الصفحات مبتسمة. كان أمرًا لطيفًا أن أرى كم كانت أفكار قصصي مشتقة من أي أعمال مفضلة كنت أتابعها في ذلك الوقت. مثّل الصف السادس مرحلة ولعي برواية *تواي لايت*، وبدا واضحًا أنني كنت مفتونة بأليس كولين؛ لأنني كنت أصف بطلة بقَصَّة شعرها الجذابة نفسها. أما الصف التاسع، فكان مرحلتي مع الـ Emo *إيمو وهي العواطف والأحاسيس* وكل ما كان يتعلق بكلمات أغاني إيفانيسنس ولينكن بارك. في ذلك الوقت كنت قد بدأت في رسم مدينة مستقبلية

مظلمة حيث يطير الأطفال على ألواح التزلج، وكان للجميع تسريحات شعر ذات ذيول مرنة وكأنها ذيول حيوانات وأغطية أذرع دافئة. أعتقد أن آين راند كانت مؤثرة في مرحلة ما في الصف العاشر، ففي ذلك الوقت كنت أكتب فقرات عن بطل ذكر يدعى هوارد شارب والذي لم ينحنِ أمام أحد، والذي كان يتسم بكبرياء لا تُضاهي، والذي كان "مؤمنًا وحيدًا بالحق في عالم مليء بالأكاذيب".

أمضيت بقية فترة ما بعد الظهر في تصفح تلك الدفاتر. لم ألاحظ مرور الوقت حتى نادت أمي من الطابق العلوي تسأل إن كنت أرغب في طعام جاهز للعشاء، وعندها فقط أدركت أن الشمس قد غابت. لقد شردت لساعات في تلك العوالم.

صاحت أمي أن الطعام الجاهز يبدو فكرة جيدة. ثم بحثت عن صندوق كرتوني لتعبئة دفاتري فيه. قررت أن آخذها إلى شقتي وأتركها في الخزانة، علّي أخرجها كلما شعرت بحنين. لن تكون مناسبة لأغراضي الحالية، فلم يوجد بها شيء يمكنني تحويله إلى مخطوطة قابلة للبيع الآن. لكنها ستذكرني، كلما احتجت لذلك، أن الكتابة بالنسبة لي لم تكن دائمًا بهذا القدر من البؤس.

يا إلهي! كم افتقدت أيام الثانوية عندما كنت أفتح دفتري على صفحة فارغة وأرى الفرص بدلًا من الإحباط، وعندما كنت أشعر بمتعة حقيقية في ربط الكلمات والجمل معًا فحسب لأرى كيف يبدو وقعها، عندما كانت الكتابة عملًا خياليًا خالصًا آخذ فيه نفسي إلى مكان آخر، وأخلق شيئًا خاصًا بي فقط.

افتقدت كيف كان شعور الكتابة قبل أن ألتقي بأثينا ليو.

لكن بمجرد دخول المرء عالم النشر المهني، تصبح الكتابة فجأة مسألة غيرة مهنية، وميزانيات تسويق غامضة، وتقدم لا يُقارن بذاك الذي يحققه الزملاء. يذهب المحررون ليتلاعبوا بكلماتك ورؤيتك، وتجبرك شركات التسويق والدعاية على تقليص مئات الصفحات من التأملات الدقيقة والمعقدة إلى نقاط محورية جذابة، قابلة للنشر على تويتر، إذ يفرض القراء توقعاتهم، لا على القصة فحسب، ولكن على سياساتك، وفلسفتك، ووجهة نظرك في كل شيء يتعلق بالأخلاقيات. تصبح أنت، وليس كتابتك، المنتَج، مظهرك، وذكاؤك، وردودك السريعة واصطفافك عبر الإنترنت مع الخلافات التي لا يهتم بها أحد في العالم الحقيقي.

ومتى تبدأ بالكتابة من أجل السوق، لا يهم ما إذا كان الأمر يتعلق بالقصص التي تعتمل بداخلك، بل يصبح المهم هو ما يريد الجمهور أن يراه، ولا أحد يهتم بتأملات فتاة ذات بشرة بيضاء عادية ومستقيمة من فيلادلفيا. يريد القراء الجديد والغريب، *والمتنوع*، فإذا كنت أرغب في الاستمرار، فهذا ما يجب أن أقدمه لهم.

طلبت أمي العشاء من مطعم "السور العظيم،" ذلك المكان الصيني المحلي. قالت وأنا أجلس: "إنهم جدد، خدمتهم داخل الصالة سيئة للغاية. لا أود الذهاب إلى هناك مرة أخرى. فقد تطلب حصولي على بعض الماء أن أطلبه ثلاث مرات. لكن التوصيل سريع، وأحب الدجاج بالبرتقال الذي يعدونه".

فتحت علبة الأرز ووضعتها أمامي وهي تقول: " تحبين الطعام الصيني، أليس كذلك؟".

لم أملك الشجاعة لإخبارها أن روري هي من كانت تحب الطعام الصيني، وأن الطعام الصيني يجعل معدتي تؤلمني، خاصة الآن، بعد ذلك الاجتماع الرهيب في روكفيل.

قلت: "نعم، لا بأس".

أحضرت لكِ وجبتكِ المفضلة. هل ما زلتِ نباتية؟".

"أوه، فقط إلى حد ما، لكن لا بأس". فتحت عيدان الطعام، وقلت لها: "شكرًا".

أومأت أمي وهي تأخذ بعض الأرز المقلي باللحم المقدد وتضعه على طبقها، ثم بدأت في الأكل.

لم نكن نتحدث كثيرًا. لطالما كانت الأمور هكذا بيننا - إما يسود صمت هادئ وإما شجار عنيف. لم توجد حالة وسط بينهما ولا اهتمامات مشتركة يمكننا التحدث عنها ببساطة. بدا وكأن أي شغف كان لدى أمي ذات يوم قد تبخر في الثمانينات، عندما كانت تتابع الفرق الموسيقية وتسمي أطفالها بأسماء، مثل جونيبير سونج وأورورا ويسبر. كانت قد عادت للعمل بعد وفاة والدي، ومنذ ذلك الحين حولت نفسها لتتوافق تمامًا مع النموذج الأمريكي المثالي للأم العاملة العزباء: حضور مثالي في عملها المكتبي، وحضور مثالي في اجتماعات أولياء الأمور، ومدخرات تكفي بصعوبة لتغطية تكاليف تعليمي وروري في مدارس جيدة مع حد أدنى من

الديون الطلابية، بالإضافة إلى إنشاء حساب تقاعدي لها. يبدو أن متطلبات هذا العناء لم تترك أي مساحة للإبداع. إنها ذلك النوع من الأمهات ذوات البشرة البيضاء التي تشتري مجلات المعيشة المنزلية الموضوعة بجانب موظف الحساب في متجر البقالة، والتي تشرب زجاجات من المياه الفوارة التي يبلغ سعرها أربعة دولارات من تريدر جو، وهي نفسها من نوع الأمهات التي تشير إلى *سلسلة روايات توايلايت* على أنها "تلك الكتب التي تحكي عن مصاصي الدماء،" والتي لم تقرأ شيئًا سوى الكتب الرخيصة من كوستكو لعدة عقود.

كانت أمي دائمًا على وفاق مع روري. كنت دائمًا أشعر بأنها لا تستطيع التعامل معي، إذ كان والدي هو الذي يستطيع دائمًا أن يتبعني أينما ذهبت خيالاتي، لكننا لا نتحدث عن والدي.

ظللنا جالستين في صمت لفترة، نأكل لفائف البيض وقطع الدجاج المقلي التي يشبه طعمها الحلوى من كثرة السكر بها. وأخيرًا، سألت أمي: "كيف حال، مممم، الكتابة معك؟".

لطالما تمتعت أمي بقدرة خاصة على تحويل جميع طموحاتي إلى هواجس تافهة بمجرد سؤال عابر يخلو من الاهتمام.

وضعت عيدان الطعام على الطاولة، وأجبت: "إنها، آه، بخير".

"أوه، هذا جيد".

"حسنًا، في الواقع، أنا نوعًا ما... " أردت أن أخبرها لماذا كنت بائسة طوال الأشهر القليلة الماضية، لكنني لم أعرف من أين أبدأ. قلت: "أنا في وضع صعب من الناحية الإبداعية. مثلًا، لا أستطيع التفكير في أي شيء لأكتب عنه".

"تعنين مثل جمود الإبداع؟".

"نوعًا ما. لكن عادة ما أجد بعض الحيل للخروج من تلك الحالة، مثل تمارين الكتابة، أو الاستماع إلى الموسيقى، أو الذهاب في نزهات طويلة وما إلى ذلك. هذه المرة، لا شيء يفيد".

دفعت أمي بعض قطع الدجاج جانبًا لتلتقط قطعة مكسرات محلاة وقالت: "حسنًا، ربما حان الوقت للمضي قدمًا إذًا".

"*أمي!*".

" أقصد فحسب أن صديقة روري تلك ما زالت تستطيع تسجيلك في تلك الدورة. عليك فقط تعبئة الاستمارة".

كانت أمي تقترح عليّ أن أدرس الماجستير في الضرائب والمحاسبة في الجامعة الأمريكية في كل مرة رأيتها فيها خلال السنوات الأربع الماضية، بل إنها ذهبت إلى حد طباعة وإرسال استمارة التقديم لي في الصيف بعد فشل روايتي الأولى واضطراري لتدريس الأطفال من أجل السات لكي أدفع الإيجار.

"للمرة الأخيرة، لا أريد أن أكون محاسبة".

"ماذا يعيب أن تكوني محاسبة؟".

"لقد أخبرتك، لا أريد أن أعمل في وظيفة مكتبية مثلما تفعلين أنتِ وروري ... "

كنت أعرف ما ستقوله بعد ذلك. لقد اعتدنا إلقاء هذه الجمل بعضنا على بعض لسنوات. "هل أنتِ أفضل ممن يعملن في وظائف المكاتب؟ ألن تواجه جونى خريجة جامعة ييل أيامًا عصيبة مثلنا؟".

"كفى يا أمي".

"تستطيع روري شراء الطعام، كما أن لديها حساب تقاعد ... "

قلت بانفعال: "أكسب ما يكفي للعيش، لديَّ شقة مستأجرة من غرفة نوم واحدة في روسلين، كما أن لدي تأمينًا، وحسنًا لقد اشتريت حاسوبًا محمولًا جديدًا. ربما أكون أغنى من روري بل ..."

" ما المشكلة إذًا؟ ما أهمية هذه الرواية القادمة؟".

قلت، رغم أنني كنت أعرف أنني لن أستطيع جعلها تفهم هذا: "لا يمكنني الاعتماد على أعمالي السابقة. أنا بحاجة لكتابة الشيء الأفضل التالي، ثم عمل آخر، وإلا ستقل المبيعات، ويتوقف الناس عن قراءة أعمالي، وينساني الجميع". جعلني ما قلته بصوت مسموع أرغب في البكاء. لم أدرك كم كان هذا يخيفني: أن أصبح مجهولة ومنسية. شهقت وأكملت: "ثم عندما أموت، لن أترك أي أثر في العالم. سيصبح الأمر وكأنني لم أكن هنا على الإطلاق".

راقبتني أمي لفترة طويلة، ثم وضعت يدها على ذراعي.

قالت: "ليست الكتابة كل شيء في العالم يا جونى. وهناك الكثير من الوظائف التي لن تجعلك بهذا التوتر المستمر، وانكسار القلب المستمر، هذا كل ما أريد قوله".

لكن الكتابة هي *حقًّا* كل شيء في العالم. كيف يمكنني أن أشرح هذا لها؟ لم يكن التوقف خيارًا بالنسبة لي، بل كان يجب أن أستمر في الإبداع، فهو احتياج جسدي ورغبة، مثل التنفس والأكل. فعندما تسير الأمور بشكل جيد، تكون أفضل مصدر للنشوة، وعندما لا تسير، لا أستطيع أن أستمتع بأي شيء آخر.

كان والدي يعزف الجيتار في وقت فراغه؛ لذلك فقد كان يفهمني. يحتاج الموسيقي إلى أن يُسمع، ويحتاج الكاتب لأن تُقرأ أعماله. كم أريد أن أحرك قلوب الناس! وكم أريد أن تكون رواياتي في المتاجر في جميع أنحاء العالم! لم أستطع أن أعيش مثل أمي وروري، بحياتهما الصغيرة والمنعزلة، دون مشاريع عظيمة أو فرص تدفعهما من فصل إلى آخر. أردت للعالم أن ينتظر ما سأكتبه بفارغ الصبر، وأردت لكلماتي أن تخلَّد إلى الأبد. أريد أن أكون خالدة، دائمة؛ وعندما أرحل، أريد أن أترك ورائي جبلًا من الصفحات التي تصرخ: *كانت جونيبير سونج هنا وأخبرتنا بما كان يدور في ذهنها*.

لكنني لم أعد أعرف ما الذي أريد قوله بعد الآن، بل لم أعد أعرف ما إن كنت قد تيقنت من ذلك يومًا. وأرعبتني الفكرة بأن الشيء الوحيد الذي سيُذكر عني والطريقة الوحيدة التي يمكنني بها إنتاج عمل جيد في الوقت الحالي تتمثل في سرقة أفكار شخص آخر.

لم أرد أن أكون مجرد وعاء لشبح أثينا.

اقترحت أمي غير مدركة لما يدور في رأسي: "يمكنك العمل مع خالتك شيريل، فلا تزال تبحث عن مساعدة. يمكنك أن تنتقلي من واشنطن. إنها مكلفة جدًّا على أي حال. تعالي معي إلى ميلبورن يمكنك شراء منزل كامل في سانتري من دخلك. أرتني روري أرتني..."

فغرت فاي وقلت: "هل سألتِ روري عن إقراراتي الضريبية؟".

هزت أمي كتفيها بلا مبالاة: "كنّا فقط نخطط لمستقبلكِ. لذا مع ما لديكِ من مدّخرات الآن، من الحكمة أن تقومي ببعض الاستثمارات العقارية. شيريل فكرت لك في بعض المنازل..."

"يا إلهي! هذا بالضبط... " تنفست بعمق وأجبرت نفسي على الهدوء. كانت أمي تتعامل بهذه الطريقة منذ كنت طفلة، لذلك لا شيء أقل من زراعة دماغ جديد كان ليغيرها. قلت: "لا أريد أن أتحدث في هذا بعد الآن."

"يجب أن تكوني عملية يا جوني. أنت شابة؛ يجب أن تستفيدي مما لديكِ من أصول..."

صرخت: "حسنًا، توقفي من فضلكِ. أعلم أنكِ لم تدعمي روايتي... "

رمشت بتوتر: "بالطبع دعمتها".

"بل لم تفعلي. كنتِ تكرهينها. لطالما اعتقدتِ أنها سخيفة، فهمت ذلك... "

"أوه، لا يا جوني". دلكت رأسِي بلطف كما كانت تفعل عندما كنت طفلة، لكن لم يعد هذا يشعرني بأي نوع من الراحة. لا تتم مثل هذه الحركة بين امرأتين بالغتين سوى عن استعلاء. أكملت: "أنا أعرف ما هي حال الفنون. لا يصبح الجميع مشاهير، ولم أكن أريد رؤيتكِ تتألمين".

الفصل العشرون

بعد يومين، عدت إلى واشنطن العاصمة دون أدنى فكرة عن أي رواية أو أي دليل على ما يجب عليَّ فعله.

عندما يكون هناك مشروع تحت سيطرتك، فإن جدول الكتابة بدوام كامل يبدو كأنه نعمة. ولكن عندما تجد صعوبة في أجل إيجاد فكرة، فإن الساعات تبدو كأنها تخنقك وتلومك. يمر الوقت بسرعة فيما تجلس محدقًا إلى حاسوبك المحمول مغمورًا بالإلهام، وأنت تكتب عملك العظيم. وفيما عدا ذلك، تجد الثواني تزحف ببطء شديد.

لم يكن هناك شيء لأفعله، فلا شيء لأكتبه، ولا شيء يشغلني. في معظم الأيام، كنت أشغل نفسي بالأعمال المنزلية، وأعد الدقائق حتى يصل وقت الوجبة التالية لأتشتت بها. كنت أسقي نباتاتي وأرتب أكوابي. صار بإمكاني تناول لازانيا الميكروويف في نصف ساعة، كما أصبحت أحقد على العاملين في مقهى ستاربكس أو موظفي كرامرز، على الأقل، كان يمكنهم تمرير أيامهم بأعمالهم المرهقة التي تحمل نوعًا من الكرامة.

انتهى بي المطاف إلى قضاء أوقات طويلة أتصفح صفحات القبول لبرامج الدراسات العليا المختلفة. لا أحدد التخصص في مجال معين، بل أُفكر في جميعها؛ القانون، والعمل المجتمعي، والتعليم، وحتى المحاسبة، إذ يَعِد جميعها بمدخل إلى

حياة مختلفة تمامًا، وذلك بعد فترة طويلة مناسبة من التوجيه الأكاديمي، حيث لا أضطر إلى بذل جهد في التفكير.

بل إنني فكرت في العودة إلى كلية فيريتاس، إن لم يكن لأشغل وقتي، ولكن إرادتي كانت تتبخر في كل مرة أمسك فيها بهاتفي. لقد أخبرت رئيسي بأنني سأستقيل لملاحقة أحلامي، ولم يسعني شرح السبب الذي دفعني للعودة.

في معظم الليالي، كان الأمر ينتهي بي للتكور في سريري ممسكة بهاتفي على بعد سنتيمترات من وجهي، أتصفح الإنترنت بحثًا عن أي ذكر لي أو لكتبي فقط لأشعر بوقع تلك الإثارة التي شعرت بها حين كنت مدللة الأدب. كنت أقرأ البيانات الصحفية القديمة عني. وصفني ملف *مجلة ببليشرز ويكلي* بـ"الباحثة الثاقبة والحساسة"، ووصفتني *نيويوركر* بـ"أكثر المواهب الجديدة إثارة في عالم النشر". رحت أقرأ مرارًا وتكرارًا أكثر المراجعات إشادةً برواية *الجبهة الأخيرة والساحرة الأم* على موقع جود ريدز محاولة تذكير نفسي بأن هناك وقتًا كان الناس فيه يحبون أعمالي حقًا.

ولكن كلما بدأ ذلك يصبح مملًا - عادةً عندما يقترب الوقت من منتصف الليل، كنت أذهب لقراءة التعليقات السلبية.

في الماضي، كلما كنت أتصفح جود ريدز، كنت أُصفِّي النتائج بحيث لا أرى سوى المراجعات ذات الخمس نجوم، وأعيد قراءتها مرارًا وتكرارًا كلما احتجت إلى دفعة معنوية. لكن الآن، أصبحت أتجه مباشرة إلى المراجعات اللاذعة، كأنني أضغط على جرح نازف مرارًا محاولةً معرفة مدى قدرتي على تحمُّل الألم؛ لأن إدراك حدوده قد يمنحني نوعًا من السيطرة عليه.

تحتوي المراجعات ذات النجمة الواحدة على كل ما يمكن توقعه:

إذا قررت يومًا سرقة رواية، فسأسرق شيئًا أفضل من هذه، هاها!

جئت هنا فقط لأقول: تبًّا لجوني هايوارد.

لم أقرأ هذه الرواية، لكنني أُعطيها نجمة واحدة؛ لأن الكاتبة سارقة عنصرية.

حذفت ثلاث نجوم بسبب مشهد آني ووترز وحده.

كنت أستلقي في فراشي لعدة ساعات كل ليلة غارقة في كل شيء قاسٍ عني تم تداوله في الإنترنت. كان الأمر مطهرًا للنفس بطريقة غريبة. كنت أتفنن في تركيز كل السلبية واستيعابها دفعة واحدة، وأجد عزاءً في عدم إمكانية ازدياد الأمر سوءًا أكثر من هذا.

في بعض الأحيان، كنت أتساءل عما قد يبدو عليه تصحيح المسار الأدبي. ماذا لو توسلت إلى من يناصبونني العداء طلبًا للغفران؟ ماذا لو، بدلًا من التمسك بموقفي، اعترفت بكل شيء وحاولت تقديم نوع من التعويض؟

كتبت ديانا كيو مقالًا على ميديوم بعنوان: "يجب على جوني هايوارد أن تكفر عن خطئها، وها هي الطريقة." كانت قائمتها المكونة من اثني عشر بندًا تشمل أشياء مثل: "تقديم دليل علني على أنها خضعت لدورة تدريبية في الحساسية العرقية" و"التبرع بكامل أرباحها من *الجبهة الأخيرة* و*الساحرة الأم* لجمعية خيرية تختارها لجنة موضوعية من الكُتّاب الأمريكيين من أصول آسيوية" و"نشر إقراراتها الضريبية عن السنوات الثلاث الماضية للتأكد من مقدار الأرباح التي جنتها من عمل أثينا ليو".

إقرارات الضرائب. هل هي جادة؟ من تظن نفسها؟

يمكنني أن أتحمل أن أكون منبوذة. لكني كنت أفضل الموت على الانحناء، والتخلي عن كل مدخراتي، والركوع أمام رواد تويتر والتوسل أمام الحشد الساخر المتعالي.

وذات ليلة، فوجئت برأي مدروس وسط مستنقع القذارة. كانت مراجعة لـ"*الجبهة الأخيرة*" نُشرت قبل شهرين. كانت طويلة على نحو جعلها تكاد تكون مقالًا كاملًا.

> قالت الفقرة قبل الأخيرة: بعيدًا عن الدراما، أجد مسألة التأليف مثيرة جدًّا للاهتمام. ما لم تصدر هايوارد بيانًا مفصلًا وصادقًا، لن نعرف الحقيقة الكاملة وراء تأليف هذا العمل. لكن القراءة المتأنّية تقود المرء إلى الاعتقاد بأنه نص ذو تأليف مشترك، حيث يبدو شديد التناقض في معالجته موضوعاته المركزية. ففي بعض الأحيان، يكون غاضبًا جدًّا بشأن التستر على فيلق العمل الصيني، ما يجعل المرء يشعر بأن التوبيخ يكاد يتسرب من

الصفحة. وفي أحيان أخرى، ينحدر إلى التبجحات الرومانسية نفسها التي ينتقدها النص. إما أنه تلاعب ذكي للغاية للقارئ وإما أنه عمل بدأه مؤلف وأتمه مؤلف آخر، على حد ما نراه.

اغتدلت في جلستي مستيقظة، فجأة وأنا أشعر بالفضول. من هذا الشخص؟ نقرت ملفه الشخصي، لكن اسم المستخدم كان عاديًا وغير لافت للنظر - "ديزي تشين.453". لم يكن هناك صورة للملف الشخصي، كما أن الحساب لم يحتوِ على أصدقاء أو متابعين أعرفهم. أما عن سجل المراجعات السابقة، فكان عبارة عن آراء مدروسة حول كتب مكروهة مثل *المساعدة والقذارة الأمريكية*. كانت مثيرة للتصفح، لكنها لم تكشف عن أي أدلة حول شخصية من كتبها.

كنت خائفة من مقدار معرفة هذا الشخص بي. بدت الأجزاء الأولى من المراجعة شديدة الذكاء والدقة في تحليل التقنيات المستخدمة في النص، ما جعلني أتساءل ما إذا كانت قد وصلت بطريقة ما إلى رسائل محرري الإلكترونية، أو ربما كانت ممن عملوا في إيدن.

لكن الفقرة الأخيرة هي التي ظلت عالقة في ذهني:

> ما لم يتطرق إليه أحد حقًا في هذا النقاش هو طبيعة علاقة ليو وهايوارد، فقد أشارت جميع الأدلة لكونهما بالفعل صديقتين، رغم أنه من ضروب الفظاعة أن تفعل ذلك صديقة مع صديقتها. هل كانت تمثل حالة من الغيرة الحقيرة، إذًا؟ هل كانت هايوارد مسئولة بطريقة ما عن وفاة ليو؟ هل كانت تحاول تكريم صديقة تعد منافِسة لها، لكنها فعلت ذلك بطريقة بشعة، أم أنها بريئة من القضية كلها؟ على أية حال، أريد أن أدفع نقودي لقراءة رواية عن هذه الفوضى نفسها.

لقد عثرت على فكرة مشروعي التالي.

استيقظت والفكرة مستقرة في ذهني، ومكتملة، إذ نسجها اللاوعي طوال ساعات من النوم المضطرب والمملوء بالأحلام. هذه هي الإجابة: الطريق إلى

استعادة المكانة الأدبية والنجاح الساحق ضخم في آن واحد. كان الجواب واضحًا جدًا طوال الوقت، لا أستطيع أن أصدق أنني لم أره حتى الآن.

لن أتجنب الجدل بعد الآن. كانت تلك العقلية تعيقني. فحتى الآن، كنت مقتنعة بأن إعادة إحيائي الأدبي يجب أن ينفصل عن إرث أثينا.

لكن لم يكن باستطاعتي المضي قدمًا ونسيان الأمر. لن يجعلني أحد أنسى، وأقلهم إزعاجًا هو شبح أثينا. لم أستطع التخلص من تأثيرها أو من الشائعات المحيطة بها أو، بعبارة أدق، المحيطة بنا.

كان يجب بالأحرى أن أواجه الجميع مباشرة.

سأكتب عنًّا. حسنًا، بل نسخة خيالية منا، سيرة ذاتية وهمية أدمج فيها الحقيقة بالخيال. سأصف الليلة التي ماتت فيها بكل تفاصيلها الغريبة والمروعة. سأصف كيف سرقت عملها ونشرته. سأصف كل خطوة على طريقي نحو النجومية الأدبية، ثم سقوطي المرعب. سيقضي الأكاديميون والباحثون وقتًا ممتعًا في قراءة هذا النص. سيكتبون مراجعات كاملة عن كيفية مزج الحقيقة بالكذب بذكاء، وكيف عالجت الشائعات عني، وحولت النميمة القبيحة عن صداقة ثمينة إلى قصة تضع القارئ أمام رغبته المريضة في الفضائح والتدمير. سيعترفون أنها معالجة جذرية ورائدة. لم يسبق لأحد أن تحدى التوقعات الأدبية بهذا الشكل من قبل.

سأبالغ في إبراز بعض التفاصيل التي ستفتن القراء وتجعل مستخدمي تيك توك يغرمون بالقصة. وربما يقوم أحدهم بتحويل القصة إلى فيلم، حيث ستلعب فلورنسا بيوج دوري، وتلك الفتاة بطلة فيلم *آسيويون أغنياء مجانين* ستلعب دور أثينا. ستكون الموسيقى التصويرية بالكامل من الموسيقى الكلاسيكية، وسيحصد الفيلم الجوائز كلها.

ومتى تم تحويل هذه الفضيحة وحفظها في شكل رواية، وتهجير كل الشائعات القبيحة وغير المؤكدة عني إلى مجال الخيال، سأصبح حرة.

لقد تحمست بشكل جعلني كدت أرسل بريدًا إلكترونيًا إلى دانييلا فورًا بفكرة الرواية. لكنني تذكرت أن دانييلا الآن كانت في خضم عاصفة خاصة بها. صرح مساعد تحرير سابق لم تعرف هويته بعد لـ *مجلة بابليشرز ويكلي* بأن دانييلا كانت تصرح بعدة تصريحات عنصرية خلال الاجتماعات (قالت للفريق ذات مرة أثناء عمليات الاستحواذ: "لدينا بالفعل كاتبة من عرق آخر، إذا أحضرنا

المزيد، قد يخرج الأمر عن السيطرة"). حظرت إيدن نفسها إعلاميًا ردًّا على ذلك.، كانت دانييلا قد أكدت التزامها بدعم التنوع، والمساواة، والشمول في جميع مجالات عملها، وذلك في بريد إلكتروني أرسلته لجميع كتّابها، ولكن أُخرجت هذه التصريحات من سياقها، وتم تسريبها إلى الصحافة من قِبل شخص أعتقد أن لديه ضغينة شخصية ضدّي. آخر ما سمعت هو أنها قد قدمت التبرعات إلى صندوق كفالة في الغرب الأوسط، رغم أنه ليس من الواضح على الفور كيف يرتبط هذا بالمشكلة الأصلية وهي الخوف من الأعراق الأخرى.

لم يقلقني الأمر للغاية، فسرعان ما ستنتهي الأمور المتعلقة بدانييلا. يتعرض المحترفون في مجال النشر دائمًا لانتقادات لفظية، ولكن ليس من السهل إقصاء محررة واحدة فقط في دار نشر أغلب موظفيها من الذكور. لكن بدا من الأفضل ألا أدخل إلى صندوق بريدها الإلكتروني الآن.

غضضت بصري وبدأت أكتب بجدية لأول مرة منذ أسابيع. تدفقت الكلمات بسهولة من بين أناملي، ربما لأنني لم أحتج للاختراع أو التوقف للتفكير. كان ما يخرج مني هو الحقيقة وهذه المرة كنت المسيطرة الوحيدة على السرد. بدأت أخط آلاف الكلمات يوميًا، وهو مستوى من الإنتاجية لم أحققه منذ أيام الجامعة. أصبح لديَّ حافز حقيقي للجلوس أمام حاسوبي المحمول كل صباح، وعدم التوقف عن الكتابة حتى قرب منتصف الليل.

شعرت بأن هناك سببًا كونيًا أعمق وراء عودة تدفق كتابتي، وهذا الشعور قد بدا كأنه الخلاص، بل مثل المغفرة؛ لأنه إذا استطعت كتابة هذا الشيء بنفسي، وإذا استطعت تحويل هذه الفوضى الرهيبة إلى قصة جميلة، فقد لا يغير ذلك ما فعلته، ولكنه سيضفي على كل ذلك قيمة فنية. سيكون وسيلة للكشف عن الحقيقة دون قولها، بل وأكثر من ذلك، سيكون ممتعًا. سيظل في عقول القراء إلى الأبد مثل لحن عذب أو وجه جميل. ستصبح هذه القصة خالدة، وستكون أثينا جزءًا من ذلك.

ماذا يمكننا أن نريد ككتّاب أكثر من الخلود؟ أليست الأشباح تريد فقط أن يتذكرها الناس؟

ظللت أفكر في أثينا طوال الوقت هذه الأيام.

لم تعد ذكرياتها تطاردني، ولم أعد أجبر نفسي على طرد المشاهد التي تقتحم بها ذهني. لكنني أبقيت نفسي داخل تلك الذكريات، واستخرجت منها التفاصيل، وغمرت نفسي بالمشاعر التي تحيط بها، وتخيلت عشرات الطرق لإعادة تخيلها وإعادة تأطيرها. وأحيانًا كنت أجلس مع شبحها وأدعوها للتحدث.

علمني معالجي ذات مرة أن أفضل طريقة للتعامل مع الذكريات المؤلمة التي تثير الذعر هي أن نعتبرها مشاهد من فيلم رعب، الصدمات المفاجئة ترعب في المرة الأولى التي تراها فيها، لأنها تفاجئك، ولأنك لا تعرف ما الذي تتوقعه. ولكن بمجرد أن تشاهدها مرارًا وتكرارًا، عندما تعرف بالضبط متى ستقفز تلك المرأة المرعبة التي تسيطر عليها الأرواح، فإن تلك المشاهد تفقد سيطرتها عليك.

فعلت الشيء نفسه مع كل فكرة فظيعة مرَّت بي عن أثينا. ظللت أغمر نفسي في الرعب، وكتبت كل تفصيلة مؤلمة عن معاملتي بإساءة في نادي الصينيين الأمريكيين في روكفيل. كما وصفت مدى شعوري بالتعاسة عندما أُطلق حساب @شبح___أثينا___ليو لأول مرة، وكيف دمَّرت الفوضى الناتجة عن ذلك صحتي النفسية. لقد قبضت على شبح أثينا وحفرته على الصفحة، حيث يُحاصَر في نص ثابت بالأبيض والأسود، ولا يمكنه فعل أكثر من قول: "بو!".

كتبت عن شعوري بالعجز الذي زرعته أثينا في نفسي منذ أيام الجامعة، وكيف كنت أبتلع الغيرة اللاذعة في كل مرة تحقق فيها شيئًا لم أستطع تحقيقه. كما تحدثت عن شعوري عندما أخبرني جيف عن سخرية أثينا مني في ذلك المؤتمر، واسترجعت كيف سرقت قصتي عن اغتصابي المحتمل، ووصفت كيف، رغم كل ذلك، ظللت أحبها.

لكن مع بحثي في الماضي، أجد نفسي أتوقف عند الذكريات الجميلة أيضًا، وقد اتضح أنها أكثر مما ظننت. لم أسمح لنفسي بالتفكير في أيام الجامعة منذ وقت طويل، لكن بمجرد أن بدأت التفكير فيها، بدأت كل تلك الذكريات في الظهور. مثل زيارتنا الدورية إلى ستاربكس كل يوم ثلاثاء بعد ندوة النساء في الأدب الفيكتوري: كنت أتناول موكا مثلجة، وتتناول أثينا مشروب التوت والكركديه المنعش، وليالٍ أمضيناها في فعاليات الشعر المرتجل حيث كنا نرتشف صودا الزنجبيل ونقهقه على المؤدين، الذين لم يكونوا شعراء حقيقيين، والذين، بلا شك، كانوا ليتجاوزوا

هـذه الحماقـة يومًـا مـا، وأيضًـا حفـل الغنـاء الجماعـي لأغاني *آه ليه مي* في شقة أحد طـلاب قسـم الدراما، حيث صرخنا بأعلـى أصواتنا: "يوم آخر!".

وفيمـا كنـت أكتـب كل هـذا، تسـاءلت مـا إذا كانـت صداقتنـا متوتـرة بالفعل كمـا كنـت أظـن. هـل كانـت تلك التوترات الغيـورة موجودة دائمًا؟ هل كنا متنافستين منذ البداية، أم أنني، في خضم عدم الأمان الذي شعرت به، كنت أسقط هذه المشـاعر كلهـا علـى أثينا؟

تذكـرت ذلـك اليـوم في *سنتنا* الأخيـرة عندما تلقت أثينـا أول عرض على روايتها الأولـى، عندمـا اتصـل بهـا وكيلهـا وأخبرهـا في طريقها إلى صف الباليه بأنها ستجد روايتهـا قريبًـا علـى الأرفـف. اتصلـت بـي أولًا. *بـي أنـا*. لقـد أخبرتـي قبـل أن تخبـر والديها.

همست: "يا إلهي يا جوني! لن تصدقي، لا أستطيع تصديق ذلك".

ثـم أخبرتـي عـن العرض، فصرخـت وأنـا ألهـث، وصحنـا معًـا لمدة ثلاثيـن ثانية متواصلة.

همست: "يا فتاة، إن الأمور تحدث. كل ما أردته ... "

كنـت أتذكـر همسـها بوضـوح وهـي مصدومـة، ومتفائلـة، وضعيفـة فـي آن واحـد: "أشـعر وكأنني أقف على حافة جبل، وحياتي كلها أمامي، أشعر وكأن كل شـيء على وشك أن يتغير".

قلت مؤكدة: "ستتغير يا أثينا، وستصبحين نجمة لامعة".

ثـم صرخنـا مـرة أخـرى معًـا، مستمتعتين بوجود كل منـا علـى الطرف الآخر من الخـط، إذ كان مـن الرائـع أن تعرف شخصًـا يفهـم هـذا الحلم تمامًـا، ويعـرف كيـف تتحول الكلمات البسيطة إلى جمل ثم إلى تحفة مكتملة، وكيف يمكن أن تأخذك تلك التحفـة إلـى عالـم غير مألوف حيث تمتلك كل شـيء؛ عالم كتبته بنفسـك.

وقعـت فـي حـب الكتابـة مجـددًا، وبـدأت أحلـم مجـددًا. فمنـذ أن انتشـرت تغريـدات حسـاب @شبح___أثينا___ليو رحـت أعمـل مـن منطلـق الخـوف، وتبريـر الـذات، وعدم الأمان. لكن الآن، أصبح بإمكاني التمتع مرة أخرى بإمكانية النشـر، بالأشياء التـي يمكـن لهذا العالـم أن يقدمها لي. سـيبيع بريت هذا الكتاب لدانييلا بمقدم أقل

بكثير مما حصلنا عليه لـ *الجبهة الأخيرة*، نظرًا للظروف. ولكنه، سيصبح ضربة مفاجئة. ستنفد الطبعة الأولى ونبدأ في بيع الثانية قبل يوم الإطلاق. ثم ستبدأ دورة الصحافة، ولن يتوقف الجميع عن الحديث عن الجرأة المطلقة لهذا العمل. سيؤدي الجدل المحموم إلى زيادة المبيعات، وسأغطي قيمة الدفعة المقدمة خلال أسابيع، ثم سأبدأ في جني ضعف العائدات التي كنت أحصل عليها من قبل.

كنت أشعر بحالة جعلتني سجلت الدخول إلى إنستجرام لأول مرة منذ أسابيع، ووضعت صورة لي من جلسة الكتابة اليوم متجاهلة التعليقات المفعمة بالكراهية على جميع منشوراتي السابقة. كنت جالسة على طاولة خشبية بالقرب من نافذة مقهى خلال ساعة الغروب، وبشرتي المملوءة بالنمش تلمع، وشعري ينسدل في أمواج ناعمة حول كتفيَّ، بينما أضع يدًا واحدة على خديَّ، والأخرى تلامس لوحة مفاتيح الحاسوب المحمول، وأصابعي جاهزة تمامًا للكتابة.

كتبت في وصف الصورة: "أنا غارقة تمامًا في هذه المخطوطة، وقد نحيت السلبية جانبًا، لأنه عندما تكون كاتبًا، فإن كل ما يهم هو القصة في داخلك. لقد تأخرنا في الفصل التالي، لا أطيق الانتظار لمشاركته معكم جميعًا".

وفجأة عاد الحساب القديم لأثينا على إنستجرام للنشاط تلك الليلة.

لم يكن المنشور ليظهر لي لو لم أكن أتصفح إشعاراتي بحثًا عن الإعجابات. أثنى أحدهم على بشرتي الخالية من العيوب وسأل عن روتيني للعناية بها. وعبّر آخر عن حبه للمقهى الذي كنت أجلس فيه، في حين كتب شخص ثالث: رواية جديدة من جونيبير سونج؟ لا أطيق الانتظار!

لكن كان هناك أيضًا إشعار يحمل عبارة: هل ظننت أنك تخلصت مني؟ بدا لي الأمر مجرد مزحة ثقيلة، لكن الصورة المصغرة للحساب بدت مألوفة، وكان الحساب يحمل علامة التوثيق الزرقاء، لذا نقرت لرؤية المنشور.

كدتُ أسقط هاتفي من يدي.

كان هذا حساب أثينا، ينشر لأول مرة منذ صباح اليوم السابق لوفاتها. في الصورة، جلست على مكتبها مبتسمة برقة، لكن كل شيء كان غير *طبيعي*. كانت عيناها متسعتين أكثر من اللازم، وابتسامتها العريضة بدت مؤلمة، وبشرتها

شاحبة كالشبح رغم أشعة الشمس التي تتسلل عبر نافذتها. بدا وجهها وكأنه صورة من إحدى أساطير الإنترنت المرعبة، حيث يبدو كل شيء عاديًا للوهلة الأولى، لكنه يبعث قشعريرة غير مفسرة بسبب شدة غرابته. إلى يمينها، كان كتاب *الجبهة الأخيرة* بنسخته الورقية مفتوحًا، وإلى يسارها، كانت نسخة ذات غلاف مقوى من *الساحرة الأم* موضوعة بجانبها.

قمتُ بالنقر لعرض وصف الصورة كاملًا.

ظننت أنك تخلصت مني؟ آسفة يا جوني. ما زلت صامدة إذًا. سعيدة لأنك قضيت يومًا جيدًا في الكتابة! أنا أيضًا قضيت يومًا جيدًا في الكتابة - ها أنا أتصفح بعض الأعمال القديمة بحثًا عن الإلهام. سمعت أنك من المعجبين!

تصاعد شعوري بالغثيان وشعرت بأنني سأتقيأ عشائي، فركضت إلى الحمام. استغرق الأمر ما يقارب نصف ساعة من التنفس المصحوب بالذعر والتمارين الذهنية، إلى أن أصبحت هادئة واقتربت من هاتفي مرة أخرى.

أجريت بعض عمليات البحث على تويتر: "إنستجرام أثينا ليو"، و"إنستجرام أثينا"، و"إنستا أثينا"، و"شبح أثينا"، وكل العبارات الأخرى التي يمكن أن أفكر بها. لم يتحدث أحد عن هذا بعد، كما أن المنشور لم يتضمن أي علامات تصنيف (هاشتاج) أو يشير إلى أي حسابات أخرى. الأكثر من ذلك هو أن الحساب، الذي كان يضم ما يقارب المليون متابع، أصبح الآن يضم صفرًا من المتابعين. فإما قام الشخص الذي يقف وراء هذا الأمر بحظري وإما قام بحظر مؤقت لكل متابعي أثينا. كان الشخص الوحيد الذي يرى هذا المنشور هو أنا. مَن فعل هذا لم يحاول أن يصبح حديث الجميع، بل أراد لفت انتباهي فحسب.

كيف يمكن أن يتحقق هذا؟ ألا تقوم شركات التواصل الاجتماعي بإغلاق الحسابات فور وفاة صاحبها؟

هذا سخيف للغاية، لكنني بحثت على جوجل عن "أثينا ليو على قيد الحياة" لأتأكد أنها لم تُبعث إلى الحياة بفضل معجزة طبية دون علمي. ولكن ذلك البحث لم يؤدِ لأي نتائج مفيدة؛ أما النتيجة "الأكثر صلة" كانت مقالة تتحدث عن فعالية حديثة لقسم اللغة الإنجليزية في جامعة ييل خُصصت بالكامل لإبقاء ذكرى أثينا

حية. نعم، أثينا ميتة، لقد رحلت، وتحولت إلى رماد. الشخص الوحيد الذي يعتقد أنها لا تزال موجودة هو أنا.

كان ينبغي عليَّ حظر الحساب ونسيان الأمر، فمن المحتمل أنه كان مجرد شخص متصيد ينشر أشياء مروعة لإزعاجي. كان هذا ما سيقوله بريت ودانييلا، وكذلك ما ستقوله روري، لو حاولت أن أشرح سبب انزعاجي الشديد. كان التفسير الواضح والمنطقي هو أنه متصيد، وكررت ذلك مرارًا وتكرارًا في ذهني وأنا أتنفس داخل قبضتي؛ لأن أكثر الأعراض القلق إزعاجًا هو رفض تصديق التفسير الواضح والمنطقي.

حثثت نفسي قائلة: *لا تعيري الأمر اهتمامًا، بل تجاهليه فحسب.*

لكنني لم أستطع. شعرت كأن الأمر مثل شظية مغروسة في راحة يدي. حتى لو كانت صغيرة، لن أستطيع أن أشعر بالراحة وأنا أعلم أنها تحت جلدي. لم أنم تلك الليلة إطلاقًا. ظللت مستلقية والهاتف قريب من وجهي، أحدق بعينين متعبتين في ابتسامة أثينا القوية والمفعمة بالمرح.

ظهرت في ذهني ذكرى دون إرادتي، ذكرى كنت آمل أن أكون قد نسيتها: أثينا ترتدي حذاءها الأسود وشالها الأخضر، جالسة في الصف الأول من الجمهور في فعالية السياسة والأدب، تنظر إليَّ بابتسامة مشرقة وشفاه مطلية بألوان زاهية. أثينا: على نحو غير معقول، وعلى نحو مستحيل، حية.

كان ساعة متأخرة من ليلة الجمعة؛ لذا لم أتمكن من التواصل مع بريت أو فريق الدعاية الخاص بي لمدة يومين آخرين. ولكن ماذا يمكنهم أن يفعلوا؟ قد تكون هذه مشكلة من منظور العلاقات العامة. ومن يهتم بهذا المنشور سواي؟ لم أستطع أن أشرح ما يسببه لي هذا الحساب من إزعاج *تمثلت المشكلة في سرقتي الجبهة الأخيرة، وأنا محملة بالذنب؛ لذا بالتأكيد أنت تفهم لماذا تجعلني هذه المنشورات أشعر بقلق شديد لدرجة أنني أريد التقيؤ؟*

أخيرًا، ولأنني كنت مضطرة لفعل شيء، أمسكت بهاتفي.

أرسلت رسالة نصية إلى جيفري كارلينو: ليس هذا مضحكًا.

لم يرد. وبعد خمس دقائق، تابعت برسالة أخرى: جديًا. توقف.

وأخيرًا، ظهرت نقاط الكتابة أسفل شاشتي. كان يكتب.

لا أعرف عمَّ تتحدثين.

أرسلت له لقطة شاشة من حساب أثينا على إنستجرام، وكتبت: هل يبدو مألوفًا؟

بدأ بالكتابة، ثم توقف، ثم أرسل أخيرًا: لست أنا.

كتبت بغضب: هذه ترهات. كنت أعلم أن كل هذا الغضب في غير محله، لكنني ضغطت على الإرسال على أية حال. أردت أن أفرغ غضبي على أي شخص. لم أكن متأكدة تمامًا من أن جيف هو من وراء هذا، بل كان كل ما كان لديَّ هو مجرد شعور عام، وحقيقة أن من بين جميع مَن أعرفهم، كان جيف، على الأرجح، هو من يملك كلمات مرور أثينا - لكن الأمر لا يهم. لم تكن المسألة تتعلق بجيف، كنت بحاجة إلى السيطرة، إلى عمل شيء يجعلني أشعر بأنني أقاوم، حتى لو كنت فقط أطلق طلقات فارغة.

قابلني في كوكو، غدًا، أو سأقوم بنشر التسجيل.

الفصل الواحد والعشرون

"مرحبًا يا جوني".

جلس جيف على المقعد المقابل لي، وفاجأني مجيئه على نحو جعلني أسكب كوب الشاي من يدي، إذ لم أكن أعتقد أنه سيأتي. اعتدلت في جلستي وأنا أقول: "أوه، مرحبًا".

اعتراف محرج: أرسلت له مجموعة من الرسائل النصية الليلة الماضية، وكانت مملوءة باتهامات عشوائية حول دوافعه، وسخرية لاذعة حول انفصاله عن أثينا. لكنه لم يرد، فافترضت أنه سيحذفها كلها ثم يحظرني.

ولكن ها قد جاء، بهالات تحت عينيه المنتفختين وقد بدا كأنه لم ينم طوال الليل. قال: "لا أعتقد أنك ما زلت تظنين أنني من فعلتها".

تنهدت: "لا". كان جزء مني يرجو أن أجده مذنبًا على نحو ما، لكن اتضح بمجرد النظر إليه أنه لا علاقة له بالأمر. أكملت: "أنا آسفة، فقط... " هززت الهاتف في يدي: "لقد أقلقني هذا، وظننت أنه من بين جميع الأشخاص الذين قد يكون لديهم إمكانية الدخول إلى حسابها ..."

مد يده قائلًا: "هل يمكنني أن ألقي نظرة؟".

"ألم تتفحصه أمس؟".

"لقد حظرتني أثينا منذ سنوات".

"آه". فتحت قفل هاتفي، وبحثت عن حساب أثينا على إنستجرام، وأعطيته هاتفي. بدأ جيف يتصفح الصور صعودًا وهبوطًا متوقفًا عند كل صورة، وعيناه تتابعان النصوص. لم أستطع أن أتخيل ما يدور في ذهنه، كانت هذه خطيبته السابقة، كانت فتاة أحبها.

خفض الهاتف وهو يقول: "لا، ليست هي من ينشر".

"ماذا تعني؟".

"هذه الصور معدلة باستخدام الفوتوشوب من صورة قديمة" أعاد لي الهاتف وهو يقول: "ألا ترين؟ الإضاءة والظلال كلها غير متطابقة. أيضًا، الحواف جودتها بشعة".

سألت: "من أي صورة قديمة؟ لقد فحصت جميع صورها التي وجدتها على الإنترنت، ولم أجد أي صورة بنفس هذه الوضعية".

"ربما لم تعد الصورة عامة؟ لا أعلم. كل ما أعرفه أنني رأيت هذه الصورة من قبل".

كررت: "إذًا، من قد يكون وراء هذا؟ من قد يعرف كلمة مرورها؟".

قال جيف وهو يهز كتفيه: "هل يهم؟ لديك الكثير من الذين يمقتونك بالفعل، أليس كذلك؟ يمكن أن يكون أي شخص. ربما كانت كلمة مرور أثينا سهلة التخمين، أو ربما هناك شخص موهوب للغاية في القرصنة، لا أعرف. كان ما حدث مجردة مزحة سخيفة".

لم أستطع تصديق ذلك، بالتأكيد كان هناك شيء آخر يحدث. لم يكن تفسير وجود عدو متصيد عشوائي ليبرر ظهور أثينا في جلستي القرائية، أو كون شبحها يطارد كل خطوة مهنية أخطوها، كان هناك بالتأكيد من يخطط للأمر.

سألته: "هل لأثينا أخت أو أي أقارب؟".

كانت السيدة ليو قد أخبرتني بأن أثينا كانت ابنتها الوحيدة، إذًا فليس لها أخت، لكن أحيانًا يتشابه الأقارب، أليس كذلك؟ أو لعل السيدة ليو كانت تكذب. في تلك اللحظة، دارت كل أنواع الحبكات المجنونة في رأسي، فربما كانت لها أخت ظنوها ميتة، أو توأم مخفية نشأت في الصين الشيوعية، ثم هربت إلى العالم الحر مصممة على أن تحيا حياة توأمها التي ماتت. ربما تكون هذه فكرة جيدة لرواية عليَّ أن أدونها، وأضعها جانبًا حتى أنهي مذكرتي شبه الذاتية.

قال جيف وهو يهز رأسه: "أعرف ما تفكرين فيه، أقسم لك أن الأمر ليس كذلك".

"هل أنت متأكد؟".

"فقدت عائلة أثينا الاتصال بمعظم أقاربهم عندما هاجروا. أنا متأكد أنك سمعت أثينا تتحدث عن ذلك. حقًا، ثمة أشياء مريعة للغاية في تاريخ تلك العائلة. أشخاص قُتلوا، وأعدمتهم فرق إطلاق النار، وضاعوا في البحر. وربما كان كل هذا مختلقًا، وفي هذه الحالة سيكون الأمر *أكثر* فظاعة، لكنني لا أعتقد ذلك. لقد تحدثت مع السيدة ليو قليلًا عن هذا. ذلك الألم حقيقي".

"هل تعتقد أن ...". توقفت عن الكلام.

"ماذا؟ أنها *هي*؟". سكت جيف، ورأيت في عينيه أنه هو أيضًا قد راوده هذا الشك. كانت تلك الفكرة مجنونة، لكنني لم أكن لأستبعد أن تكون أثينا قد زيفت موتها، وأنها وضعت المخطوطة في المكان الذي كانت تعرف أنني سأجدها فيه. يمكن أن تكون الجنازة أيضًا مجرد تمثيلية، وربما والدتها متورطة في الأمر. ربما تراقبنا أثينا الآن من مكان ما متخفية، ضاحكة خلف معطفها.

لكن جيف هز رأسه: "لا. لا، كانت غريبة الأطوار، لكنها لم تكن مجنونة. لقد كانت - كاتبة، لا ممثلة".

نظر إلى عينيَّ مباشرة، وقال: وألم تكوني أنتِ من... ؟"

أراد أن يقول إنني أنا مَن رأيتها تموت.

نعم، لقد رأيت ذلك بعيني. لقد رأيت الذعر في عينيها، ورأيتها تتلوى وتتشنج، وتحاول تحرير حلقها من الطعام، ثم رأيتها أخيرًا تصبح ساكنة وخالية من الحياة. لم يكن بإمكانها تزييف ذلك. حتى أفضل ممثلة في العالم لا يمكنها تزييف ذلك.

صرخت: " مَن يفعل هذا بي إذًا؟ وماذا *يريدون*؟".

هز جيف كتفيه: "وهل يهم؟ تجاهليهم فحسب. لقد تجاهلتِ الأمر في كل مرة من قبل، أليس كذلك؟ أين اللامبالاة التي أبهرتِنا بها؟ لماذا تهتمين الآن؟".

ازدردت ريقي بصعوبة: "لأن... لأن الأمر يؤلمني. حقًا - يؤلمني".

مال إلى الأمام، وقال: "آه. إذًا، هل ستخبرينني بالحقيقة الآن؟".

فتحت فمي، لكن لم أستطع نطق كلمة واحدة. لم أستطع فعلها. لقد حافظت على ثباتي طوال المدة السابقة، ولم أكن لأكسر هذا الثبات، حتى لو كان في ذلك خلاصي.

قال جيف: "أتفهم ذلك. إن نطقت بالحقيقة، فلن يمكنك التراجع عما ستقولينه أبدًا".

كان يعلم الحقيقة، بدا ذلك واضحًا على وجهه. لم أجد جدوى في محاولة إقناعه بعكس الحقيقة، أو شرح التعقيدات المتداخلة في الأمر أنني بذلتُ جهدي في العمل، وأن *الجبهة الأخيرة* إنجازي بقدر ما هو إنجاز أثينا، وأنها ما كانت لتوجد بصيغتها الحالية من دون إبداعي. لم يكن لهذا أي أهمية، فقد بدا واضحًا أن جيف اتخذ قراره، وهذا لا بأس به. فلم يكن لشيء أن يفعل بي أسوأ مما فعله بي الإنترنت من قبل.

حدَّقت بغضب إلى الطاولة محاولة ترتيب أفكاري. لم يكن بمقدوري إقناعه ببراءتي، لكن كان عليَّ أن أجعله يتفهم على الأقل.

قلت أخيرًا: "لا أفهم سبب هذا الهوس بإرث أثينا، فالجميع يتحدثون عنها وكأنها كانت فريدة من نوعها".

أمال جيف رأسه قليلًا، ثم استرخى في كرسيه، وعقد يديه في حجره في إشارة منه إلى إنه مستعد للبقاء طويلًا وسماع كل ما أحتاج قوله. قال بهدوء: "إذًا، لنتحدث حول هذا".

قلت فجأة: "لقد رأيتُ طريقتها في الكتابة". لم أدرِ لماذا قلت ذلك، لا سيما أمام جيف، دون جميع الناس. لكنني لم يسعني كتمان الأمر أكثر من ذلك، ولم أعد قادرة على حبس كل هذا الغضب بداخلي. تابعت بصوت متوتر: "لقد كانت أثينا سارقة، لقد سرقت آلام الآخرين وجعلتها ملكًا لها، تصفها كما يحلو لها. سرقت بقدر ما سرقت أنا - لقد سرقت *مني*. في الجامعة، كانت ... "

توقفتُ عن الكلام فجأة، إذ شعرت كأنني على وشك الاختناق، وقد أصبت بلسعة في أنفي، فأطبقتُ شفتيَّ بقوة. لم أبح بهذه القصة لأحد من قبل. وإن واصلت الحديث، فعلى الأغلب سأنخرط في البكاء.

قال جيف: "لقد كانت تسرق مني كذلك... باستمرار".

اندهشت لما قاله: "هل تقصد أن قصصك ..."

"لا، أعني - اسمعي، إن الأمر معقد". بدأت عيناه تتحركان هنا وهناك، وكأنه يخشى أن يستمع أحد إلى حديثنا. تنفس بعمق وقال: "كان الأمر أشبه - حسنًا اسمعي، سأعطيك مثالًا. كنا نتشاجر مثلًا حول أمور تافهة، مثل حساسية الكلاب أو أمور مالية مشتركة، ومع ذلك، كانت تلك الأمور مهمة جدًا في ذلك الوقت. كنت أصرخ قائلًا شيئًا يكشف عن ضعفي، ثم أجد الكلمات نفسها منشورة في قصة قصيرة الشهر التالي. وأحيانًا، عندما كنا نتشاجر، كانت تنظر لي بتلك النظرة الباردة وتضيق عينيها. كنت أعرف تلك النظرة جيدًا؛ لأنها النظرة نفسها التي كانت تظهر في عينيها وهي تكتب مشهدًا ما. ولم أكن أعلم إذا ما كانت حقًا تحبني أم أن الأمر بالنسبة لها كان مجرد أحداث ملهمة لا تتوقف، وإذا ما كانت تفتعل تصرفاتها فقط لتوثيق ردود فعلي. في الفترة الأخيرة شعرت كأنني أفقد عقلي". ضغط بأصابعه على أنفه وأكمل: "أحيانًا كانت تقول أشياء تزعجني، أو تسألني عن أشياء مررت بها - ومع مرور الوقت، لم أعد أستطيع التفكير سوى أنها كانت تستخرج مني الأفكار لتستخدمها كوقود".

كان من الصعب عليَّ أن أشعر بالشفقة نحو جيف. إذ كان في نهاية المطاف، الرجل نفسه الذي هدد مرة بنشر صور خاصة لأثينا على موقع ريديت إذا لم تقف بجانبه ضد ناقد من مجلة *لوكاس*. لكنني استطعت رؤية الألم في عينيه، وقد بدا حقيقيًا. كانت أثينا دائمًا تؤمن بأن ما تفعله كان هبة. كانت تعتبر أنها تقوم بتقطير الألم وتحويله إلى شيء خالد. كانت تقول لنا: *أعطوني أوجاعكم وآلامكم، وسأعيدها لكم على هيئة ماسة*. لكنها لم تهتم أبدًا بأن الألم، بمجرد أن يتحول إلى فن، وبمجرد أن تصبح الأمور الشخصية مشاعًا، فإن الألم يبقى في قلوبنا.

فجأة، رفعت عيني نحو النافذة. توقف نفسي، وتشنجت يداي قبل أن يستوعب عقلي ما رأيته: كانت أثينا، بخصلات شعرها المجعدة منسدلة على كتفيها، متدثرة بتلك الشال الأخضر الزمردي الذي ارتدته في حفل إطلاق كتابي. كانت عيناها تلمعان بسخرية، وفمها باللون الأحمر بدا مثل فجوة متعرجة في وجهها. كانت تضحك باستهزاء عندما رأتني مع جيف.

رفعت يدها لتلوح.

بمجرد أن رمشت بعيني وجدتها قد اختفت.

قال جيف، وهو يلتفت نصف التفاتة نحو ما كان يظن أنني أنظر إليه: "هل أنت بخير؟ ما الذي كنت ... ؟"

قلت مرتبكة: "لا شيء، فقط - آسفة".

تنفست بعمق ونظرت مرة أخرى للنافذة فلم أجدها. لم يوجد شيء لأشير إليه، لا شيء يثبت أنني لم أفقد عقلي. انتابتني رغبة عابرة في النهوض والركض إلى الباب ومطاردة هذا الطيف حول المبنى، لكن ماذا لو لم يكن هناك أحد؟ ماذا لو كنت حقًا أفقد عقلي؟

نظر لي جيف نظرة مملوءة بالتعاطف. مرت لحظة من الصمت، ثم قال وهو يميل إلى الأمام: "اسمعي يا جوني. ربما لا تريدين سماع نصيحة مني، لكن يجب أن يقولها أحد. اعملي على شيء آخر. لا... أعني، فقط اخرجي من ذكراها. اتركي كل هذا وراءك".

بدت نصيحة معقولة. تخيلت أن هذا ما كان يحاول فعله على مدار العامين الماضيين. لم يعد لجيف وجود على تويتر، لذلك لم أعد أسمع كثيرًا عما يفعله، ولكن مما سمعته من الآخرين، يبدو أنه يكسب مالًا جيدًا لنفسه من كتابة البرامج التلفزيونية. كنت أعرف أنه لم يعد يذهب إلى المؤتمرات الأدبية، ولم يعد اسمه مادة للسخرية، واختفت ذكرى شائعاته الأدبية. لقد حرر نفسه من ماضيه مع أثينا.

لكن أثينا هي السبب وراء أي نجاح بسيط حققته في حياتي. لولاها ما وُجدت لي مسيرة ككاتبة.

من دون أثينا، لم أكن لأغدو شيئًا؟

قلت بصوت منخفض جدًا: "أنا أحاول، لكني لا أعتقد أنها ستتركني. أو هؤلاء المتصيدون، أيًا كانوا ... "

"تجاهليهم يا جوني، تجاهليهم تمامًا فحسب". بدا جيف مرهقًا للغاية.

"هل تعتقد... هل تعتقد أنه يجب أن أرد؟ أن أحاول التواصل معهم؟".

جلس مستقيمًا وهو يقول: "ماذا؟ لا، بالطبع لا، لماذا قد..."

"فقط لأرى ماذا يريدون. لأرى إن كانوا يريدون التحدث، أعني..."

"لا يوجد شيء لتتحدثي معهم عنه. اتفقنا يا جوني؟ لا يؤدي هذا الطريق إلى أي خير. اتركي الأمر فحسب، أرجوكِ. لا تشجعي هؤلاء المجانين". بدا جيف

غاضبًا بشدة، بل أكثر مما يبرره هذا الحديث، وقد أخافني ذلك قليلًا. تساءلت عما كان يدور في عقله، عن أشباح أثينا التي هاجمته هو الآخر.

زفرت ببطء: "حسنًا، أنت محق".

أكملت تناول الشاي بصمت، إذ لم يكن هناك شيء أفضل لأفعله. لم يطلب جيف أي مشروب لكنه دفع فاتورتي دون أن يسأل، ثم رافقني إلى الشارع. ظل جيف يتأملني ونحن نقف في انتظار سيارة الأوبر التي ستقلني، وكدت أظن أنه سيطلب مني أن أذهب معه إلى منزله. تخيلت، للحظة عابرة، فكرة الذهاب مع جيفري كارلينو. ألا تجمع الصدمات المشتركة بين الناس؟ ألسنا ضحيتين لتلك الأنانية الوقحة نفسها؟

كان جذابًا بالطبع، لكنني لم أشعر بأي رغبة حقيقية تجاهه. إذا كنت سأرتبط بجيف، فسيكون فقط من أجل إثارة الدهشة، ومن أجل الزوبعة السردية التي ستثيرها هذه الخطوة في وسط كل هذه الفوضى. ومع ذلك، رغم أنني لم أستطع تحديد السبب بدقة، كنت أعلم أن الفائز الوحيد من كل هذا سيكون أثينا.

قلت: "أعتقد أنني سأراك قريبًا".

نظر إليَّ جيف، وقال: "ربما!.... جوني؟".

"نعم".

قال: "سيكون كل شيء على ما يرام، تبدو هذه الأمور دائمًا وكأنها نهاية العالم عندما تحدث. لكنها ليست كذلك. وسائل التواصل الاجتماعي هي مساحة صغيرة ومعزولة، وبمجرد أن تغلقي الشاشة، لن يهتم أحد. وأنتِ أيضًا يجب ألا تهتمي، حسنًا ؟ ".

"أنا... حسنًا يا جيف. شكرًا!".

أومأ برأسه ومشى باتجاه محطة الحافلات.

ربما كنت قاسية للغاية. ربما لم يكن جيفري كارلينو تلك الشخصية الحمقاء التي رسمتها له في رأسي. ربما كان فقط شابًا مهزوز الثقة، ومحصورًا في علاقة لم يكن مستعدًا لها. ربما آذته أثينا بالفعل بشدة، وربما حكمنا عليه جميعًا بسرعة لأنه كان رجلًا ذا بشرة بيضاء ثريًا، وأثينا كانت... أثينا.

علاوة على ذلك، جيف هو أحد الأشخاص القلائل على وجه الأرض الذين يفهمون الألم الغريب الذي يرافق محاولة حب أثينا ليو، وعبثية ذلك كله، كمن يرى انعكاس ذاته فيمن يحب، لكنه يظل غير مرئي. مثل إيكاروس الذي اندفع مباشرة نحو الشمس، فقط ليشعر بدفئها على بشرته.

الفصل الثاني والعشرون

بدأ حساب أثينا على إنستجرام في نشر صورها على الأقل مرة في اليوم. كانت صورًا غير قابلة للتصديق، إذ أظهرتها على قيد الحياة وبصحة جيدة، وبجانبها أشياء اختيرت عمدًا، مثل صحف صدرت للتو، وأعداد حديثة من مجلة نيويوركر، وكتب صدرت بعد وفاتها. في بعض الأحيان كان الحساب ينشر صورًا لها وهي تغمز بعينها أو تلوح، وكأنها تستفزني مباشرة بعدم اكتراث. وفي أحيان أخرى كان وجهها يبدو مشوه الملامح بتعبيرات غريبة؛ وعينين مفتوحتين، ولسان يتحرك. وفي بعض الأحيان كانت ثمة صور لها ممسكة بحنجرتها، ونظراتها تستهزئ بموتها. وكانت دائمًا تضع وسمًا لي في نهاية وصف صورها.

"كيف حالك يا @جونيبير.سونج؟".

"هل تفتقدينني يا @جونيبير.سونج؟".

حاولت أن أنصت لنصيحة جيف. أغلقت الإشعارات التي تأتيني من ذلك الحساب، ثم، بما أنني لم أستطع التوقف عن تصفح الصور أثناء فترات الراحة من الكتابة، اشتريت صندوقًا لأضع فيه هاتفي المحمول. حاولت أن أبحث عن ملاذ في عملي، لكنني لم أستطع أن أركز على الكلمات كما كنت أفعل سابقًا. أصبح شعور

الذنب يصبغ كل ذكرياتي السعيدة مع أثينا؛ لذلك كل ما استطعت أن أركز عليه هو الذكريات السيئة؛ مثل فضفضتي المحرجة التي نشرت عنها، والتجاهل الاجتماعي الذي تعرضت له، والغيرة التي ظلت تحرقني بسبب نجاحها. كما كانت هناك ذكرى أثينا وهي تضحك بغفلة أثناء سؤالها عن مسيرتي المهنية المتعثرة، وأخيرًا ذكرى أثينا وهي تموت على أرضية مطبخها فيما ظللت واقفة إلى جانبها، ولم أفعل شيئًا لمساعدتها.

كنت أحلم بأثينا كل ليلة. كنت أراها في لحظاتها الأخيرة؛ أرى عينيها اللتين اتسعتا وملأهما الذعر، وأظافرها التي كانت تمزق جلدها، وقدميها اللتين راحتا تدقان على الأرض. كنت أراها عاجزة بلا حيلة ولا صوت حرفيًا، تحرك فحسب فمها عبثًا لجعلي أفهم، لكن دون أن تخرج منها الكلمات، فقط سلسلة من القرقرة المخيفة والمتوترة، حتى انقلبت عيناها وظهر بياضهما، وتراجعت تشنجاتها إلى رعشة خفيفة.

كانت تلك هي الأحلام الهادئة. أما الأحلام الأسوأ فكانت أحلام عن عودة أثينا إلى الحياة. كانت تعود للحياة في أحلامي بطريقة سحرية، لكن، في أحلام العودة، لم تكن تبدو بهيئتها الأصلية، كانت عيناها تشعان بوهج قرمزي. وكان غضب الموتى وبهجة الانتقام مني يشوهان ملامح وجهها الجميل. كانت تقفز بتلك الهيئة وذراعاها ممدودتان، مستعدة للانقضاض على رقبتي لترد لي ما فعلته.

كان الخيال يجمح بي وسط اليوم أحيانًا، وأقنع نفسي بالعديد من الاحتمالات التي قد تكون أبقت أثينا على قيد الحياة. كان التابوت مغلقًا أثناء الجنازة، أليس كذلك؟ ربما كانت قد تظاهرت بالاختناق، وربما كانت قد استأجرت أولئك المسعفين. قد يكون هذا كله خدعة أدبية كبيرة، وحملة دعاية مجنونة لمشروعها القادم. ربما ستخرج من مخبئها في أي لحظة، وهي تقول: بووو! خدعتك يا جوني!

لكن للأحياء أجساد ثقيلة يحيون بداخلها، إذ يتركون خلفهم الظلال وآثار الأقدام. ليت أثينا كانت على قيد وتتبعني؛ لأن ذلك يعني أنها ستترك آثارًا؛ ظهورًا علنيًا، وتناقضات في السرد، وبقايا من الأدلة، إذ لا يستطيع الأحياء الظهور والاختفاء بإرادتهم، كما لا يمكنهم ملاحقتك في كل منعطف، وقد تسلل شبح أثينا

إلى كل لحظة من يقظتي. وحدهم الموتى يمكنهم أن يكونوا حاضرين بشكل مستمر هكذا.

وجدت نفسي أكتب "أشباح صينية" في جوجل سكولار وأبحث خلف جميع الأدبيات التي تظهر. لدى الصينيين العديد من الكلمات المختلفة للأشباح، مثل:"جوي"، "لينج"، "ياو"، "هونبو". إنهم مهووسون بالموتى الذين لا يجدون الراحة. عرفت أن أكثر الكلمات شيوعًا للأشباح، "جوي"، هي كلمة متجانسة لفظيًا مع كلمة "جوي" أخرى وتعني العودة. عرفت أن الأشباح الأنثوية موضوع شائع في الأدب الصيني القديم، وصورة نمطية تُستخدم لاستكشاف ندم النساء العازبات غير المتزوجات اللاتي متن بطريقة عنيفة وغير طبيعية. وتعرفت أيضًا على صورة نمطية تدعى الشبح العاشق، وأن كل ما تحتاج إليه الأنثى الشبح لإشباع رغبتها المسكونة هو علاقة حب جيدة. عرفت أيضًا شيئًا يُسمى جيانجشي الذي، حسبما فهمت، يشبه الزومبي، فهو جثة تعاد إليها الحياة بواسطة تعويذة مكتوبة على ورقة. ربما أعاد شخص ما إحياء أثينا، وربما كتبت التعويذة بنفسي عندما نشرت كلماتها دون إرادتها.

عندما لم أجد بين المصادر غير الخيالية نصائح مفيدة لطرد تلك الأشياء، بدأت في قراءة قصص الأشباح الصينية.

من سلالة سونج الجنوبية، قرأت عن لص قبور اقتحم قبر فتاة توفيت مؤخرًا من الحزن، وافتُتن بجمالها، ما جعله يسرق جثتها، وبسبب ضخ طاقته الذكورية في جسدها فإن الحياة تعود إلى جسدها، ولكن لأن أحدًا لم يعلم أنها حية، فإن لص القبور يسجنها ويستعبدها لرغباته الجسدية دون أن يشك أحد في الأمر. في النهاية، تهرب الفتاة إلى منزل خطيبها السابق، ولكن الخطيب خاف منها. وإذ كان مقتنعًا بأنها شبح، قذفها بآنية على رأسها فقتلها.

من حقبة السلالات الست، قرأت قصة موت زوجة بعد عشر سنوات من الزواج دون أن تنجب أبناء. ظل زوجها يبكي جثتها وغرق في حالة من الحزن. أعاد حزنه جثتها إلى الحياة، فطلبت منه أن يمارس معها العلاقة الحميمة في الظلام حتى أصبحت حاملًا. لم تعد الجثة إلى الحياة بالكامل، بل ظلوا يحتفظون بجسدها في غرفة جانبية، حيث ترقد بلا حراك، في انتظار العلاقة الزوجية. وبعد عشرة أشهر، أنجبت ولدًا، ثم عادت فورًا إلى كونها جثة هامدة مرة أخرى.

وأيضًا من فترة السلالات الست قرأت عن وفاة زوجة رجل، فتزوج ابنة عمها. وذات يوم، جاءت زوجته الأولى، التي عادت للحياة وكانت باردة كالثلج، لترقد بجانبه. فطلب منها أن تتركه. لاحقًا، انتقدت ابنة عمها لزواجها من أرملها، وبعد فترة قصيرة، مات الرجل وابنة عمها.

كانت التركيبات الثقافية واضحة، إذ تمثلت صور أغلب الأشباح الصينية في نساء محرومات، وغاضبات، وبلا صوت. لعلي أضفت واحدة إلى صفوفهن بسرقة إرث أثينا الأدبي.

لكن الطرق العادية لطرد الأشباح، والتي تنجح في جميع القصص، بدت غير كافية. كنت أشك في أن أثينا ستكتفي بقرابين من الطعام، أو البخور، أو الورق المحترق. ولكن هذا لم يعن أنني لن أجرب. كنت أعرف في قرارة نفسي مدى غباء هذا، لكنني كنت يائسة على نحو جعلني أتمنى أن تهدئ الطقوس نفسي على الأقل. طلبت عيدان البخور من أمازون ودجاج كونج باو من مطعم ممتاز ووضعتهما أمام صورة مؤطرة لأثينا، لكن الأمر انتهى بإكساب شقتي رائحة كريهة. قمت بطباعة قصاصات ورقية لكل الأشياء التي تصورت أن أثينا قد تريدها في العالم الآخر - أكوام من المال، وشقة فاخرة، وكتالوج آيكيا بالكامل - وأشعلتها بعود ثقاب، لكن ذلك فقط أدى إلى تفعيل إنذار الحريق، ما أغضب جيراني وكبّدني غرامة ضخمة.

لم أشعر بتحسن، بل شعرت كأنني مجرد شخص غافل قد يستخدمون قصته للاستهزاء بذوي البشرة البيضاء.

تمثل أكثر شيء جنوني في أنني لم أستطع التوقف عن التأليف. كنت أحاول توجيه هذا البؤس إلى شيء جميل. كانت روايتي المثيرة، التي تستند إلى الواقع، لتتحول إلى رواية رعب، وما أصابني من رهاب ليصبح رعبًا لقرائي. كنت لأحول حالة الذعر الهذياني التي أعيشها وأحوّله إلى تربة خصبة للإبداع - ألا تنبثق أفضل الروايات من ضرب من الجنون النابع بدوره من الحقيقة؟

ربما، لو استطعت أن أجمع مخاوفي وأقيّدها بأمان على الصفحات، لسلب هذه القوة منها. ألا تخبرنا جميع الأساطير القديمة بأننا نكتسب السيطرة على شيء ما بمجرد أن نسميه؟ في أحد الأيام، طلبت مني الدكتورة جايلي أن أكتب يدويًا وصفًا مفصّلًا لتجربتي مع أندرو، ثم أحرقها. شعرت بارتياح عندما ترجمت تلك المشاعر الغامضة والمقززة إلى كلمات ملموسة، كما شعرت بارتياح عندما رأيتها

تتناثر إلى رماد، ثم تتلاشى إلى الأبد. ربما لن أستطيع أن أجعل أثينا تختفي، لكن ربما يمكنني أن أحبسها بأمان داخل صفحات رواية.

لكنني بدأت أفقد خيط الأحداث، فقد ظلت أفكاري تتسارع بما يتجاوز ما يمكن أن تحتويه الصفحات، فتحوّلت هذه القصة من سرد أدبي عميق عن النضوج إلى حكاية أشباح مشوشة ومضطربة. تداعت خطتي التي بنيتها بعناية أمام القصة التي تريد أثينا رؤيتها، فاضطررت إلى أن أتخلى عن الحبكة الأصلية. كتبت بسرعة كل ما خطر ببالي، وهو ما كان يتخبط بين الحقيقة كما أراها والحقيقة كما هي في الواقع.

فجأة اكتشفت أنني في مأزق. كان ثلثا الرواية في غاية السهولة عند كتابتهما، لكن ماذا أفعل بالنهاية؟ أين أخبئ بطلتي بعدما ظهر شبح جائع في المشهد دون أي حل واضح؟

كنت أجلس وأنا أحدق إلى شاشتي لساعات، وأجرب نهايات مختلفة على أمل أن أجد أي نهاية ترضي أثينا، لكن شبحها كان يلتهمني بالكامل. ظل شبح أثينا يمزقني جزءًا بعد جزء ويغتسل في دمي، وقد نوى أن ينغمس جسدي ويتحكم في حياتي لسنواتي المتبقية كتعويض لها عما فعلته بإرثها. بدأ الشبح يدفعني إلى الانتحار، إلى اللحاق بها في العالم الآخر: روحان بائستان لم تنالا العدالة.

لكن لا شيء من هذه النهايات قد حقق التطهير اللازم، فقد ظلت أثينا غير راضية.

ألقيت بنفسي على فراشي غاضبة ومددت يدي، كما هي الحال دائمًا، إلى هاتفي.

وكما كانت الحال دائمًا، وجدت تحديثًا على حساب أثينا.

كانت صورة لها بينما تقف أمام مرآة وقد ألصقت على جبهتها ورقة بيضاء طويلة كُتب عليها: رواية الجبهة الأخيرة، تأليف جونيبير هايوارد.

كان المنشور متعدد الصور. سحبت لليمين لأشاهد بقية الصور.

أثينا مستلقية على الأرض ويداها على رقبتها. سحبت.

أثينا عيناها مفتوحتان وكتابي على صدرها. سحبت *ثانية*.

أثينا واقفة وقد أعيد إحياؤها. سحبت.

أثينا، والأوردة بارزة في رقبتها وذراعيها، والماسكارا تتسرب من عينيها، تعوي أمام الكاميرا، مبتسمة بمخالبها البارزة كما لو أنها تريد تمزيقي من قمة رأسي إلى أخمص قدمي. سحبت.

أثينا على هيئة ظلّ شرس يندفع كالبرق نحو عدسة الكاميرا.

أطفأت هاتفي وقذفته بعيدًا في الغرفة!

كنت أبالغ في إظهار ارتباكي، ذلك أن شروط طرد ذلك الشبح لم تكن لغزًا معقدًا. كنت أدرك تمامًا ما يريده شبحها، وأي نهاية يمكن أن تنهي كل هذا. إنها حقيقة بسيطة، رغم أنني أكره الاعتراف بها: أثينا هي مَن كتبت الجبهة الأخيرة، وكنت، في أفضل الأحوال، مجرد شريك في التأليف. ورغم أنني كنت أستحق بعض التقدير على هذه الرواية، فهي تستحقه أيضًا.

لكنني كنت أكثر تورطًا في الأمر من أن أعترف، فهذا هو الخط الوحيد الذي لم يكن بإمكاني اجتيازه، فإذا اعترفت الآن، لن أخسر فقط كل ما كسبته، بل سأفقد أي فرصة لي في المستقبل. لن أعود إلى الصفر فحسب، بل سأحكم على نفسي بجحيم أدبي واجتماعي.

هل أستحق حقًّا ذلك؟ هل يستحق أحد ذلك؟

لقد مضى على وفاة أثينا أكثر من عامين، وقد تركت بالفعل إرثًا منشورًا مثيرًا للإعجاب. وبالفعل كان عالَم الأدب ليتذكرها إلى الأبد، ولم يكن لديها ما تكسبه بعد الآن.

أما أنا فبحاجة للنجاة من ذلك، بطريقة ما، وكان إعلان الحقيقة ليدمرني.

لذا كان يجب عليَّ ببساطة أن أواصل العيش مع هذه الروح، وأن أعتاد وجهها الذي يظل عالقًا في عيني. يجب أن نجد نوعًا آخر من التوازن في التعايش لا ينطوي على أن أعطيها الشيء الوحيد الذي تريده.

بعد ظهر أحد الأيام، جلست أكتب في مقهى ساكسبي، ثم فجأة لمع شيء أخضر زمردي أمام عيني. رفعت نظري من خلال النافذة ورأيتها، كان شعرها يرفرف حول وجهها فيما تحدق إليَّ مباشرة. لقد جاءت ترتدي الوشاح والحذاء ذا الكعب

العالي نفسيهما. ألم يكن هذا دليلًا على أنها شبح؟ الأحياء يغيرون ملابسهم، أليس كذلك؟ أما الموتى فيبقون كما هم.

التقت أعيننا، فدارت بسرعة لتفر.

قفزت من مكاني وركضت خارج المقهى. ركضت بلا وجهة. كل ما أردته هو أن أمسك بذلك الشبح، أن أهز كتفيها وأطالبها بإجابات. *من أنتِ؟ ماذا تريدين مني؟*

لكن بحلول الوقت الذي التففت فيه حول الزبائن المستائين وخرجت من الباب، كانت قد ابتعدت بالفعل عني بحي واحد على الأقل. كانت أصوات كعبيها تطرق بسرعة فوق الرصيف، ووشاحها يتطاير في الرياح. لا، لم تكن شبحًا، بل إنسان من لحم ودم، بجسد مادي مثلي تمامًا. جريت بأقصى سرعتي. كنت لألحق بها بعد خطوتين فحسب. امتدت يداي تبحثان عن كتفيها، لتصطدما بجسد صلب - لقد أمسكت بها حقًا -

لكنها التفتت قائلة: "*ما الأمر؟*".

لم تكن أثينا.

وقفت أتأمل عينيها اللامعتين والقويتين، وحاجبيها الرقيقين، وأحمر الشفاه اللامع على شفتيها الرفيعتين والغاضبتين. شعرت بمعدتي تنقبض.

كانت ديانا كيو.

صاحت: "جوني؟". تراجعت للخلف كما لو كنت سأعضها، ثم رفعت يدها نحو حقيبتها، وسحبت عبوة من رذاذ الفلفل قائلة: "يا إلهي - ابتعدي عني".

تنفست بصعوبة: "أمسكت بكِ. لقد أمسكت بك".

قالت ديانا: "لا أعرف ماذا تريدين، لكن ابتعدي عني".

"لا تحاولي خداعي". شعرت بقلبي ينبض بقوة وكأنه على وشك الخروج من مكانه. شعرت بحرارة وانقباض في وجهي، وتملك الدوار من رأسي. شعرت بأن الواقع ينفلت مني وأنني أغيب عنه، وكنت فقط أتمسك بحافة خيط رفيع. كل ما كنت أعرفه - وكل ما تمسكت به وتمنيت أن يكون هو الحقيقة - هو الكشف عن أن ديانا هي مَن فعلت ذلك بي. لقد كانت ديانا طوال الوقت. قلت: "أعرف ما تفعلينه. أعرف أنه أنت".

"يا إلهي! عمَّ تتحدثين؟". ارتجفت ذراع ديانا، لكنها لم ترش الرذاذ عليَّ.

"*هذا حذاؤها*، وترتدين شالها كذلك". كدت أختنق من شدة الغضب. هل كانت ديانا هي مَن رأيتها في تلك الليلة الأولى في بوليتيكس آند بروز؟ هل كانت ديانا أيضًا مَن رأيتها في كوكوز؟ هل كانت تعبث معي طوال الأشهر الماضية؟ تذكرت ذلك الهجوم الذي شنته في الندوة في فرجينيا، وجميع المقابلات ومقالات المدونات التي نشرتها عني منذ ذلك الحين. كانت المرأة مهووسة بي. هل كان كل هذا مشروعًا فنيًّا منحرفًا بالنسبة لها؟ هل كانت تريد إرهاب جونيبير سونج بالأشباح؟

خفضت ديانا العبوة وهي تقول: "لحظة! هل تعتقدين أنني أحاول أن أقلد أثينا ليو في أسلوب ارتداء الملابس؟".

أكدت: "لا يمكنك التظاهر، أنت ترتدين مثلها، كما أنك تلاحقينني..."

قالت ديانا: "هذا حذائي، وهذه ملابسي، وأمشي بجوار ساكسبي لأنني أعيش هنا! يا إلهي، أنت مجنونة".

"لست مجنونة".

قالت ديانا بغضب: "ليست جميع النساء الآسيويات متشابهات. هل من الصعب فهم ذلك أيتها العاهرة المجنونة؟".

كدت أصفعها حينها، إلا أنني حاولت السيطرة على صوتي وأنا أقول: "قلت لك إني لست مجنونة".

لكن حين دققت النظر، انهارت كل التشابهات التي كانت برأسي. لم يكن ذلك حذاء أثينا، فحذاء أثينا المفضل كان بني اللون، بشراشيب، أما حذاء ديانا فكان أسود ذا إبزيم وكعب رفيع. كما كان شعر ديانا مستقيمًا، وليس مجعدًا. أيضًا كانت ترتدي قرطًا مستديرًا، لا قرطًا من الزمرد. وأخيرًا كان أحمر شفاهها أكثر لمعانًا بكثير من أي لون كانت أثينا لتضعه.

لم تكن ديانا تشبه أثينا، بل لم تكن تشبهها على الإطلاق! كيف رأيت أثينا من نافذة ذلك المقهى؟

"لست مجنونة". لكنني لم أتمكن من التفكير في دليل آخر يثبت صحة كلامي، ولم أستطع أن أثق في عينيَّ، ولا حتى في ذاكرتي. عندها، خارت كل قواي، وهبط صدري، وانساب الهواء خارجًا. خرج صوتي متهدجًا: "لست كذلك".

راقبتني ديانا لفترة طويلة مُبدية مزيجًا من الفضول، والشفقة، والاشمئزاز، ثم وضعت رذاذ الفلفل في حقيبتها.

تمتمت: "يا إلهي!" ثم أسرعت مبتعدة عني، وهي تلقي نظرة خاطفة مع كل خطوة كما لو كانت تتأكد من أنني لا أتبعها وهي تردد: "تحتاجين إل المساعدة".

جمعت أغراضي من ساكسبي واتجهت إلى المنزل. ظن سائق أوبر أنني ثملة، فقد كنت أتنفس بصعوبة وأترنح، ما جعلني أتشبث بمساند المقعد كما لو أنها الشيء الوحيد الذي سيمنعني من السقوط. أعاد عقلي تمثيل اللقاء مع ديانا بدءًا من غرسي أصابعي في كتفيها، مرورًا برذاذ الفلفل الذي أخرجته، وصولًا للاشمئزاز والخوف في عينيها.

لقد ظننت أنني سأهاجمها بالفعل!

لا أصدق أنني فعلت ذلك. لا يوجد مبرر لما فعلته، ولا تفسير. لقد هاجمت شخصًا في الشارع في وضح النهار.

ركضت إلى حمامي وتقيأت عصارة معدتي فوق البالوعة، وكتفاي ترتعشان، حتى استقر تنفسي. تدفق خيط رفيع من اللعاب إلى الخزف، فنظرت إلى المرآة، وأثار ما رأيته من انعكاسي رغبتي في البكاء.

كانت وجنتاي غائرتين، وشعري متسخًا، وعيناي محمرّتين تغلفهما هالات سوداء منتفخة. لم أكن قد نمت أو تحدثت مع أي شخص عدا بواب العمارة. كنت أعيش حياة المطاردين في كل لحظة، وأحاول أن أشتت نفسي بمخطوطتي حتى لا تعذبني أفكاري، ولكن بعد ما حدث مع ديانا لم أعد قادرة حتى على تشتيت نفسي. لقد سئمت من كل شيء؛ الهلاوس، وجنون الارتياب، والكوابيس. تعبت من رؤية أثينا في كل زاوية ومن سماع صوتها وضحكاتها. لم أطلب هذا، ولم أسع لأكون شاهدًا على موتها منذ البداية. لم أرغب حتى في الوجود هناك تلك الليلة، لكنها أصرت، ووجدت نفسي حيث لم أشأ، ويبدو أن الأمر حطم أعماقي أكثر مما كنت أدرك.

كنت متعبة.

كنت في غاية الإرهاق.

كنت أريدها أن تذهب بعيدًا، وأريد أن أصبح بخير.

اتصلت بروري. كنت أعلم مسبقًا أنها لن تفهم أي شيء، لكنني قررت أن أشرح لها كل شيء من البداية. كنت أعلم أن معرفة التفاصيل لن تهمها، لكن كان المهم أن تستمع إليَّ، أن تسمعني، أن تشعر كم أنا أتألم. كنت بحاجة لأن يعرف شخص ما أنني لست على ما يرام.

استمر الهاتف في الرنين مرارًا وتكرارًا. اتصلت مرة ثانية، ثم مرة ثالثة، لكن روري لم ترد.

بحثت عن اسم الدكتورة جايلي في هاتفي. لم أكن قد زرتها منذ سنوات، منذ تخرجي، لكنني كنت محتفظة برقمها. ردت بعد أن رن الجرس مرتين: "مرحبًا؟".

خرجت الكلمات من فمي مغلَّفة باليأس: "الدكتورة جايلي؟ لا أعرف ما إذا كنتِ تتذكرينني - أنا جوني هايوارد، كنت إحدى مرضاكِ قبل بضع سنوات، كنت في جامعة ييل - كنت تعرفينني - أنا التي، إمم ..."

"جوني، بالطبع أذكرك. مرحبًا، كيف يمكنني مساعدتك". كان صوتها لطيفًا، وإن بدا عليه الاستغراب.

"أعلم أن وقتًا طويلًا قد مر ..." توقفت لألتقط نفسًا عميقًا حتى لا تسيطر عليَّ شهقاتي. أكملت: "لكنكِ قلت لي أن أتصل بك إذا احتجت إلى علاج نفسي مجددًا، وممم - أعتقد أنني لست على ما يرام حقًا - لقد حدث الكثير من الأمور مؤخرًا، ولا أتفاعل مع ذلك بشكل جيد، وأعتقد أن ذلك يعيد إليَّ الكثير من، إمم، الصدمات الماضية..."

"هدئي من روعك يا جوني. سنقوم بحل كل شيء، لكن خطوة خطوة". وهنا توقفت الدكتورة جايلي لحظة، ثم سألت: "هل تريدين تحديد موعد معي؟ هل هذا ما تطلبينه؟".

"أوه - ممم، آسفة، أعلم أنك مشغولة على الأرجح، لكن إذا كان لديك أي وقت متاح الآن... "

"دعيني أتحقق من إمكانية ذلك". سكتت، وسمعت صوت درج يُفتح. أعتقد أنها جلست للتو على مكتبها. "لكن يجب أن أعرف إذا كنت ما زلت تعيشين في كونيكتيكت".

مسحت أنفي، ثم أجبت: "أنا في روسلين، بفيرجينيا. لكن لديَّ تأمينًا. حسنًا، أعتقد أنك خارج شبكة التأمين، لكن يمكنني الدفع من مالي الخاص..."

"لا يتعلق الأمر بذلك يا جوني. لن أستطيع أن أعالجك عن بعد إذا لم تكوني في كونيكتيكت، فليس لديَّ ترخيص لمزاولة مهنتي في فيرجينيا".

"أوه". مسحت أنفي ثانية فتلطخت يدي. كان عقلي غير قادر على استيعاب أي شيء في ذلك الوقت، فقلت: "فهمت".

"لكن يمكنني أن أعطيك بيانات بعض الزملاء المعالجين". سمعت صوت أوراق تتنقل، ثم أكملت: "قلت إنك في روسلين، أليس كذلك؟".

لن أستطيع القيام بذلك. قلت: "في الواقع يا دكتورة جايلي، لا بأس - يمكنني البحث عن معالجين في الولاية بنفسي. آسفة لإضاعة وقتك..."

قالت بصوت جاد: "انتظري لحظة يا جوني، هل تراودك أي أفكار بإيذاء نفسك أو إيذاء أي شخص آخر؟ يمكنني في هذه الحالة أن أوصلك بخط ساخن للمساعدة".

أجبتها بسرعة: "لا—لا، أنا بخير". انتابتني حالة من الإحراج، فلم أقصد أن تبدو حالتي بهذا القدر من الخطورة، ولم أكن أرغب في أن أكون عبئًا. أكملت بصوت خافت: "لا أفكر بالانتحار. أنا بخير، لكني أمر بيوم عصيب للغاية. كل ما أردته هو التحدث إلى شخص ما".

رقت نبرة صوتها قليلًا وقالت: "أتفهم ذلك يا جوني، لكن لا يمكنني تقديم الرعاية لك من ولاية أخرى، لكننا سنحرص على أن تحصلي على المساعدة التي تحتاجين إليها، اتفقنا؟ هل يمكنك التحلي ببعض الصبر من أجلي؟".

قلت بصوت متحشرج: "حسنًا - نعم. هذا يبدو جيدًا".

قالت: "إذًا سأرسل إليك بيانات بعض المعالجين صباح الغد، هل ما زلت تستخدمين البريد الإلكتروني نفسه المسجل في الملف؟".

ترددت قليلًا، ثم أجبت: "نعم، لا يزال البريد نفسه".

أضافت: "إذًا، ستجدين عليه بعض جهات الاتصال في الصباح. اعتني بنفسك يا جوني".

أنهيت المكالمة. جلست متربعة على سريري، وغطيت وجهي بكفي وقد شعرت بأن حالتي أسوأ مما كانت عليه قبل المكالمة. انتابتني رغبة في الاختفاء. لماذا فعلت هذا بحق الجحيم؟ لقد تجاوزت الساعة التاسعة مساءً في يوم عمل، بعد

انتهاء الدوام بفترة طويلة. لا بد أن الدكتورة جايلي الآن تشكو لزوجها – عذرًا يا عزيزي، لقد تلقيت مكالمة من مريضة سابقة لديَّ، لقد اتصلت وتصرفت بجنون...

أضاء هاتفي، فاندفعت نحوه بلهفة، يائسة... لكنها لم تكن روري.

كانت إشعارًا من إنستجرام.

كان بالتحديد من الشبح!

هذه المرة، كانت الصورة لأثينا جالسة في مقهى ساكسبي وهي تخرج لسانها بشكل مشاغب من خلف ماصة مشروبها. كانت ترتدي الزي نفسه تمامًا الذي رأيتها فيه في يوم مناقشة الكتاب في كوكو كوفي، وهو الزي ذاته الذي اعتقدت أنني رأيته في ساكسبي ظهر هذا اليوم. كانت شفتاها مطليتين باللون القرمزي، وعيناها تتلألآن.

كتبت في وصف الصورة: رأيت صديقة قديمة اليوم، وأتساءل ما إذا كانت تتذكرني.

أردت أن أصرخ.

لم أكن لأتحمل أكثر من ذلك. كان يجب أن أعرف الحقيقة، إذ لا يمكنني المضي في حياتي بتلك الطريقة، فسوف يظل هذا القلق ينهشني طوال حياتي حتى أعرف حقيقته، سواء أكان ذلك أفضل أو أسوأ، أيًا كانت، أو أيًا ما كانت. كنت بحاجة إلى التحرر من ذلك. إذا لم أتمكن من الحصول على مساعدة، فعلى الأقل أحتاج إلى إجابات. أحتاج إلى حدوث شيء، وإلا فسوف أنفجر.

فتحت هاتفي، وذهبت إلى حساب أثينا، وكتبت: حسنًا. لقد جذبتِ انتباهي. ماذا تريدين؟؟؟

كان الشبح متصلًا، وقد ردت فورًا.

قابليني في ممر طارد الأرواح.

مساء الغد.

الساعة الحادية عشرة.

الفصل الثالث والعشرون

كانت أثينا على قيد الحياة.

لم أستطع التفكير في أي تفسير آخر. كان ممر طارد الأرواح دعابة بيننا. كان ذلك الدرج شديد الانحدار والمظلم الذي يقع على مسافة قصيرة من حرم جورج تاون وهو الموضع الذي يموت فيه الأب كاراس في فيلم طارد الأرواح الشريرة، معروفًا بأنه مسكون، ودائمًا ما كنت أجده زلقًا بالمطر والثلج، فاندهشت لأنه لم يتسبب في مقتل المزيد من العدائين. ذهبت وأثينا إلى هناك بعد قراءة شعرية في أول شتاء بعد انتقالي إلى واشنطن العاصمة. تحدتني للركض صعودًا على الدرج المتجمد دون توقف. لكنني تحديتها أيضًا في سباق. أصيبت ركبتي بعد عشر خطوات، واندفعت هي أمامي دون أن تلقي نظرة وراءها. وبالطبع قد فازت.

مهما كان الشيء الغريب الذي يحدث هنا - أو التفسير الخارق للطبيعة أو الملتوي الذي يقف وراء ذلك الحساب على إنستجرام - فلم يكن مجرد شخص غبي يدبر مقلبًا. لا يمكن أن يكون إلا أثينا، فكانت أثينا هي مَن تعرف ماذا يعني هذا بالنسبة لي. كانت الاستعارة رمزية جدًا - تعرقلي وسقوطي، واندفاعها بسعادة نحو القمة.

كنت أعلم أنه فخ. كنت أعلم أنه بذهابي إلى هناك، أضع روحي بين يدي الشبح، وقد ألقي بنفسي في خطر جسيم. لكن لم يكن أمامي أي خيار. كانت هذه

فرصتي الوحيدة للحصول على إجابات، وقد كنت يائسة متعطشة لمعرفة جزء بسيط من الحقيقة.

سرت نحو الفخ بأقصى ما استطعت من ذكاء. تأكدت من أن هاتفي المحمول مشحون بالكامل، كما اشتريت حزام أدوات وعبأته بمصباح يدوي ببطاريات جديدة، وعلبة رذاذ الفلفل، وسكين سويسري، فلحسن الحظ أن ديانا ذكّرتني، بل إنني اشتريت سلسلة من الألعاب النارية الصينية من متجر غريب في الحي الصيني، إذ قرأت على الإنترنت أن صوت الفرقعة يمكن أن يطرد الأشباح! أعلم أنه أمر غبي، لكنني كنت بحاجة لأن أشعر بأنني مستعدة. إذا حاول شبح أثينا قتلي على هذه الدرجات، فربما لا يوجد ما يمكنني فعله لمنع مصيري، لكنني لم أكن لأذهب دون قتال.

فكرت في إرسال رسالة نصية إلى روري، أو حتى بريت، بموقع المكان الذي سأذهب إليه. لكن إذا سار هذا الأمر كما خططت، لكان من الأفضل ألا أترك أي دليل خلفي على الإطلاق.

استقللت سيارة أوبر من روسلين ونزلت عند بوابات جورج تاون الأمامية. كان أمامي خمس دقائق سيرًا على الأقدام حتى الدرج، لكنني لم أكن لأسمح لسائق الأجرة بسؤالي عن سبب وجودي في ممر طارد الأرواح في هذه الساعة. فقد انتهت شهور الدراسة بالفعل لهذا الفصل، وكنت الوحيدة التي تتجول في الحرم الجامعي الليلة. أسرعت على الرصيف الهادئ في الشارع رقم سبعة وثلاثين وذراعاي متشابكتان في مواجهة الرياح. كانت ليلة مظلمة وسماؤها غير مقمرة، والبرد قارسًا، أما نهر بوتوماك فكان يتدفق بين ضفتيه مشبعًا بمطر هذا الصباح. كان الجو كله مناسبًا لتصوير فيلم عن الأشباح. فلو كنت أيضًا شبحًا يبحث عن الانتقام، لاخترت المكان ذاته لاستدراج شخص والخروج لقتله. كل ما كان هذا المشهد بحاجة إليه هو بعض البرق لتعزيز التوتر، وربما يتحقق ذلك أيضًا، فقد كانت السحب العاصفة تتجمع طوال فترة بعد الظهر.

لم أكن خائفة. ففي تلك اللحظة، لم يكن هناك شي يمكن أن يخيفني. في تلك اللحظة، كنت أتمنى أن تقفز أثينا لتهاجمني، فقط لكي أتأكد أنها حقيقية، وأنني لست مجنونة.

كانت الدرجات فارغة، وحتى على مرمى بصري لم أرَ أثرًا لأي شخص في عدة شوارع، وعندما أسرعت إلى أسفل السلالم، لم أجد سوى محطة البنزين المهجورة. مرت خمس دقائق بعد الساعة الحادية عشرة، فعدت لأصعد السلالم مرة أخرى وأنا ألهث من التعب.

شعرت بأنني حمقاء. ربما كان جيف على حق، فربما كانت هذه مجرد خدعة وكان الهدف إخافتي فحسب.

كنت على وشك المغادرة عندما سمعتها تتكلم.

"*من الرائع* أن أراك مجددًا!".

كانت أثينا. لا شك أن هذا هو صوت أثينا بنبرته المستهترة، المتكلفة، والتي بدت ساخرة على نحو جعلها حقيقية، وهي التي سمعتها تستخدمها عشرات المرات في المقابلات الإذاعية والبودكاست. قالت: "لم أرك منذ وقت *طويل*".

"أثينا؟". بدا كأن صوتها يأتي من أعلى. ركضت لأصعد بقية السلالم وخرجت وأنا ألهث مرة أخرى إلى شارع بروسبكت، لكنني وجدت الشوارع خالية كما هي.

"أنا سعيدة جدًا؛ لأنك من المعجبين بأعمالي".

ما هذا!!!؟ عما تتحدث؟

صرخت: "أثينا؟ أين أنت؟".

أتى صوتها من مكان أبعد هذه المرة. حاولت جاهدة أن أبحث بسمعي عن مصدر الصوت. "إذًا، كيف حالك؟". بدا الصوت كأنه آتٍ من أسفل السلالم. كيف يمكنها أن تكون قد نزلت هناك بسرعة؟

ما لم تكن ميتة، ما لم تكن روحًا تطير في الهواء حقًا.

"أثينا؟".

سمعت صوت خطوات تتسارع على السلالم. هل كانت تهرب مني؟ أردت أن ألاحقها، لكنني لم أعرف أين اتجهت، إذ كانت خطواتها تتردد من اتجاه وصوتها يأتي من اتجاه آخر. التفتت بسرعة، أمسح الظلام بعيني بحثًا عن وجه، أو حركة، أو دليل، أو *أي شيء*.

سألت أثينا فجأة: "ماذا برأيك هو أكبر مصدر إلهام لك؟".

إلهام؟ ما اللعبة التي تمارسها؟

لكنني كنت أعرف الإجابة الصحيحة. كنت أعرف ما سيجعلها تظهر.

صرخت: "أنت! أنت، كما تعلمين. من الواضح أنك أكبر ملهمة لي".

انفجرت أثينا في نوبة ضحك، ثم سألت: "إذًا، أظن أن سؤالي هو، لماذا؟".

كان هناك شيء غريب في صوتها. لقد لاحظت للتو. لم يكن الصوت الذي تستخدمه مع أصدقائها، بل هو صوت حاد واصطناعي، وكأنها تقدم عرضًا. كنت أعرفه جيدًا، إذ إنه الصوت ذاته الذي نسمعه من المشاهير في برامج المسابقات قبل أن يضطروا لوصف أول تجربة محرجة لهم أو ربما يتحدثون عن تناول وجبة مقززة.

هل هي بخير؟ هل هي محتجزة كرهينة؟ هل هناك شخص يصوب مسدسًا نحو رأسها؟

طرحت سؤالها بالنبرة نفسها وبمستوى السخرية نفسه: "إذًا، أظن أن سؤالي هو، لماذا؟".

صرخت: "لا يوجد سبب لذلك، لقد أخذت صفحاتك، وقرأتها، ووجدتها رائعة. كنت أغار منك دائمًا يا أثينا، فأردت فحسب أن أعرف كيف يبدو شعور النجاح، ولم أفكر في الأمر، *حدث ما حدث فحسب* ..."

"ألم تري أنك بذلك تسرقين عملي؟ ألم تعتقدي أنك ترتكبين جريمة؟". الآن بدا صوتها آتيًا من مكان ما فوقي، لكنه بدا غريبًا هذه المرة، وكأنها تتحدث تحت الماء. لم يبدُ أنه صوتها على الإطلاق.

"بالطبع كانت جريمة، أصبحت أعلم ذلك الآن. كان خطأ ..."

صدرت ضحكة أخرى خافتة، ثم طرحت السؤال نفسه كما من قبل، بالنبرة نفسها: "إذًا، أظن أن سؤالي هو، لماذا؟".

صرخت بإحباط: "لأنه ليس عدلًا". لقد أوضحت وجهة نظرها، ولم يكن يجب عليها أن تستمر في العبث معي بتلك الطريقة. "تعرفين نوع القصص التي يريد الناس سماعها، في حين لم يكن أحد يهتم بقصصي. أردت ما لديك – ما كان لديك – لكن لم أكن أقصد أن أؤذيك. لم أكن لأؤذيك أبدًا، *كنت* فقط أظن ..."

ارتفع صوتها مجددًا، وأصبح أنثويًا ومصطنعًا بشكل مبالغ فيه: "أنا فتاة محظوظة، أليس كذلك؟".

قلت بتعاسة: "ظننتك أكثر شخص مميز قابلته على الإطلاق، كان لديك كل شيء".

عاد صوتها مشوشًا ومشوهًا: "إذًا أنت آسفة؟ هل أنت آسفة، يا جوني؟".

قلت بصوت خافت كاد يضيع وسط العاصفة: "أنا آسفة". بدت كلماتي خافتة أمام صخب الرياح. شعرت بألم يخنق حلقي، فقد كنت أحبس شهقاتي طوال الوقت. لم يعد يهمني التمسك بالمظاهر بعد الآن، بل كل كنت ما أريده هو أن ينتهي هذا الأمر. صرخت بيأس: "تبًا يا أثينا! أنا آسفة جدًا لما حدث، ليتني أتراجع عن كل شيء. سأفعل أي شيء لأصلح ما حدث. سأخبر والدتك، وسأعترف لدار النشر، وسأتبرع بكل شيء، بكل سنت. قولي لي إنك بخير فحسب. أثينا، أرجوكِ، لم أعد أستطيع المضي في هذه اللعبة أكثر من ذلك".

ساد الصمت لفترة طويلة.

أجابت وقد تغير مرة أخرى، إذ فقدت نبرتها الحادة والاصطناعية، وأصبح الصوت بشريًا، ومع ذلك لم يكن يشبه صوتها تمامًا. "هل هذا اعتراف؟".

تنفست بصعوبة: "نعم أعترف، أنا آسفة يا أثينا. أنا آسفة جدًا، من فضلك، تعالي وتحدثي إلي".

"حسنًا". ساد الصمت مجددًا، ثم سمعت خطوات مرة أخرى، وكانت هذه المرة متوافقة مع اتجاه صوتها، وقد وقفت خلفي مباشرة: "شكرًا يا جوني".

التفت.

خرج شخص ما من الظلال.

لم تكن أثينا.

لم تكن هذه الفتاة تشبه أثينا على الإطلاق. كان وجهها أكثر استدارة وأقل جاذبية. لم تكن عيناها ضيقتين بل بدتا كأنهما عينا غزالة، ولم تكن ساقاها طويلتين مثل أثينا. ابتسمت لي وهي تتحرك نحو الضوء. وهنا شعرت في قرارة نفسي بأنني أعرفها، فقد رأيت هاتين العينين من قبل، لكنني ببساطة لم أستطع تذكرها.

عقدت الفتاة ذراعيها، وقالت: "ألم تتذكريني بعد أن دمرتِ حياتي، وطردتني من عالم النشر، وحتى نسيت مَن أكون؟".

حينئذ، بدأت قطع الأحجية تتجمع داخل رأسي على هيئة صورة صغيرة في شاشة تطبيق زووم للاجتماعات، وسلسلة من الرسائل الإلكترونية الغاضبة، وتعثر في مسار نشر كنت قد نسيته منذ زمن.

لقد استُبعدت من المشروع، لن تضطري للتعامل معها بعد الآن.

"كانديس؟".

"مرحبًا جونيبير". كانت تنطق اسمي ببطء وكأن لسانها يرفضه، "لم أرك منذ وقت طويل".

فتحت فمي، لكني لم أستطع النطق بأي شيء. ما الذي تفعله هنا؟ ألم تنتقل إلى بامفك أو أوريجون؟ ومنذ متى كانت كانديس تعرف أثينا؟ أما زالت أثينا على قيد الحياة؟ هل هي جزء من هذه الحيلة، أم كانت كانديس المدبرة الوحيدة لكل ذلك من البداية؟

سخرت كانديس: "أوه، عليك رؤية الرعب الذي أراه في ملامحك؛ كنت أتوق لرؤية ذلك".

"أنا لا – لماذا ... "توقف دماغي عن العمل. لم أستطع استخراج الأسئلة بسبب ارتباكي. سألت أخيرًا: "لماذا؟".

دندنت كانديس: "الأمر بسيط. لقد دمرتِ حياتي، وها أنا أدمر حياتك".

"لكنني لم ..."

"هل لديك فكرة عن مدى صعوبة الحصول على وظيفة في مجال النشر بمجرد أن تضعك دانييلا وودهاوس على قائمة المحظورين؟ لقد فصلوني بسبب تقييم على جود ريدز. يا إلهي، تقييم لعين على جود ريدز، ألا يذكرك هذا بشيء؟".

"أنا لا... لم أفعل..."

انفجرت كانديس غاضبة: "لم أحصل حتى على تعويض مالي. قالوا إن ما فعلته سلوك غير *مهني*. لم أتمكن من دفع الإيجار، ونمت في حوض الاستحمام لفترة طويلة. قدمت طلبات لعشرات الوظائف التي *كنت* في السابق مؤهلة لأكون حتى مديرة مناصبها، ولم يرد أحد عليَّ حتى بالبريد الإلكتروني. قالوا إنني شخصية سامة، وإنني لا أعرف كيف أضع حدودًا بيني وبين المؤلفين. هل هذا ما

أردت؟ هل تباهيت بما فعلته بي؟" كانت تتحدث وكأنها ظلت تخزن هذا في داخلها لسنوات، وكأنها إذا لم تفرغه بالكامل ستنفجر.

قلت بصعوبة: "أنا آسفة، لا أعرف عما تتحدثين..."

كررت كانديس ساخرة: "لا أعرف عمَّ تتحدثين. هل هكذا تتجنبين كل شيء؟ بتحريك رموشك والتظاهر بأنك غبية؟".

"حقًا يا كانديس، أنا لا..."

ارتفعت نبرة كانديس فجأة: "يا إلهي، توقفي عن *الكذب*! لقد اعترفت! أخيرًا اعترفت! سمعتك".

تساءلت جينها إن كانت كانديس مضطربة عقليًا. بدت كأنها خارج السيطرة، بل بدت خطيرة.

تقهقرت خطوتين إلى الوراء. اتجه تفكيري نحو رذاذ الفلفل في حزامي، لكنني خفت أن أمد يدي إليه. كنت أخشى أن تدفع أي حركة مفاجئة كانديس إلى حافة الجنون.

جاء صوتها متحمسًا ومرتفعًا، وكأن الأدرينالين بداخلها وصل إلى أقصى حدوده: "يا إلهي، لقد حلمت *بهذه اللحظة منذ فترة طويلة*. كنت أريد أن أفضحكِ عندما تم فصلي - لكن من كان سيصدقني؟ لم يكن لدي سوى الشكوك. تصرفتِ بغرابة بشأن تدقيق الحساسية. وبدت الطريقة التي تحدثت بها عن الرواية كما لو أن الرواية لم تكن لك، وكأنها شيء يمكنك تقطيعه وتلميعه كما يحلو لك". تأملتني من قمة رأسي إلى أخمص قدمي، وقد بدت كوحش مفترس بفمها المفتوح، بل كحيوان بري على وشك الانقضاض على فريسته. همست بذهول: "يا إلهي!، لقد كنت محقة. لا أصدق أنني كنت *محقة*".

قلتُ بصوت مرتجف: "لا أعلم ما الذي تظنين أنك تعرفينه". حاولت أن أسيطر على أنفاسي، فيما كان عقلي يبحث بيأس عن تبريرات، عن إنكار محتمل لكل ما صرخت به في الظلام. ربما أقول إنني كنت *مشوشة*، أو أنه تم التلاعب بي. أضفت بصوت خافت: "لكن أثينا كانت *صديقتي*..."

قهقهت كانديس بسخرية وقالت: "أوه نعم، ملهمتك العظيمة". ثم أضافت بازدراء: "سمعت *هذه الحكاية* من قبل. أخبريني، إلى متى كنت تنوين الاستمرار في سرقة أعمالها؟ وهل كانت وفاتها حادثًا - حقًا؟".

أكدت قائلة: "لم يكن الأمر كذلك! لقد عملت بجهد على تلك الرواية - إنها لي..."

قالت كانديس وهي تتقدم نحوي: "يا إلهي! اصمتي". كان المشهد مبالغًا في الدراما إلى حدٍّ مثير للسخرية. أضاء مصباح الشارع خلفها مسقطًا ظلّها على الدرج، ثم عليَّ. بدت اللحظة كأنها مشهد من فيلم رعب كلاسيكي، حيث ينكشف عن المخلوق الشرير في الذروة، وحيث يلقي البطل موعظته الأخيرة قبل أن يلقى به، صارخًا، إلى الجحيم. تابعت بصوت يقطر ازدراءً: "كنت أعلم أنكِ لن تعترفي أبدًا. كان ذلك هو التحدي.. أدركت الأمر مبكرًا، وأدركت أنك لم تكوني لتقري بالحقيقة، مهما اشتدت الاتهامات، ومهما تراكمت الأدلة. كنتِ بحاجة إلى التمسك برواية تجعلك الضحية، لا الجانية. أليس كذلك؟ ولهذا، أدركتُ أن الطريقة الوحيدة لإنهاء الأمر هي أن أجعلك تعترفين بنفسك".

رفعت صوتها، وبدأت في التحدث بصوت مرتفع، كما لو كانت تروي شيئًا لشخص آخر. وكأنها كانت تنتظر منذ زمن لتعرض مناجاتها في دائرة الضوء. كان الأمر غريبًا، لكنني كنت في خضم أحداثه بالفعل، أشبه بجمهورها المأسور المرتعب. أكملت: "رأيت أن أعبث معك قليلًا، أن أزعجك على نحو يجعلكِ تبحثين عن دليل ما من بين ارتباكك. كان إنستجرام سهلًا وكنت أعرف مديرة العلاقات العامة لأثينا؛ كان لديها إمكانية الوصول لحسابها. في البداية، كل ما فعلته كان العبث بالفوتوشوب. لم أكن متأكدة أن الأمر سينجح في البداية، إذ كنتِ تتجاهلين إشاراتي. لكن بعد ذلك سمعت أنك هاجمت ديانا كيو في الشارع. قالت إنك كنت تبدين ممسوسة. اتضح أن ذوي البشرة البيضاء أكثر سذاجة مما كنت أعتقد".

فوتوشوب؟ تسجيل دخول مستعار؟ هل كان هذا كل ما استلزمه الأمر؟ قلت: "إذًا، أثينا..."

"ماتت وتحولت إلى رماد". أطلقت كانديس ضحكة قصيرة: "أم أنك ما زلت تأملين أن تري شبحها؟".

"لكن الدرج... كيف عرفت عن الدرج؟". شعرت بأنني غبية وأنا أسألها عن ذلك، لكن لم أتمكن من التفكير في أي شيء آخر لأقوله. كنت بحاجة لأن يتم شرح كل شيء لي، خطوة بخطوة، إذ كانت كانديس على حق: فما زال شيء بداخلي يعتقد

أن أثينا ستخرج من مخبئها في أي لحظة وهي تضحك مستعدة لسماع اعترافي وربما مسامحتي.

أردت أن تظهر أثينا، فهي الوحيدة التي أردت الاعتراف لها. كنت بحاجة إلى تطهير نفسي بالاعتراف، لا إلى كانديس وهي تهزأ بي. لم أرد الاعتراف تحت وطأة خدعة قاسية، ساذجة مثل تلك، بل كانت خدعة لا تزيد على كونها مزحة طفولية سمجة.

قالت كانديس: "كان الركض على هذا الدرج هو التمرين المفضل لأثينا، لم تتوقف عن قول ذلك في تويتر. مهلًا، ألم تعرفي ذلك؟". نظرت إليَّ بغرابة، ثم انفجرت ضاحكة: "أكنت تعتقدين أن هذا المكان كان *سرًا* بينكما؟ هذا رائع، *بل غاية* في الروعة. لعلي برعت في ذلك".

استقامت كانديس، فلاحظت أنها كانت تحمل كاميرا. كانت قد سجلت كل ما حدث.

عبثت بأزرار الكاميرا، ثم أدارتها لتعيد المشهد لي.

"تعرفين أي نوع من القصص يريد الناس سماعها، في حين أنه لا أحد يهتم بقصصي. أردت ما لديك - ما كان لديك - لكن لم أكن أقصد أن أؤذيك. لم أكن لأؤذيك أبدًا".

كان ذلك يدينني بقوة، إذ كانت كلماتي دون شك. كانت الكاميرا قد صورت وجهي أيضًا، من زوايا أخرى لا أعرف عددها. لم يكن هناك سبيل لإنكار ذلك.

ثم قامت بتكبير الصورة، وخرجت كلماتي أسرع، وأعلى، وبنبرة هلع. بدوت غبية جدًا: "لكن الدرج... كيف عرفت عن الدرج؟".

قالت كانديس وهي تضع الكاميرا في حقيبتها: "جعلك هذا تشعرين بالضيق، أليس كذلك؟ أن تشاهدي شخصًا يشوه صورتك ويحكي قصتك كما يحلو له وأنت تعرفين أنك لا تملكين القوة لإيقافه؟ لقد انقطع صوتكِ؟ هذا ما شعرنا به جميعًا ونحن نشاهدك. شعور فظيع، أليس كذلك؟".

قلت بصوت خافت وقد شعرت بقلبي يؤلمني وأطرافي تكاد لا تحملني: "كانديس، أرجوكِ اسمعي... ربما يمكننا التوصل إلى اتفاق..." كنت أعلم أنه لا جدوى من كلماتي حتى وأنا أنطقها، لكن لم أستطع منع نفسي من المحاولة؛ فلم يكن بوسعي الرحيل وأنا أعلم أنني لم أجرب كل الحلول الممكنة.

قهقهت بسخرية وقالت: "كلا. آسفة، لكن لا يمكنك شراء صمتي وشهادة نجاتك بالمال".

"أرجوك يا كانديس، سأخسر كل شيء..."

سحبت كاميرا أخرى من الأغصان فوق رأسها. يا إلهي، كم عدد الكاميرات التي وضعتها؟ قالت: "ماذا ستعرضين عليَّ؟ خمسون ألفًا؟ مائة ألف؟ ما ثمن العدالة يا جونيبير سونج؟". وجهت العدسة مباشرة نحوي وهي تقول ببطء: "كم تستحق أثينا برأيك؟".

غطيت وجهي بيدي، وقلت: "توقفي يا كانديس".

"وكم تستحق السيدة ليو والدة أثينا برأيك؟".

قلت متوسلة: "ألا تستطيعين تفهُّم الدافع ولو حتى قليلًا؟ كانت أثينا تملك كل شيء. لم يكن ذلك عدلًا... "

"أهكذا تبررين الأمر؟".

"لكنها الحقيقة، أليس كذلك؟ لقد حصلت أثينا بالفعل على كل شيء. أنتم، أعني معشر المتنوعين، لقد حصلتم بالفعل على ما تريدونه..."

ضربت كانديس جبهتها، وهي تقول: "أنت حقًا مجنونة، هل يتحدث جميع ذوو البشرة البيضاء هكذا؟".

أكدت: "إنها الحقيقة، وأنا فقط رأيتها..."

سألت كانديس: "هل تعلمين كم الصعوبات التي واجهتها أثينا من هذه الصناعة؟ لقد صنفوها كرمز لهم، الفتاة الآسيوية الغريبة. وكلما حاولت التوسع والكتابة في مشاريع جديدة، بألوان أدبية مختلفة، كانوا يصرون على أن الآسيوي هو *علامتها التجارية*، وأصبح اللون الوحيد الذي *ينتظره* جمهورها. لم يسمحوا لها بالتحدث عن أي *شيء* سوى كونها مهاجرة وأن نصف عائلتها ماتوا في كمبوديا، وأن والدها انتحر في الذكرى العشرين لمجزرة تيان إن من. يحقق الأذى العنصري رواجًا، أليس كذلك؟ لقد عوملت كأنها قطعة في متحف. كانت تلك نقطة تسويقها. كان نجاحها يعزى لكونها مأساة *صينية*. كما استفادت بدورها من ذلك. لقد كانت تعرف القواعد، وقد استغلت الأمر إلى أقصى حد".

أصبح صوت كانديس أكثر قسوة: "ثم بعد أن أصبحت أثينا ناجحة إلى هذا الحد، هل تعلمين ما كان مردود ذلك على بقيتنا؟ على بقية الكتاب الآسيويين؟

هل تعرفين ما يشعر به المرء حين يقدم رواية ويقال له إن هناك بالفعل كاتبة آسيوية ناجحة، وأنهم لا يستطيعون نشر روايتين صادرتين عن إحدى الأقليات في الموسم نفسه؟ أثينا ليو موجودة بالفعل؛ لذا فلا حاجة لكتابك! هذه الصناعة قائمة على إسكاتنا، ودهسنا، والإغداق بالمال على ذوي البشرة البيضاء لإنتاج الصور النمطية العنصرية عنا.

أكملت ساخرة: "لكنك محقة، فبين الحين والآخر، يستيقظ ضمير أحد العاملين في هذه الصناعة ويمنح مبدعًا غير أبيض فرصة، ثم يلتف الجميع حول كتابه كما لو كان العمل الوحيد عن الأقلية. لقد كنت على الجانب الآخر بالفعل، ورأيت ذلك يحدث. كنت في غرفة الاجتماعات حيث نختار روايتنا "المدللة" للموسم، وحيث نقرر من هو *المثقف والمتحدث اللبق والجذاب*، ولكنه مهمش على النحو الذي يخدم ميزانيتنا التسويقية. إنه لأمر مقزز كما تعلمين. لكن أظن أنه من الجيد أن تكوني الاستثناء المحظوظ. إذا كانت القواعد ستكسر، فلِمَ لا تستغلين الطريق السريع الممثل في التنوع حتى تصلي إلى القمة؟ أليس هذا منطقك؟".

"كانديس ..."

"هل يمكنك *تخيل* كيف سيتملق الناس ما صورته هنا؟". رفعت يديها في الهواء وكأنها ترسم قوس قزح. "الوجه الأصفر، بعدسة كانديس لي".

"كانديس أرجوك، لا تفعلي هذا".

"إذا لم أعلن الحقيقة للعامة، هل ستقومين أنت بذلك؟".

فتحت فمي لأتحدث، ثم أغلقته. لم أستطع الإجابة عن ذلك، وكانت تعرف أنني لن أستطيع الإجابة عن ذلك. ثم قلت: "كانديس، من فضلك. أثينا لم تكن لتريد هذا ..."

ضحكت كانديس بسخرية: "من يهتم بأثينا؟ تبًّا لأثينا. كنا جميعًا نكره تلك الحقيرة. هذا من أجل حقي أنا".

لم أجد ردًّا لذلك.

في نهاية المطاف، يبحث الجميع عن مصلحته الشخصية: بالتلاعب بالقصة، والحصول على الأفضلية، والقيام بكل ما يلزم. إن كانت صناعة النشر منحازة بطبيعتها، فمن الأفضل التأكد من أن الانحياز يصب في مصلحتك. أتفهم ذلك، فقد فعلت ذلك بدوري. إنها مجرد لعبة. هكذا ينجح المرء في هذه الصناعة.

لو كنت مكان كانديس الآن، ولو كنت أملك الكنز السردي ذاته الذي تحمله في حقيبتها، فلا شك أنني كنت سأفعل الشيء نفسه.

"حسنًا، أعتقد أنني حصلت على ما جئت من أجله". ألقت كانديس آخر كاميرا في حقيبتها، وأغلقت سحابها، ورفعتها إلى كتفها. "لو كنت مكانك، لتوقفت عن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي عندما أعود إلى المنزل. فقط حفاظًا على نفسي من ذلك العذاب".

شعرت بألم في صدري حينها. القناعة اللاذعة كطعم الخل بأن ما يحدث ليس عادلًا. كان الشعور نفسه الذي ينتابني حين أشاهد نجاح أثينا. لقد وقفت كانديس تتمايل أمامي متباهية بغنائمها، فيما وقفت أتخيل كيف سيستقبل الوسط الأدبي إعلانها. سيجن جنونهم بما ستقوله؛ لأن القصة ببساطة مثالية للغاية: فنانة آسيوية عبقرية تفضح احتيال كاتبة من ذوي البشرة البيضاء، وتحقق انتصارًا مدويًا باسم العدالة الاجتماعية، وتكسر القواعد.

فمنذ تم إصدار الجبهة الأخيرة، أصبحت ضحية لأشخاص مثل كانديس وديانا وأديل: أشخاص يعتقدون أنه بمجرد أنهم "مضطهدون" و"مهمشون"، يمكنهم فعل أو قول أي شيء يريدونه. وأن العالم يجب أن يصنع لهم تماثيل ويغمرهم بالفرص. وأن العنصرية العكسية مقبولة. وأنه يمكنهم التنمر والتحرش وإذلال أمثالي فقط لأنني بيضاء البشرة، فقط لأن ذلك يعتبر بمثابة "ضرب للأعلى مكانة" فحسب؛ لأن مثيلاتي في هذا العصر هن آخر هدف مقبول. العنصرية سيئة، لكن لا بأس من إرسال تهديدات بالقتل إلى النسوة المتسلطات العنصريات من ذوات البشرة البيضاء.

كنت أعرف شيئًا واحدًا.

لم أكن لأسمح لكانديس بأن ترحل ومصيري في يديها.

تصاعدت بداخلي سنوات من الغضب المكبوت، الغضب من أنني أعامل كصورة نمطية، وكأن صوتي لا قيمة له، وكأن كياني كله يختزل في ذلك الوصف، "امرأة ذات بشرة بيضاء"، تصاعدت حتى انفجرت.

ألقيت بنفسي على خصر كانديس مهاجمة مركز ثقلها - قرأت ذلك في منشور على تمبلر ذات مرة؛ إذا هاجمك شخص في الشارع، فاستهدف معدته وساقيه لتفقده توازنه وتطرحه أرضًا. ثم استهدف شيئًا يؤلمه. لم تكن كانديس حيوانًا

مفترسًا ضخمًا طوله متران، بل كانت صغيرة جدًا، كسائر النساء الآسيويات. كنت أنظر إلى أثينا أحيانًا وأتخيل شخصًا يرفعها بسهولة من خصرها. كانت وكانديس كدمى البورسلين الصغيرة - ألن يكون كسرهما سهلًا؟

صاحت كانديس وأنا أندفع نحوها. سقطنا على الأرض متشابكتين. شعرت بشيء ما ينكسر وأملت أن تكون الكاميرات.

صرخت: "ابتعدي عني!" وألقت بقبضتها نحو وجهي. لكنها كانت تضرب من الزاوية الخطأ، ولم تكن قوية في الأساس، وبصعوبة لمست مفاصل أصابعها ذقني. ومع ذلك، كانت أقوى مما توقعت. لم أتمكن من إبقائها مثبتة؛ كانت تتلوى تحتي باستمرار، تلعن وتصرخ، وتدفع بكفيها ومرفقيها نحو أي جزء يمكنها الوصول إليه. تذكرت أنني أحضرت معي السكين السويسري ورذاذ الفلفل، لكن لم يكن هناك وقت لفتح الحزام. كان كل ما يمكنني فعله هو صد ضرباتها.

تبادر إلى ذهني أننا قريبتان جدًا من الدرجات. قد نسقط معًا، أو قد تركلني إلى الأسفل، أو قد أسق...

تبًا، لا، بماذا أفكر؟ هناك بالفعل من يعتقدون أنني قتلت أثينا. لو وجدتني الشرطة عند أسفل الدرج واقفة عند جسد كانديس المهشم، فكيف لي أن أبرر ذلك؟

همس صوت بداخلي: المبرر سهل للغاية، إليك الخطة.

لقد كنا نركض. وكلتانا كانت ترتدي زيًا رياضيًا؛ كم سيكون من الصعب تصديق ذلك؟ كانت الدرجات زلقة، والسماء تمطر، ولم تكن كانديس منتبهة لخطواتها. سيكون لدي الوقت بالتأكيد لإخفاء الكاميرات قبل وصول فرق الإسعاف، بل ويمكنني التخلص من الحقيبة بالكامل في نهر بوتوماك - أو لا، فسيترك هذا الكثير من الاحتمالات. كان من الأفضل أن أخفيها بالقرب من جورج تاون وأسترجعها لاحقًا. إذا كانت كانديس لا تستطيع التحدث، فمَن سيشك بي؟

كان هذا حلًا عبثيًا وعشوائيًا. ورغم ذلك، كان يمكنني النجاة من تحقيق في جريمة قتل، ولكن لن أستطيع النجاة مما ستفعله كانديس إذا خرجت من هنا على قيد الحياة.

أصبحت حركات كانديس أضعف. لقد بدأت تتعب، وأنا كذلك، لكنني كنت أكبر وأثقل جسدًا. كل ما كان عليّ فعله هو مواصلة استنزافها. ضغطت معصميها

على الأرض، ودفعت ركبتي إلى صدرها. لم أرد قتلها، ولكن إذا استطعت إبقاءها ثابتة، وأخذ الحقيبة بعيدًا، ثم تفتيشها وإخراج أي أجهزة تسجيل مخفية، فسيكون ذلك مثاليًا؛ بهذه الطريقة يمكن لكلتينا الخروج على قيد الحياة. لكن إذا لم أستطع فعل ذلك، إذا اضطررت إلى ...

صرخت كانديس وبصقت في وجهي: "ابتعدي!"

لم أتحرك. لهثت: "فقط أعطيني الحقيبة، أعطيني إياها، وسأ... "

"أيتها الحقيرة!"

عضت معصمي. تراجعت مصعوقة وقد تصاعد الألم عبر ذراعي. لقد تسببت عضتها في نزيف! يا إلهي! رأيت الدم يغطي أسنانها، ويلطخ ذراعي. تخبطت كانديس بعنف مرة أخرى. انزلقت ركبتاي عن صدرها. أفلتت مني، والتفت للحظة، ثم ركلتني في معدتي بقوة.

كانت قدمها قوية، بل أقوى بكثير مما تخيلت أن يصدر عن ذلك الجسد الصغير. لم يكن الألم بقدر ما كانت الصدمة؛ انحسر الهواء من رئتي. ترنحت إلى الخلف، وذراعاي تدوران في الهواء بحثًا عن التوازن، لكن الأرض التي ظننت أنها خلفي لم تكن موجودة.

لم أجد سوى هواء خاوٍ!

الفصل الرابع والعشرون

سمح لي الأطباء بمغادرة المستشفى بعد أربعة أيام، بعد أن تم تثبيت الترقوة والكاحل، واختبروا قدرتي على ركوب السيارات والخروج منها دون مساعدة. لم يكن يبدو أنني سأحتاج إلى عملية جراحية، لكنهم طلبوا مني أن أعود بعد أسبوعين للتحقق من أن الارتجاج قد شُفي. كلفني كل هذا آلاف الدولارات حتى بعد التأمين، ورغم ذلك كنت ممتنة لأنني استطعت تحمل مثل تلك المصاريف بسهولة.

لم أجد أي من رجال الشرطة وقوفًا بجانب سريري عندما استيقظت، كما لم يكن هناك محققون ولا صحفيون. قيل لي إنني انزلقت بسبب الجليد أثناء الركض. وجدني شخص غريب مجهول الهوية واتصل بالإسعاف باستخدام مكالمة الطوارئ في هاتفي، لكنهم لم يجدوا ذلك الشخص عندما وصلت سيارة الإسعاف.

لقد لعبت كانديس هذه اللعبة بإتقان، وكان أي اتهام قد أوجهه لها ليبدو بلا أساس. فبالنسبة لجهات التحقيق نحن شبه غريبين عن بعضنا. كان آخر تعاملاتنا عبر البريد الإلكتروني قبل سنوات، وحتى لم يكن رقمها على هاتفي. لم تترك كانديس مجالًا للشك في وجود جريمة مدبرة، فماذا قد يكون الدافع؟ لم تهدأ العاصفة منذ أيام، ومحا المطر كل البصمات وأي دليل قد تكون كاميراتها تركته. حتى لو تمكنت بطريقة ما من إثبات أن كانديس كانت عند الدرج تلك الليلة، فلن يكون الأمر سوى معركة شهادات متضاربة ستكلفنا آلاف الدولارات نظير الرسوم

القانونية. والأسوأ من ذلك، أنني كنت واثقة بأنني تركت كدمات على جسد كانديس أيضًا؛ كدمات لا شك أنها بالغت في تصويرها ووثّقتها بالفعل. لم تكن هناك أي فرصة لأنتصر.

أيًا ما كان ما سيحدث الآن، فإنه سيحدث في إطار الأمور العادية.

وفيما كنت في طريقي للعودة من المشفى بحثت عن اسم كانديس، تمامًا كما اعتدت أن أتحقق من حساباتها كل بضع ساعات منذ استيقاظي. كنت أعلم أن الأمر مجرد مسألة وقت، وكنت أرغب في رؤية الأخبار بمجرد أن تنشر. هذه المرة، وجدت العنوان الذي كنت أنتظره يتصدر نتائج البحث. تم نشر مقابلة جديدة من صحيفة نيويورك تايمز: "المحررة السابقة كانديس لي تكتب عن أثينا ليو، وجونيبير سونج هايوارد، واعتراف قد لا ترى مثله في حياتك ثانية".

كنت بصراحة معجبة بها. بعيدًا عن كون كانديس قد تمكّنت من تعديل مسماها الوظيفي من مساعدة إلى محررة، فإنه من الصعب نشر مقال في *نيويورك تايمز* في أربعة أيام فقط، خاصة عندما يتعلق الأمر بصراع أدبي خرج من دائرة الأخبار منذ أشهر. حتى أديل سباركس - ساتو لم تستطع نشر مقالاتها في نيويورك تايمز. كانت دائمًا تضطر للجوء إلى *فوكس*، أو *سلايت*، أو *ريد اكتريس*.

لكن كانديس استطاعت الحصول على شيء لم يكن لدى أي شخص آخر؛ الأشرطة.

ذكرت الفقرة الأخيرة بعد المقابلة أن كانديس تعمل على كتابة مذكرات حول هذا الحدث. بالطبع. لقد بدأت للتو في كتابتها، لكن بالفعل "العديد من الناشرين" حسب ما ورد، "مهتمون جدًا" بالحصول على مخطوطتها. ذكر أيضًا أن إيدن كانت أحد الناشرين الذين تواصلوا مع وكيل كانديس. وذُكر تصريح لدانييلا نفسها في السطور الأخيرة: "بالطبع، نحن نحب أن نعمل مع الآنسة لي، ستكون هذه هي الطريقة المثالية للتعويض عن الجزء الذي لعبناه في هذه المأساة التي نأسف لها بشدة".

ها قد وصلنا إلى نهايتي.

مر أسبوع وتلاه آخر لازمتني به مسكنات الألم والأدوية المساعدة للنوم. أصبح الوعي عبئًا أثقل من أن يحتمل. كنت أستيقظ فقط لأتناول الطعام، دون حتى أن أشعر بمذاقه. كنت أعيش فقط على شطائر زبدة الفول السوداني، وبعد بضعة أيام، توقفت حتى عن استخدام زبدة الفول السوداني. أصبح شعري خشنًا ودهنيًا، لكن مجرد فكرة غسله كانت ترهقني. دفعت نفسي لبعض الحركات البسيطة للبقاء على قيد الحياة، لكن لم يكن لديَّ أي هدف ولا شيء أتطلع إليه سوى النجاة من الأيام والتقدم المروع للزمن، حياة هي بالتحديد الحياة التي قد أطلق عليها أجامبين "الحياة المجردة".

لا بد أن خبر الحادث قد انتشر عبر الإنترنت. أرسلت لي مارني رسالة نصية: سمعت عن الحادث وأردت الاطمئنان، هل أنت بخير؟ اعتبرت أن ذلك محاولة لتهدئة ضميرها في حال مت، ولم أرد عليها.

بعيدًا عن ذلك، لم يتواصل معي أي شخص آخر. كانت أمي وروري لتتركا كل شيء وتأتيا للاعتناء بي لو أخبرتهما بما حدث، لكن كان من رابع المستحيلات أن أشرح كل ذلك. رن هاتفي ليلة واحدة، لكن لم يكن ذلك سوى عامل توصيل دور قد أحضر ورق الحمام الذي طلبته. أخذت المناديل وبكيت فوق وسادتي، والأسى يمنعني من التنفس.

عندما نفدت مسكنات الألم واضطررت إلى مواجهة عذاب التفكير، أمضيت ساعات أتصفح تويتر بلا إحساس. كان أغلب التغريدات لمؤلفين يستجدون الانتباه كالمعتاد، أو صفقة كتاب جديد، أو عبارة عن إعلان عن غلاف، أو مراجعة ذات نجوم، أو مسابقة على جود ريدز، أو إعلان فتح باب حجز الطلبات المسبقة، أو غلاف رواية رومانسية يظهر شخصان من ذوي البشرة البيضاء ويبدو مشابهًا جدًا لغلاف رواية رومانسية أخرى. ولم يعرف الجمهور على تويتر ما إذا كان يجب أن يغضب من المؤلفين، أم الناشرين، أم فرق التصميم الفني، أم من التفوق الأبيض بشكل عام.

كان كل هذا يفيض باليأس، ومع ذلك لم أستطع أن أبعد اهتمامي عنه، إذ كان الشيء الوحيد الذي يربطني بالعالم الوحيد الذي يهمني أن أكون جزءًا منه.

لم تكن العزلة تزعجني كثيرًا في الماضي، إذ كنت معتادة أن أكون وحدي؛ لطالما كنت وحدي، لكنني في الماضي كنت أستطيع الكتابة - أما الآن فلا، وأنا أعلم أنه ربما لم يعد لدي وكيل أدبي، وما قيمة الكاتب من دون جمهور؟

كنت قد تساءلت سابقًا، كيف يشعر الكتاب الذين يتم إنكارهم ونسيانهم - وأعني إنكارهم لأسباب واضحة، مثل التحرش الجنسي أو استخدام عبارات عنصرية - بعد أن يتم طردهم من عالم النشر. حاول البعض العودة إلى المجال، عادة من خلال نشرات ذاتية رديئة، أو ورش عمل غريبة وطائفية. لكن معظمهم تلاشى تاركين وراءهم فقط بعض العناوين المملة. أعتقد أنهم يعيشون حياتهم الجديدة الآن، في مهن جديدة. ربما يعملون في وظائف مكتبية؛ وربما يعملون ممرضين، أو مدرسين، أو وكلاء عقارات، أو أمهات وآباء. تساءلت عن مشاعرهم كلما مروا بجانب مكتبة، وهل يعتريهم ذلك الشوق العميق إلى العالم الساحر الذي نبذهم.

أعتقد أن جيف قد تمكن من العودة في النهاية. ولكن جيف هو رجل من ذوي البشرة البيضاء، جذاب، وميسور الحال. جيف لديه متسع ليفشل ثم يعود من جديد. أما أنا فلن يتساهل العالم معي.

كنت أفكر في التخلص من حياتي. في ساعات الليل المتأخرة، عندما يصبح الضغط المستمر للزمن أكثر من أن أحتمله، وجدت نفسي أبحث عن أول أكسيد الكربون وشفرة الحلاقة. ظاهريًا، بدا الأمر وكأنه طريق سهل للهروب من هذا الظلام الخانق. على الأقل، كان ذلك سيجعل هؤلاء الذين يمقتونني يشعرون بالندم تجاه ما فعلوه. انظروا إلى ما فعلتموه. انظروا إلى أين دفعتموها. ألا تشعرون بالخزي؟ ألا تتمنون لو أنكم تستطيعون التراجع عن كل شيء؟

لكن كل ذلك بدا محفوفًا بالمشاكل، وعلى الرغم من يأسي، لم أستطع التصالح مع فكرة أنني قد أغادر هذا العالم دون حتى كلمة أخيرة.

بعد شهر، باعت كانديس مذكرتها التوثيقية إلى بنجوين راندوم هاوس مقابل مبلغ هائل يصل إلى بضعة ملايين.

مررت عبر إعلان الصفقة لأسفل إلى التعليقات. كان بعضها احتفاليًا بشدة؛ وبعضها كان مشمئزًا من تحويل مأساة مؤلمة إلى سلعة. وأبدى بعض الأشخاص دهشتهم من حصول كاتبة مبتدئة على مقدم مرتفع جدًا لكتاب لم يؤلف بعد!

إنهم لا يفهمون. لا يهم مدى براعة كانديس في الكتابة. من يدري إن كانت تستطيع حتى صياغة فقرة سليمة؟ ومن يكترث؟ أصبحت قصتي مع أثينا حديث الصحف القومية الآن. سيشتري الجميع هذا التصريح الصادم ويقرأونه، وسيبقى متصدرًا قوائم الكتب الأكثر مبيعًا لعدة أشهر. لا شك أنه سيصبح أحد أكثر الكتب إثارة للجدل في صناعة النشر، وبالتالي، سيدمر اسمي إلى الأبد. سأظل دائمًا الكاتبة التي سرقت إرث أثينا ليو، المرأة المجنونة، الغيور، العنصرية، بيضاء البشرة التي استولت على عمل الفتاة الآسيوية.

لم تكن لأتخيل هزيمة أكثر شمولًا ودمارًا.

لكن عقلي تصرف تصرفًا غريبًا في ذلك الحين.

لم أنحدر إلى اليأس، ولم أشعر بالأعراض المعروفة لنوبة هلع مقبلة، بل، على العكس تمامًا: كنت هادئة تمامًا، مثل الزاهدين. كنت أشعر بأنني على قيد الحياة، ووجدت نفسي أكتب جملًا حينها، وأحلم بتقلبات العبارات، وأرسم ملامح سرد مضاد. كنت ضحية خدعة رهيبة. تم التنمر عليَّ عبر الإنترنت، وتم ملاحقتي، وتم التلاعب بي لأعتقد أنني أفقد عقلي. كانت كانديس لي هي من استغلت حبي لصديقتي الراحلة وحولته إلى شيء قبيح ومروع. كانديس هي مَن استغلتني لصالح فنها، وليس العكس.

لو كشفت كانديس تلك التسجيلات، لكان معنى ذلك اعترافها بوجودها عند درجات طارد الأرواح في الليلة التي أصبت فيها. وهكذا ستستطيع الشرطة تحديد هوية المتصل المجهول بالإسعاف، وبذلك سأتمكن من توجيه اتهاماتي لها.

الحقيقة كيان متغير، دائم التحول. هناك دائمًا طريقة أخرى لصياغة القصة، وزاوية مختلفة لإرباك السرد. أدركت هذا الآن، إن لم أكن قد تعلمت شيئًا آخر. قد تكون كانديس قد انتصرت في هذه الجولة، لكنني لن أسمح لها بهزيمتي ومحوي من الوجود سأخبر جمهور الأدب بما ينبغي عليهم تصديقه. سأفند كل مزاعمها، وأعيد تأويل الدوافع، وأغير تسلسل الأحداث. سأقدم رواية جديدة، مقنعة تحديدًا لأنها تتماشى مع ما يرغب الجمهور، في أعماقهم، بتصديقه، وهي أنني لم أرتكب أي

خطأ، وأن هذه ليست سوى مثال آخر لأشخاص أنانيين، حاقدين، يختلقون اتهامًا بالعنصرية بينما لا وجود لها. هذه هي ثقافة التهميش وقد بلغت حدها القاتل. انظروا إلى إصاباتي، وانظروا إلى فواتير المستشفى التي عالجتني.

سأصيغ وأبيع قصة عن كيف جعلت ضغوط النشر من المستحيل على المؤلفين من ذوي البشرة البيضاء وغيرهم النجاح، وكيف أن نجاح أثينا كان مصطنعًا بالكامل، وكيف كانت دائمًا مجرد رمز، عن حدوث خدعة، - فدعونا نسميه خدعة، لا سرقة - وكيف كان ذلك التلاعب طريقة لكشف الأسس الفاسدة لهذه الصناعة بأكملها، وعن كوني البطلة الحقيقية. بدأت في التخطيط لخطواتي التالية. أولًا، سأكتب اقتراحًا. يمكنني إنجازه في نهاية اليوم، أو ربما صباح الغد إذا شعرت بالإرهاق. لكنني في كل الأحوال سأنهيه بحلول نهاية الأسبوع، ثم سأرسله عبر البريد الإلكتروني إلى بريت، على افتراض أنه لم يقم بطردي. وإن كان قد طردني، فسأطلب مكالمة هاتفية، ثم سأعرض عليه الفكرة شخصيًا. سيكون مجنونًا إن رفض عرضًا مثل ذلك.

قضيت الأسابيع الثمانية التالية وأنا أكتب كل أفكاري وذكرياتي. لم أتمكن من إعادة تدوير الموجود في سيرتي الذاتية الزائفة، ففي هذا المشروع، كنت مستعدة لجعل نفسي الشخصية الشريرة فقط من أجل الترفيه. في هذه النسخة، كنت أحتاج إلى الفداء. كان يجب أن أجعلهم يرون جانبي من القصة. كانت أثينا هي الحشرة، مصاصة الدماء، الشبح الذي لم يتركني وشأني؛ أما كانديس فكانت بديلتها المجنونة المهووسة. أما أنا فبريئة؛ كان ذنبي الوحيد هو عشقي اللا متناهي للأدب، ورفضي أن يضيع عمل أثينا الذي لم يكتمل سدى.

ستبدو المسودة فوضوية، لكن لا بأس بذلك، فالأمر برمته فوضوي. الأهم هو الطرق على الحديد وهو ساخن. سأعمل مع بريت على تصحيح الأخطاء الإملائية قدر المستطاع، ثم سنعرض المخطوطة للنشر. سيشتري أحدهم تلك القصة. ربما تكون إيدن نفسها - وقد أقبل بالعمل مع دانييلا مجددًا، بشرط أن تأتي معتذرة حاملة بين يديها أكوامًا من المال. لكنني أتوقع أن أكون صاحبة القرار؛ ستكون العروض كثيرة، وقد نتجه إلى المزاد. في الواقع، لن أفاجأ إن حصد هذا المشروع مبلغًا يفوق أيًا من أعمالي السابقة. بعد عام، ستملأ رواياتي رفوف المكتبات في كل مكان. ستكون التغطية الصحفية الأولية متشككة في أفضل الأحوال، ولاذعة في

أسوأ الأحوال. امرأة ذات بشرة بيضاء تنشر مذكرات فاضحة! جوني هايوارد تكتب السيرة التي لم يرغب أحد في قراءتها، لأن هذه المجنونة لا تستطيع التوقف! ستنفجر ديانا كيو من الغضب، وأديل سباركس - ساتو سيجن جنونها تمامًا.

لكن سيقوم أحد المراجعين، في مكان ما، بإلقاء نظرة أعمق على الكتاب. سيكتب مراجعة مخالفة للسائد؛ لأن المحررين الذين يسعون وراء العناوين المثيرة دائمًا ما يطلبون مثل هذه المراجعات. ماذا لو كنا جميعًا مخطئين؟ وهذا وحده كفيل بزرع الشك. سيبحث رواد الإنترنت، الذين يعشقون الجدل لمجرد الجدل، عن الثغرات في رواية كانديس. ستبدأ حملات التشويه، وسنُسحب جميعًا إلى الوحل، وعندما تهدأ الأمور، لن يتبقى سوى سؤال واحد: ماذا لو كانت جونيبير سونج على حق؟

ومع مرور الوقت، سأعود لأصبح بطلة الرواية من جديد.

شكر وتقدير

تصنَّف رواية *الوجه الأصفر* بأنها إحدى روايات الرعب التي تدور حول الشعور بالوحدة في مجال الأدب شديد التنافسية؛ فمقارنة بجوني وأثينا، بطلتي الرواية، كنت محظوظة بدعم أعز الأصدقاء، والعائلة، وأفضل فريق نشر يمكن أن يحظى به أي كاتب، ثمة الكثير من الشكر الواجب توجيهه للعديد منهم. شكرًا للأشخاص الرائعين في ويليام مورو آند بورو بريس الذين حولوا مسوَّداتي بالقلم إلى رواية كاملة الأركان، وهم: ماي تشين، وآن بيسل، وناتاشا باردون، وديفيد بوميريكو، ولياتي شتيهليك، وهولي رايس، ودانييل بارتليت، ودي جيه دي سمايتر، وسوزانا بيدن، وروبين واتس، وفيكي ليش، وإليزابيث فازيري، وميرايا شيريبوجا، وأليساندرا روش. لقد جعلتم جميعًا هاربر كولينز تبدو كأنها بيت للعائلة. شكرًا لفريق ليزا داوسون آسوشيتس الذين دعموني في كل خطوة على الطريق: هانا بومان، وهافيس دوسون، وليزا دوسون، وجوان فاليرت، ولورين بانكا. شكرًا لفرحناز ريشي، وإهيجبور شولتز، وأكانكشا شاه، وجيمس جينسن، وتوشي أونيبوتشي، وكاتيكوس أونيل، وجوليوس برايت روس، وتايلور فانديك، وشيرلين أوبوبيي، وجميع أعضاء آي بومودوري الذين ضحكوا معي وشجعوني على ألا أتراجع عن أي شيء. شكرًا لإميلي جين، وميلودي ليو، ومويرا دي جرايف - زملائي في جينجسكيتييرز - للسيطرة على جنوني. شكرًا جزيلًا لبانكر على السماح لي بالتذمر وعلى جعلي أضحك

كذلك. ستظل المكتبات أماكن مفعمة بالسحر بالنسبة لي، شكرًا لجميع المكتبات وبائعي الكتب الذين دعموا عملي أمام القراء، ولكن بشكل خاص لمكتبة ووترستونز أكسفورد، وبارنز آند نوبل ميلفورد، وميستريوس جالاكسي، وبورتير سكوير بوكز، ومكتبة هارفارد، حيث تعتبر إيمالين كروك وليلي روجو الأفضل على الإطلاق. شكرًا لأمي وأبي اللذين آمنا بشدة بأن هذه الرواية ستنجح قبل أن أومن أنا بها. وشكرًا دائمًا لبينيت، الذي ينير حبه العالم ويجعله ذا قيمة.

عن الكاتبة

ريبيكا إف. كوانج باحثة في برنامج مارشال، ومترجمة، وكاتبة رُشِّحت لجوائز هوجو ونيبولا ولوكس، وورلد فانتازي عن ثلاثية **Poppy War** ورواية ***Babel***. حصلت على درجة الماجستير في الدراسات الصينية من جامعة كامبريدج، ودرجة الماجستير في الدراسات الصينية المعاصرة من جامعة أكسفورد. استقرت في نيو هيفن بولاية كونيكتيكت حيث تابعت دراستها للحصول على درجة الدكتوراه في اللغات والآداب الآسيوية الشرقية من جامعة ييل.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:
أشرف غالب

جميـع الحقوق محفوظة ©

مكتبة ضـاد الإلكترونية
t.me/twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
https://t.me/twinkling4

Jose Camacho

ريبيكا إف. كوانج

ريبيكا إف. كوانج هي حاصلة على منحة مارشال، ومترجمة، ومؤلفة مرشحة للفوز بجوائز هوجو ونوبلا ولوقس وورلد فانتازي، ومن أعمالها ثلاثية Poppy War، ورواية *بابل* الأكثر مبيعًا. كما أنها حاصلة على درجة الماجستير في الدراسات الصينية من جامعة كامبريدج ودرجة الماجستير في الدراسات الصينية المعاصرة من جامعة أكسفورد، وهي الآن طالبة دكتوراه في لغات شرق آسيا وآدابها بجامعة ييل.

"ممتعة للغاية ... لدرجة أنك لن تتركها حتى تنتهي من قراءتها كلها".

– صحيفة نيويورك تايمز

"مرعبة ومضحكة في آن واحد".

– صحيفة الجارديان (المملكة المتحدة)

"رواية تهكمية رائعة تمزج بين الرعب والفكاهة، وتكشف عن الجوانب الخفية لعالم النشر وما يرتبط بها من قضايا مثل الهوية وتمثيل الأقليات العرقية والاختلاف، كما أنها تقدم رؤية صادقة عن الجانب السلبي الخطير لوسائل التواصل الاجتماعي، ولعل هذه الرواية هي أفضل أعمال كوانج ".

– صحيفة بوسطن جلوب

"لقد شعرت في أثناء قراءة هذه الرواية بأنني في معركة نفسية شرسة بالسكاكين مع مهرج مختل عقليًا. إنها رواية ساخرة قاسية للغاية جعلتني أصرخ من الداخل ... من الرعب والفكاهة".

– كونستانس وو، بطلة فيلم Crazy Rich Asians، ومؤلفة كتاب Making a Scene

"منذ زمن طويل، لم تؤثر فيّ رواية مثلما أثرت فيّ هذه الرواية التي استحوذت عليّ تمامًا، حيث تثير رواية كوانج بكل جرأة قضايا أدبية شائكة مثل التميز والاستيلاء على أعمال الآخرين والأصالة الأدبية، مانحة القراء فرصة وضع حدود لكل هذه المفاهيم".

– زكية دليلا هاريس، مؤلفة الرواية الأكثر مبيعًا The Other Black Girl

"إن هذه الرواية قاسية ومؤثرة للغاية. إن إبداعات كوانج تجد باستمرار طرقًا جديدة لكشف الأنظمة السلطوية ومعارضتها، وهي في هذه الرواية تناقش قضية تحويل الفن إلى سلعة تجارية استهلاكية من خلال التباهي والزيف".

– أوليفي بليك، مؤلف الرواية الأكثر مبيعًا The Atlas Six

"رواية تشويقية تمتلئ بالكوميديا السوداء وتناقش مفاهيم عميقة مثل الجشع، والحقيقة، والهوية، والفن ومن ينتمي له حقًا. لقد كانت قراءة هذه الرواية أشبه بركوب قطار الملاهي دون حزام أمان، فقد كنت أصرخ طوال الوقت!".

- بيلج شيبرد، مؤلفة رواية The Cartographers

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

لمسح الكود للنسخة الإلكترونية

ISBN 628-1072-15-482-0
6 281072 154820
282209527